

**الاسلام**  
وأحداث الحادى عشر  
من أيلول 2001

---

زبير سلطان قدوري

**الاسلام**  
**وأحداث الحادي عشر**  
**من أيلول 2001**

دراسة

## المقدمة

منذ أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام 2001 على نيويورك وواشنطن والحملة الهوجاء الطالمة المعادية للعروبة والإسلام من قبل القوى الفاعلة في الولايات المتحدة وحليقاتها في الغرب مستعرة بكل أبعادها السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية، تستهدف تدمير مركبات الإسلام والعروبة من قيم ومبادئ. تسعى للهيمنة على الأرض وثرواتها، واستعباد الإنسان، وفرض هيمنة استعمارية على المنطقة، بما يخدم المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة وشريكها، ويحقق طموحات وأهداف الشريك الأهم في المشروع الصهيوني الاستيطاني.

هذه الحملة الضاربة قد جرى التمهيد لها قبل أحداث الحادي عشر من أيلول بستين عديدة عبر نظريات فكرية، قدمت صوراً مشوهة عن الإسلام، وإعتبرته الخطر الأكبر على الحضارة الغربية، وما انتجته من أنماط سياسية وثقافية واجتماعية خاصة منها الديمocrاطية وحقوق الإنسان. واستهدفت تلك الحملة تقديم صورة معايرة لحقيقة الإسلام للرأي العام الغربي، من خلال تصويره كدين للإرهاب والحروب والقتل والعبودية، ويرفض الديمocratie، ويقمع الحرية، ويحمل في ثناياه الشر بكل أنواعه للغرب ولحضارته.

فأنتج المعادون للإسلام من أصحاب تلك الحملة وعلى رأسهم القوى الصهيونية ذات التأثير السياسي والإعلامي والاقتصادي في الولايات المتحدة وأوروبا مبدأ سياسياً حديداً، يقوم على ضرورة إشاعة الديمocratie والحرية وفق الرؤيا الأمريكية والمتصهينة منها في العالم الإسلامي عامنة والوطن العربي والشرق الأوسط خاصة. وذلك باستخدام كل أوراق الضغط على الأنظمة والشعوب معاً، وإن تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية لفرضها، فعلى الولايات المتحدة وحلفائها أن لا تتوان في استخدامها، دون أن تهتم بالمعارضة الدولية والمحلية.

وتري تلك المجموعات المعادية للإسلام أن غياب الديمocratie والحرية في تلك البلدان، هو السبب الرئيسي في نمو ظاهرة الإرهاب في العالم، والتي باتت تشكل خطراً على الأمن القومي في الغرب والولايات المتحدة بالتحديد مع النماذج الديمocratie في العالم وفي مقدمتها الكيان الصهيوني. كما أن ظاهرة الإرهاب تهدد مصالح الغرب في العالم وخاصة الشرق الأوسط.

وريط أصحاب هذا الرأي بين غياب الديمقراطية ورفضها، وتامي ظاهرة الإرهاب في العالم الإسلامي، والشعور بالحقد والكراهية للولايات المتحدة والغرب والكيان الصهيوني وبين الحضارة الإسلامية، لهذا قالوا: لم يعد الصراع الدولي اليوم صراع أيديولوجيات، بل هو صراع حضارات. فاطلقو نظرية صدام الحضارات المؤسسة على التصادم الحتمي بين الغرب والإسلام، بسبب ما تحمل كل حضارة من ثقافات متعارضة مع الأخرى. وجرى تبعية إعلامية وثقافية من قبل القوى المعادية للعرب والمسلمين، لتشن حملة من التحرير المنظم في وسط الرأي العام الغربي على الإسلام وحضارته ومرتكزاته الفكرية والثقافية وبناء التعليمية. وليس من الغرابة بمكان، أن يكون مبشرو هذه النظرية من غلاة الصهابية واليهود المعادين للعروبة والإسلام معاً، أمثال نتنياهو وصموئيل هنتغتون إضافة إلى القوى المتinchينة المؤثرة على السياسة الأمريكية أمثال ريتشارد بيرل وولييفز وارمتاج وغيرهم.

حيث بدأ نتنياهو قبل عشرين عاماً من أحداث نيوزبورك وواشنطن من خلال كتبه، بالتحريض على العرب والمسلمين في الغرب، ويفخر بأنه كان وراء إقناع الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان بضرب ليبيا في الثمانينات، وتحسين كثيراً لفوائد فرصة ضرب سوريا، بعد أن كان أقنع القيادة الأمريكية آنذاك على ضربها، إلا أن اندلاع أحداث الخليج عام 1990 من تحقيق ذلك.

واحتوت كتابات نتنياهو والتي سبقت نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون بعشرين سنة سنتوساً ضد الإسلام والعروبة، وتحريضاً على مواجهة المسلمين في بلادهم وللأجل الغرب. فكتب عما أسماه بالإرهاب الإسلامي، الذي اعتبره خطراً على ديمقراطية الغرب. وقدم للدول العربية عشرة وصايا لمحاربة ذلك الإرهاب. وطلب تحجيم القوة العسكرية في البلاد العربية والإسلامية، حتى لا تهدد الغرب والكيان الصهيوني. وفرض حصار على دول كسورية والعراق وإيران وغيرها من الدول الرافضة للمشروع الصهيوني والمناصرة للحق الفلسطيني، على اعتبارها دولاً داعمة للإرهاب.

وحذر أيضاً كما يحذر هنتغتون في كتابه صدام الحضارات من تامي الهجرة الإسلامية إلى بلاد الغرب، واعتبرها قنبلة موقوتة ستدمّر حضارة الغرب، ودعا إلى إعادة هؤلاء المهاجرين إلى بلادهم، حتى لا يؤثروا بالمجتمع الأوروبي والأمريكي، وبدلوا أنماط حياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية، وأكد أن الخطورة في الهجرة ستكون من خلال أزيد من المهاجرين المسلمين، الذين سيشكلون في المستقبل قوة تأثير في القرار السياسي الأوروبي والأمريكي (لوبي)، فيتحكمون بالقرار الغربي.

ثم جاء يهودي آخر صموئيل هنتغتون، ليجمع أفكار نتنياهو المعادية للعروبة والإسلام، ويصبح بها نظرية جديدة سميت بـ

(صدام الحضارات). التي لا يختلف مضمونها عن أفكار نتنياهو السابقة. حيث قسم العالم إلى حضارات ثمان، تتنمي كل واحدة منها إلى دين معين لا إلى أوطانها. ولم يذكر من بين تلك الديانات الديانة اليهودية، هذا الإغفال بالطبع لمعرفته الأكيدة بعدم وجود حضارة يهودية، كما أنه أراد بخيث واضح تحبيط اليهود من صراع الحضارات، ليستفيدوا من تلك الحضارات جميعاً، دون أن يخسروا شيئاً.

نظريّة صدام الحضارات التي طرحتها هنتنغتون، استهدفت قبل وقوع أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، الرأي العام العالمي عامه والغرب خاصة ذهنياً لواقع قادمة ضد الغرب من قبل المسلمين. لهذا حرّى قبل الأحداث تحويل النظرية إلى أشكال من الممارسة والتطبيق، بغية ترسیخ فكرة العداء الإسلامي للغرب، من خلال تصنيع مجموعات وتنظيمات إرهابية في دوائر المخابرات الأمريكية والموساد، تليس لموس الإسلام، لأن أفرادها ينتمون إلى الإسلام، يتقوم بممارسة الإرهاب البشع والمروض إنسانياً وليس إسلامياً فقط، حتى تكتمل الصورة المشوهة عنعروبة والإسلام لدى الرأي العام الغربي.

حيث مارست تلك التنظيمات الإرهابية المصنعة في بلدان عربية وأسلامية كمصر والجزائر وأفغانستان وغيرها من البلدان أبشع الجرائم من قتل وذبح ضد المدنيين العزل، والحق الأذى والتدمير بالمؤسسات الثقافية والمدنية والسياحية، تلك الجرائم التي يدينها الإسلام، الذي جاء لمحاربتها أصلاً. كانت الهدف منها كما أرادت دوائر الموساد والمخابرات الأمريكية، تقديم نموذجاً عمما أسموه بالإرهاب الإسلامي للعالم عامه وللرأي العربي خاصة، فيكون العالم مهياً نفسياً لحدث أكبر، يكون فيه المتهم جاهزاً.

وهكذا تمت التهيئة لصياغة حدث خطير وجريمة كبيرة كما حدث في الحادي عشر من أيلول عام 2001 في نيويورك وواشنطن. حتى إذا ما وقع حدث حلل ضد الغرب والولايات المتحدة، سيصدق الرأي العام العالمي عامه والأمريكي خاصه، بأنها من صنع المسلمين وأعمالهم الإرهابية. فيتم بسببها تحقيق أهداف استراتيجية أمريكية وصهيونية، دون النظر إلى الأرواح التي ستزهق من هذا الحدث، ما دام يحقق لها أغراضها وأهدافها. ثم تليس العرب والمسلمون جريمة الحدث، في حين يصبح المجرم الحقيقي بريئاً ومعتدل عليه.

وهكذا تم تصنيع أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، لببدأ الغزارة صانعوا الحدث من جندي ثماره، قبل أن تكشف الحقائق، ويظهر المجرم الحقيقي. فاما قرع طبول الحرب وأصوات الطائرات والدبابات والبيوارج وحاملات الطائرات، يختفي صوت الحقيقة، ويُضيّع ويُبَدَّل أمام فرقعة السلاح. هذا إذا علمنا أن من يرفع صوت الحقيقة، ومن يحمل وزر الجريمة، هو أضعف من أن يرد الذباب عن وجهه.

**فالجنود في المعسكرين الأمريكي والصهيوني يعيثون فساداً في الأرض تحت ذريعة أحداث هم صانعوها.** فمن ذرائعها يتم تحقيق استراتيجية اليمنية والتقسيم للبلاد العربية والإسلامية، عبر سلسلة من الحروب بدأت في أفغانستان والعراق، وستنتهي بالسيطرة الشمولية على الأرض والإنسان والثروة، وتحقيق أحلام صهيو- والإدارة الأمريكية اليمينية بتدميرعروبة والإسلام.

هذا الكتاب يسلط الضوء على أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001. ويجيب على أسئلة كثيرة تدور في الساحتين العربية والدولية، ويرد على نظرية صدام الحضارات. ويؤكد أن الصراع لم يكن يوماً بين الحضارات، بل صراعاً في السلوك والغايات والأهداف وبالتالي التماهي لتلك الحضارات. ويقدم الكتاب عرضاً مستفيضاً عن الغايات والأهداف التي من أجلها تمت صناعة أحداث الحادي عشر من أيلول، وما تبعها من نتائج مأساوية وكارثية أصابت العالم العربي والإسلامي. وبين الكتاب الأسباب الحقيقة وراء احتلال كل من أفغانستان والعراق واستمرار التهديد لسوريا وإيران.

وفي الباب الثاني من الكتاب نوضح بجلاء إن الإسلام هو دين الحضارة والعلم، ويقبل الحضارات الأخرى ويقدم لها وياخذ منها، ولم يكن يوماً محارباً لمعتقدات الآخرين الدينية، بل كان ولا زال يوجب على أتباعه احترام معتقدات الآخرين منطلقاً من قاعدة قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قُدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ﴾. وليس هناك صدام حضارات بل صدام بين السلوكيات الثقافية المنتجة بين حضارة وأخرى.

ويقدم الكتاب الدلائل على أن ما يسمى بالإرهاب الإسلامي إنما هو صناعة صهيونية وأمريكية، لخدمة أهداف بعيدة للمشروعين الأمريكي والصهيوني، والمعارض والمتصادم مع المشروع العربي النهضوي منذ بداية القرن العشرين.

كما أن هذا الكتاب في يامه الرابع يرد على الاتهامات الأمريكية والصهيونية للإسلام واتهامه بالطائفية، ورفض الحرية، وأنه دين الاستبداد. ويوضح رؤية الإسلام للحرية، وبرهن أن الإسلام جاء على أساس تحرير الإنسان من كل أشكال الرق. ويوضح مفهوم الشورى في الإسلام مع الدلائل.

وببحث الباب الخامس من الكتاب موقف الإسلام من العدل ردًا على بعض السياسيين والمفكرين والصحفيين المتصهينين الذين اتهموا الإسلام بالجحود والظلم.

إن هذا الكتاب يأتي في زمن تتتسارع الأحداث، التي تستهدف المنطقة العربية والإسلامية، يجيب عن بعض أسباب هذه الأحداث ليكون عوناً لقارئ العربي والمسلم في فهم جزء من الحقيقة عن الهجمة الأمريكية والصهيونية ومن تحالف معهما ضد العرب والمسلمين في الوقت الراهن.

راجياً من الله العزيز القدير أن أكون قد أساهمت في الدفاع

عن العروبة والإسلام أمام هذه الحرب الطالمة، التي تقودها  
القوى المتصرّفة في الولايات المتحدة والغرب والكيان  
الصهيوني.

زبير سلطان قدوري

٦٦



**الباب الأول**  
**أحداث الحادي عشر من أيلول /**  
**سبتمبر**  
**صناعة وأهداف**



بعد مضي عام ونصف على أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 في نيويورك، لا بد من وقفة يسترجع فيها المشاهد تلك الأحداث، ليقوم بتقديرها، ويتعرف على بعض حقائق مسبباتها، وعلى بعض من أسرارها، التي تحصلت لديه من الأبحاث والدراسات الإقليمية والدولية التي نشرت عنها. كما يتطلب منه استخدام تفكيره في فك بعض من رموزها، لعله يصل إلى بعض النتائج، التي توصله إلى القليل من الحقيقة، التي ستغيب عن العالم سنوات قد تمت عشرات السنين أو أكثر.

فالحقيقة الكاملة لا تظهر إلا بعد مرور زمن طويل، وقد لا تظهر مطلقاً، حيث ستبقى في عالم الغيب، وسراً من أسرار صناع الحدث، قد يكونون في هرم السلطة وطبعاً مع أجهزتهم الأمنية المتعددة الأغراض في صناعة أحداث نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول 2001.

فليست كل الظواهر التي تنشأ مع الحدث مباشرة حقائق، بل هي ظواهر تخفي في طياتها ما هو أدهى وأمر، مما ظهر للرأي أو المستمع أثناء وقوع الحدث، فكثيراً من وظائف وأهداف الحدث الآنية توظف بعد وقوع الحدث، لتحقيق الهدف الرئيسي من صناعته. ثم تبقيه بعد ذلك حقيقة صناعته وشخصه وطريق تنفيذه سيراً، كلنا إما تكتشف أجزاء منه، أو لا تكتشف، إلا إذا حدث تصدع أو تمدد بين مجموعة صانعيه، فيتمكن معرفة الحقيقة أو جزء منها.

إلا أن حدث هاماً في تاريخ العالم، كالذي حدث في نيويورك وواشنطن، أدى إلى حدوث تغيرات في مجرى تاريخ الأمم، يتطلب من كلباحث أو محلل أو مهتم بعلم تاريخ الشعوب، أن يقتضي الحدث بكل أبعاده، ليتمكن من الوصول إلى معرفة الحقيقة أو جزء منها. وأن يقوم بالتقاط أجزاء من هنا أو هناك مما حدث، حتى يتمكن من رسم الشكل الأولي للصورة المقاربة لبعض من الحقيقة، ربما يظهر الزمن الحقيقة كاملة أو القسم الأعظم منها.

ولقد علمنا التاريخ أيضاً، أن كثيراً من المؤامرات والجرائم، التي تحكمها، وتتركبها دول طامعة في ثروة أو أرض أو فرض هيمنة على بلد آخر، تقوم بنسج خيوطها، وتنفيذها، وتحمم الآخرين بها، سواء أكانوا دولاً أو أحزاباً ومنظمات أو جماعات من المعادين لها. حتى وأن ضحت بجزء من مواطنها أو جنودها أو عتادها، أو حتى تضحى بقسم من منشاتها في سبيل هدف ترمي لتحقيقه. وبعد تقوم بحسابات التوازن بين الربح والخسارة.

**وتاريخ الإدارات الأمريكية وأجهزتها الأمنية، وحليفتها الحركة الصهيونية وجهارها السين الصيت الموساد حافل بتلك المؤامرات القدرة.**

وفي هذه القراءة الأولية، نسعى للبحث عن الجزء البسيط من معرفة الحقيقة، من خلال ما توفر لدينا من معلومات عما حدث في الحادي عشر من أيلول 2001 في الولايات المتحدة. حتى نتمكن من تحليل بسيط لخلفيات هذا الحدث، وعن المستفيد منه، والتوصيفات التي تمت لاستماره من قبل القوى الإقليمية والدولية، ولتحوله إلى رأس مال تباع وتشتري من خلاله الكثير من القضايا الدولية، وفي مقدمتها قضايا العرب والمسلمين.

فالحدث من حيث الشكل الذي تم به، وبهذا الحجم والدقة في الإصابة لأهدافه ليس بالامر السهل، وتنفيذه بما خطط ورسم له، يصعب على دول كبرى القيام به. فمكان الحدث هو الولايات المتحدة، وهي أقوى دول العالم مالياً وعسكرياً واقتصادياً، والتي تملك أرقي وأحدث وسائل المراقبة والتجسس الجوية والأرضية، مما يسمح لها بالتجسس على العالم كله. إضافة إلى أن لديها شبكاتاً من الجواسيس والعملاء، تعم المعمورة بيرا وبحرا وجواً، وهي تفخر بأن لديها مخابرات مركبة (سي. اي. اي) يحيط بعملائه وأجهزته كل دول العالم. وهي تملك تاريخاً بصناعة المؤامرات من تغيير أنظمة، وتنصيب أخرى على السلطة، وتدرّب جيوش من التنظيمات في مختلف القارات، لتحقيق أهدافها من تغيير الصناعات العرقية والطائفية والقومية، وتدبر الاغتيالات السياسية لكيان المسؤولين في العالم، وتصنع الحروب وبؤر التوتر في أنحاء المعمورة، وتنصت على غرف نوم قادة وزعماء حكومات، وتشترك في كل الخبائث، ولديها من وسائل المراقبة والرصد والتجسس، مما يسمح لها أن تعرف ما يجري في العالم كله.



## \* الفصل الأول

# من صنع أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001؟

في مقابلة صحفية تمت للرئيس السابق للمخابرات الألمانية (إيكهارت فرتباخ)، عن رؤيته عما حدث في نيويورك وواشنطن، وتحليله لقدرة مجموعة صغيرة من تنظيم القاعدة إلتايع لأسامة بن لادن في صناعة هذه الأحداث الضخمة. استبعد أن يقوم بها أي تنظيم، بل في رأيه لا يمكن أن تنفذه إلا دول متقدمة ومتطرفة، وقال (إن هجمات 11/9 كانت تحتاج إلى سنوات من التخطيط. وحجمها يبين أنها نتيجة لأعمال تنظمها دول)<sup>(1)</sup>

فالاختراق للولايات المتحدة بهذه الحجم الضخم، ليس من السهولة بمكان، وخاصة لتنظيم القاعدة، كما تدعي الولايات المتحدة وأجهزتها الأمنية، أو كما يدعى قادة القاعدة عبر أشرطة فيديو، ثبت من قناة الجزيرة القطرية، فتنظيم القاعدة لا يصاهي لا في الشكل ولا في المضمون أحجزتها الأمنية، سواء أكان في الحجم أو الإمكانيات أو القدرات المادية والتقنية وغيرها، فلا توجد مقارنة ولا بأي نسبة كانت.

إضافة أن الموقع الجغرافي للولايات المتحدة المطوق بالمحيطات، لا يسمح بهذا الاختراق السهل. وهذا الموقع المحصن جغرافياً أفشل محاولات أعدائها من الدول العظمى في الحربين العالميتين الأولى والثانية من الوصول إلى برجها. وطالما تغنى الأميركيون بالأمن من خلال موقعهم الجغرافي، الذي صعب حتى على هتلر اختراقه في الحرب العالمية الثانية، أو حتى الوصول إلى شواطئها. كان ولا زال سوراً أمنياً مانعاً يحمي الولايات المتحدة من أي هجوم بري محتمل.

كما إن قواعدها العسكرية مزروعة في دول عددة على امتداد المعمورة، لا يسمح بحدوث ما حدث، إلا عبر تقنيات متقدمة جداً، وخدمات لوجستية ومخابراتية هائلة، سواء في داخل الولايات المتحدة وخارجها، حتى يتم تنفيذ عمليات بهذا

الحجم الضخم، الذي حدث في الحادي عشر من أيلول.  
وبما أن ما حدث في الحادي عشر من أيلول لا تستطيع القيام به أي دولة من الدول المتقدمة اليوم، والتي تناطح الولايات المتحدة بامتلاكها القدرات العسكرية والاقتصادية والمخابراتية. فكيف بابن لادن وامكاناته المتواضعة أمام الولايات المتحدة ومن خلفها الحلف الأطلسي بإمكاناته الهائلة، يقوم بهذا العمل دون غطاء داخلي، وتسهيلات من أجهزة الرصد الاستخباراتي للولايات المتحدة؟.

للدلالة على توفر عطاء مخابراتي من قبل أجهزة أمنية أمريكية وغيرها، أو من أجهزة استخباراتية دولية تعمل في الولايات المتحدة عدم استغلال عامل الزمن لمنع مسلسل الأحداث. حيث نرى أن فارقا زمنياً بين الطائرتين اللتان اصطدمتا في مركز التجارة الدولي في نيويورك يزيد على ثلث الساعة، ووجود فترة زمنية ثانية، بين الطائرة الثانية التي صدمت برج مركز التجارة الدولي، وارتطام الطائرة الثالثة بالبنتاغون في واشنطن المحصن تحصينا بالغا.

فأين غابت تلك القوة الهائلة من القوات المسلحة والأجهزة الأمنية المكلفة برصد الخطر عن بلادها عن منع بقية الطائرات من التنفيذ بعد ارتطام الطائرة الأولى بمراكز التجارة الدولية؟ وكيف لم تستغل القوات المسلحة والأمنية هذا الوقت في درء الخطر بعد الصاربة الجوية الأولى؟ ولماذا ترك هذا الزمن لتنفيذ مخطط الجريمة؟.

والسؤال الآخر الذي يخطر على البال اليوم بعد مضي أكثر من عام، أين الصناديق السوداء لتلك الطائرات، التي قامت بضرب مركز التجارة العالمي والبنتاغون؟ فمن المعروف لدى الجميع أن تلك الصناديق لا تتأثر لا بحرائق أو ماء بحر أو غيرها. لماذا لم يعلن عن وجودها؟ وما هي المعلومات التي احتوتها أشرطتها؟ فحتى تاريخ هذا اليوم لم تعلن الولايات عن اكتشاف تلك الصناديق السوداء، بل لم تقل شيئاً!!.. فيما مصير تلك الصناديق؟ وأين هي الآن؟ ولماذا التكتم عليها من قبل الإدارة الأمريكية؟.

#### \* الحدث فوق طاقة تنظيم القاعدة أو غيره

إن ما حدث في الحادي عشر من أيلول في نيويورك وواشنطن، حسب كل الخبراء من عسكريين واستراتيجيين وباحثين في كل أنحاء العالم، يستغرق إعداده عدة سنوات. فكيف لم يكتشف خلال الإعداد له، الذي قدر بعده سنوات؟ وكيف يكتشف بعد التنفيذ مباشرة وساعات قليلة؟ حيث اتهمت إدارة الأمريكية بعد ساعات من الحدث تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، بالهجمات التي أصابت برجي مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع (البنتاغون).  
فالذي يتمكن من معرفة القائم بالعملية خلال ساعات،

ويملك القدرة الدقيقة في معرفة الفاعل، وبسرعة مذهلة! أليس بالآخر أن يكتشف عمليات التخطيط له، الذي استغرق سنوات؟.

أليس من الغريب أيضاً أن يطلب وزير الدفاع رامسفيلد من الإدارة العسكرية بعد خمس ساعات من الأحداث، وضع خطة لضرب العراق(2)، وكان وزير الدفاع يتربّط هذا الحدث، فيسرع بالاستفادة الفورية من نتائجه، فيضع جدولاً لتوظيف الحدث تنظيم القاعدة وأفغانستان ومن ثم العراق!!

ولماذا أطلقت على دول معينة العراق وإيران وكوريا الشمالية دول محور الشر؟ وهؤلاء ليس لهم آية علاقة بين الحدث لا من قريب أو بعيد، كما نشرت السلطات الأمنية الأمريكية عن مرتكبي الحادث، إلا لنوابها مبنية ومرسومة مسبقاً، ثم تختار سبع دول أخرى اسمها الرئيس الأمريكي بالدول المارقة وهي (العراق وسوريا وإيران ولibia والسودان وإيران وكوبا وكوريا الشمالية) بذرية أنها تهدد الولايات المتحدة على ريعه، هل جاءت التسمية عيناً أم لتصفيه حسابات من دول نهجت نهجاً وطنياً مستقلأً غير تابع لها؟.

وعقب الحدث شنت وسائل الإعلام الغربية المشبوهة حملة على الإسلام، تتهمه بأنه مستودع يفرخ الإرهابيين، وبأنه يعلم اتباعه كراهية الغرب، وأنه خطر على ديمقراطية الغرب.

ولكن لمعرفة المجرم الحقيقي صانع الحدث، لا بد من العودة إلى بديهيات قانون اكتشاف الجرائم، الذي يقول (لمعرفة الجرائم ابحث عن المستفيد). فمن هو المستفيد من نتائج هذه الأحداث سوى الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني!!!؟ فالإسلام المتهم، لم يستفد منه، بل تمت محاصرته، وأخذت بلدانه على حين غرة.

وقد فوجئت به كافة الدول الإسلامية بما فيها حكومة طالبان في أفغانستان، التي يتواجد فيها أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة. والمتابع لسير التداعيات العسكرية والسياسية بعد الأحداث، قد شاهد أن الاستغراب والاستنكار لما حدث، كان يادياً على جميع تلك الدول والمؤسسات الروحية والمدنية الإسلامية، لما جرى في نيويورك وواشنطن.

وهذا ينفي التهمة عن الإسلام والمسلمين، وإن كان تنظيم القاعدة بزعامة ابن لادن تورط به، كما تدعى أشرطة قناة الجزيرة القطرية على لسان أسامة بن لادن وكبار تنظيم القاعدة، أو أشرطة بعض المنفذين / وحتى وأن كانت ملقة، فالتقنيات الحديثة في علم الصوتيات والتصوير قادر على خلق مثل هذه الأشرطة/ فمن المؤكد أنه تم استغلال القاعدة لتنفيذ الحدث، سواء علمت، أو لم تعلم بهذا الاستغلال. وإنها كانت تقوم بهذا الحدث برعاية وتسهيلات ومراقبة أجهزة الأمن الأمريكي والصهيوني.

فالمستفيد كما أشرنا، وسنبنيه فيما بعد هو الولايات

المتحدة والكيان الصهيوني، وفق معادلة قانون الربح والخسارة لدى الرأسماليين والتجار والحركات العنصرية وسياسي الغرب. في بالنسبة للولايات المتحدة الربح أكبر وأعظم من خسارة برجين وقسم من البنتاغون. أما عن الصهاينة لا يهتم بهم من صنع، وشارك، وغطى الحدث، أما تحقيق أرباح سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية.

والمستفيد الرئيسي الثاني من الحدث الكيان الصهيوني، فقد عادت له الأحداث بمكاسب كبيرة، سواء بتغطيتها للجرائم الهائلة، التي يرتكبها بحق الشعب العربي الفلسطيني وأرضه، أم في صرف أنظار الرأي العالمي عن هذه الجرائم. كما أتاحت له فرصة لصق تهمة الإرهاب بالمقاومة الفلسطينية.



## \* الفصل الثاني

# دروس من تاريخ الولايات المتحدة في صناعة أحداث ل تستفيد منها.

وال التاريخ كما قلنا أعلاه علمنا الكثير حول صناعة المؤامرات والجرائم، التي يرتكبها وتحيكلها الدول الكبرى الطامعة بثروات غيرها، ومن ثم الصاقها بالآخر. وتاريخ المخابرات المركزية الأمريكية أو الموساد الصهيوني حافل بمثل تلك الجرائم، ومن ثم الصاقها بالعرب وغيرهم من الشعوب المناهضة للهيمنة والمشروع الصهيوني. ففي مسألة المريخ والخسارة يدقق كلاهما في المسألة، وحين يتبيّن لهما أن الربح كبير، فلا يمتنعان عن تنفيذ أي جريمة أو مؤامرة، وإن كانت تتطلب التضحية بجنددهما أو مواطنיהם.

فالولايات المتحدة لها باع طويل في صناعة مؤامرات وأحداث، واتهام الخصوم بها، فالتاريخ يتحدث عن قصص حديث من قبل، جرى فيها قتل وحرق وتدمير لمنشآت وإلات حربية من قبلها، ومن ثم تقوم باتهام الآخرين بها. فمنذ النشأة الأولى لها، تمت إبادة الهنود الحمر تحت ذرائع واهية كاذبة. كما قام بعض البحارة الأمريكيون في عام 1898 بحرق سفينة الماين، وقتل 266 بحاراً فيها من زملائهم البحارة الأمريكيين، واتهموا الأسبان بها بغية إشعال حرب معهم للسيطرة على الجزيرة الإيكوبية، التي كانت مستعمرة من قبل أسبانيا وفرض الحماية الأمريكية عليها.

و حروب السنوات الأربع في بداية القرن التاسع عشر مع دول المغرب العربي، تمت هي الأخرى بنفس الطريقة، والقصص كثيرة عن ممارسات الولايات المتحدة في صنع جرائم واتهام الآخرين، بغية هدف رسمته، لتحقيق من خلاله أرباحاً تعادل عشرات المرات من خسارتها. وكذلك الحركة الصهيونية فتاريχها حافل بمثل تلك الجرائم، واتهام الآخرين بها، حتى وإن كانت تلك الجرائم تؤدي بحياة المئات من اليهود.

## \* من الشواهد على تصنيع الحدث

ومن الدلائل القليلة التي توفرت بعد عام من أحداث 11 أيلول 2001، قد اعترفت الإدارة الأمريكية يوم الخميس 19 أيلول 2002 في ردتها على الكونغرس الأمريكي، بأنها كانت على علم بالتهديدات التي يشكلها أسامة بن لادن قبل 11 أيلول عام 2001. وادعت أنها لم تكن تملك ما يكفي من المعلومات الاستخباراتية الدقيقة للحؤول دون وقوع الهجمات على نيويورك وواشنطن.

واعترفت في ردتها، أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية تلقت عشرات التحذيرات، بشأن إمكانية حصول هجوم، لكنها تجاهلتها. وهذا ما أكدته رি�تشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية في شهادته المكتوبة أمام اللجنة المؤلفة من مجلس الشيوخ والنواب، واعترف أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية تلقت العشرات من التحذيرات، تشير إلى إمكانية استخدام الطائرات كسلاح.

ويرى عدم اتخاذ الإجراءات الأمنية المطلوبة، قائلاً: (لكن أيّاً من تلك التحذيرات لم يتبنّاها هجمات الحادي عشر من أيلول). وادعى (أن ما لم نعلمه كان على المستوى التكتيكي، لم نكن نعلم ما هي الأهداف التي ينوي تنظيم القاعدة مهاجمتها، ومتي وكيف?).<sup>(3)</sup>

وكانت السيدة إليانور هيل رئيس لجنة التحقيق الذي يجريه الكونغرس حول اخفاقات أجهزة الاستخبارات، قد قدمت تقريراً للجنة يوم الأربعاء 18 أيلول 2002 من ثلاثة صفحات، أكدت فيه أن هذه الأجهزة، كانت على علم بخطر وقوع هجمات، تستخدم فيها طائرات مدنية قبل هجمات 11 أيلول 2001. لكنها اعتبرت تلك الأجهزة أن هذا الخطر ليس كبيراً.

ومن المعلومات المثيرة التي أوردتها السيدة هيل في تقريرها، أن المعلومات الأولية حول احتمال شن هجمات بالطائرات، يعود إلى عام 1994، حين خطف مسلحو جزائريون طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية، وهددوا بتفجيرها في برج إيفل. وقالت إنه في عام 1995 داهمت الشرطة الفيليبينية شقة في مانيلا، وعثرت على وثائق تفيد عن مؤامرة لصدم طائرة في المركز الرئيسي لوكالة الاستخبارات المركزية قرب واشنطن. واحد وأربعين في تفجير مركز التجارة العالمي عام 1993. أما الثاني فهو خالد الشيش محمد، الذي يعتقد المسؤولون الأمريكيون أنه العقل المدبر لهجمات 11 أيلول. وجاء في التقرير أن أجهزة الاستخبارات تلقت تقريراً في كانون الثاني عام 1996 من مصادر يعتقد بها، يفيد عن تحطيط تنظيم القاعدة لعملية تقضي بانطلاق طائرة من أفغانستان إلى الولايات المتحدة، وتصطدم بالبيت الأبيض. وفي عام 1997 تلقت أيضاً تقريراً بان مجموعات إرهابية اشتربت طائرات،

لتضرّب بها ميان في الولايات المتحدة. وفي آب 1998 تلقت تقريراً يفيد بأن نشطاء عرب، يخططون لقيادة طائرة محملة بالمتفجرات من بلد أجنبي، وصدمها بمركز التجارة الدولي. وفي أيلول من نفس العام علمت الأجهزة أن ابن لادن، يخطط لتفجير طائرة في إحدى المطارات الأمريكية. وبعد أسبوعين وردت معلومات، تفيد أن ابن لادن سيستهدف مركز التجارة الدولي.

وفي شباط 2001 وردت معلومات جماعتها تؤكد أن ابن لادن سيضرب في الأشهر المقبلة، وأن الهجوم سيكون في نيويورك وكاليفورنيا. وفي نيسان 2001 وردت معلومات أن ابن لادن مهتم باستخدام طائرات تجارية للقيام بهجمات في الولايات المتحدة. وفي أيار وحزيران من العام نفسه ورد /23/ تقريراً، أفادت أن الهجوم وشيكاً. وفي نهاية صيف عام 2001 أكدت معلومات للمخابرات الأمريكية المركزية أن تنظيم القاعدة، يستعد لشن هجوم في الولايات المتحدة. وفي 10 أيلول 2001 رصدت أجهزة الاستخبارات مكالمتين هاتفيتين تتحدثان عن هجوم وشيك، ولم تترجم المكالمتين إلى اللغة الإنكليزية إلا في 12 أيلول 2001 (4)

## \* الفصل الثالث

# روايات تحمل الكثير من التغرات

## عن دور تنظيم القاعدة في صناعة الحدث

من المفارقات التي تدعو إلى إعادة صياغة الأحداث بشكل تسلسلي، حتى يتثنى للباحث أن أصوات المخابرات المركزية غير بعيدة عن صناعة الأحداث، من خلال المشاركة والتسهيلات اللوجستية، وغض الطرف والحماية، وعدم منع الحدث قبل وقوعه. فمن بعض المواقف التي تدعو للشك، فترى أن زياد الجراح أحد المتهمين في تنفيذ هجمات 11 أيلول هو من المطلوبين من قبل الأجهزة الأمنية الأمريكية، يتم توقيفه على طلب تلك الأجهزة في مطار دبي عام 1998، وهو في طريقه إلى لبنان، ومن ثم يسمح له بالسفر بعد اتصال مسؤول أمريكي في المخابرات المركزية.

أما خالد المجدار أحد أبرز منفذي الأحداث، فقد عممت الأجهزة الأمنية الأمريكية على مطاراتها وحدودها وسفاراتها، بأنه رجل خطير على الولايات المتحدة الأمريكية، فإذا به يدخل إلى الولايات المتحدة بتأشيرة دخول أمريكية، ويتم التغاضي عنه في المطار، وتم ذلك قبل وقوع الأحداث بثلاثة أسابيع. وادعت المخابرات المركزية الأمريكية أنها علمت به، ولكنه فر عن مراقبتها.

وذكر يا الموسوي الفرنسي الجنسي المغربي الأصل، تعلم المخابرات المركزية بأنه حسب ما توفر لديها من معلومات من قبل الأجهزة الأمنية الفرنسية والغربية، بأنه كان يعد لعمل ضد المصالح الأمريكية. لكنه يدخل للولايات الأمريكية بأمان، وحين نطلب بعض الأجهزة الأمنية من إدارتها تفتيش جهازه الحاسوب (الكومبيوتر)، تتدخل الإدارة العليا في الأجهزة، وتنعها من التفتيش.<sup>(5)</sup>

ومن الدلائل على صناعة الحدث من قبل الأجهزة الأمنية، أن عميلاً للمخابرات يدعى (فينكس) يعمل في ولاية أريزونا، قدم مذكرة إلى المخابرات المركزية، بين فيها ازدياد العرب

الذين يدرسون الطيران. وتقدم بتقرير في 2 تموز من عام 2001 حذر المباحث الفدرالية من حملة هجومية جوية على أمريكا. كما حذرت المخابرات المركزية في 6 آب 2001 من هجمة على الولايات المتحدة ستتم لها علاقة بالطيران.

ومن السخرية أن يبرر أحد المسؤولين في المخابرات المركزية مرور المكلف بحمل السكاكيين إلى الطائرة المختطفة من بوابة التفتيش، التي تذر لوجود إبرة لا سكين من دقتها، دون أن يتم تفتيشه، ومن ثم إيقافه من قبل رجال الأمن في المطار. فيبرر هذا المسؤول عملية المرور دون تفتيش قائلاً: لقد أندثرت أجهزة التفتيش عند مرور حامل السكاكيين البوابة، إلا أن مرور فتاة جميلة في نفس اللحظة، سحرت عينا الحراس وبقي ملتفتا عليها، مما جعلته يسمح له بالدخول دون تفتيش، ويركب الطائرة. هل هذا معقول؟<sup>(6)</sup>. إلا في العرف الأمريكي، الذي يجد مبررات له، وإن كانت تافهة.

الاكتشاف الأول عقب الحدث مباشرة عن علاقة القاعدة بهذا الحدث من قبل إف. بي. آي، يذكر بدخول عمالء من شبكة ابن لادن للولايات المتحدة الأمريكية، وأنهم تدربوا على قيادة الطائرات بصورة سريعة، وأنهم خطفوا الطائرات بعد أن تقسموا إلى مجموعات.

وفي 14/9/2001 أعلنت أسماء تسعه عشر بادعاء أنهم قاموا بعملية الخطف: 1- خالد المحدار ( سعودي الجنسية). 2- ماجد مقعد ( سعودي ). 3- نواف الحازمي ( سعودي ) . 4- سالم الحازمي ( سعودي ). 5- هاني حنجور. 6- سطام السقامي ( سعودي ). 7- وليد الشهري ( سعودي ). 8- وائل الشهري ( سعودي ). 9- محمد عطا ( مصرى ). 10- عبد العزيز العمري ( سعودي ). 11- مروان الشحبي. 12- فايز رشيد أحمد القعدي بني حماد. 13- احمد الغامدي ( سعودي ). 14- حمزة الغامدي ( سعودي ). 15- سعيد الغامدي ( سعودي ). 16- احمد إبراهيم الحزناوي ( سعودي ). 17- احمد النعمي. 18- زياد الجراح.

وكذبت السفاره السعوديه في واشنطن هذا البا، فقالت أن خمسة من هؤلاء هم أحياء، يقيم أربعة منهم في وطنهم، وهم: عبد العزيز العمري ومهند الشهري وسالم الحازمي وسعيد الغامدي، والخامس يعمل طيار في خطوط الجوية المغربية وهو وليد الشهري يقيم في الدار البيضاء. ونفي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية وجود أي دليل قدنته الولايات المتحدة عن علاقة السعوديين بهذا الحادث.

ويسأل تيري ميسان كيف تم اكتشاف أسماء هؤلاء الانتحاريين؟ قائلاً: ( وإذا ما راجعنا اللوائح باسماء الصحايا المنشورة من قبل شركات الطيران بتاريخ 13 أيلول، نفاجأ بعدم إدراج أسماء القراءنة عليها).<sup>(7)</sup> فكيف عرفت إذا تلك الأسماء، إن لم تكن مدرجة مع أسماء الصحايا؟. أليس هذا الأمر مسبق الصنع؟.

وذكر كل من وزير العدل جون أشكروفت ومدير جهاز أف. بي. أي روبرت مويلر في 28/9/2001، بأنه وجدت رسائل تتضمن تعليمات للانتشاريين في حقيبة، قد تركها أبرز قادتهم محمد عطا، ليتمكن من صعود الطائرة. وفق أقوال جهاز أف. بي. أي.

وقالوا أنهم وجدوا أيضاً نسخة مماثلة في حقيبة نواف الحازمي، تركها في مطار دالس، أما الأغرب ما تم ادعاؤه، هو أنهم وجدوا نسخة في بقايا الطائرة، التي تفجرت فوق سطوني كريك تانوت شب في بنسلفانيا. والغراية تأتي كيف تصمد ورقة تعليمات من الحريق، الذي أصاب الطائرة، في حين صهر الحريق الصندوق الأسود الذي لا يتأثر بالنيران!!؟.

أكذوبة من أكاذيب الأجهزة الأمنية الأمريكية والإدارة أيضاً، كما ادعت من قبل أنها وجدت جواز سفر محمد عطا بين أنقاض برج التجارة الدولية، وكيف تنصره الطائرة، والفولاذ الذيبني به البرجين، وبقي جواز سفر محمد عطا سالما!!؟ من أي نوع صنع هذا الجواز!!؟ قد يكون صنع من مواد قد جلبت من الشعوب لا ندرى !!..

لنرى لماذا في تلك الورقة كما تدعى وزارة العدل وجهاز أف. بي. أي؟ فقد تضمنت التالية:

- (1- عاهد نفسك على الاستشهاد وحدد نيتك به. احلق جسدك وظهوره بماء الكولونيا. واستحم.
- 2- تأكد من حسن اطلاعك على جميع تفاصيل الخطة وكن مستعداً للرد المعاكس ورد فعل العدو.
- 3- اقرأ سورتي التوبة والأنفال تمعن بمضمونهما وفكر بكل ما وعد الله به الشهداء.).(8)

## \* القاعدة وفق الإعلام القطري والغربي تتبني أحداث 11 أيلول 2001

وفقاً للإعلام القطري (قناة الجزيرة) والإعلام الغربي الأمريكي، تم الادعاء بأن تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن قد تبني هجمات الحادي عشر من أيلول على نيويورك وواشنطن. هذا التبني وعلى الرغم من الاشتراط المفترضة والمصنعة، لا يزال موضع شك لدى معظم المحللين العسكريين الاستراتيجيين والمراقبين للأحداث العالمية، بسبب ضخامة الحدث، والمتطلبات التقنية العالمية لتصنيعه، وضرورات توفر إمكانات هائلة لتنفيذ هذه الدقة كما بياناً أعلاه.

وعلى الرغم من أكذوبة البنتاغون، الذي نشر شريط الاعترافات، التي قيل أن أسامة بن لادن أدى بها في 13/12/2001. فقد جاء بث الشريط بعد إلحاد داخلي ودولي على الإدارة الأمريكية، لتقديم الأدلة عن تورط ابن لادن وتنظيم القاعدة بأحداث نيويورك وواشنطن. ومما يبين حالة التزوير والتلفيق للشريط، فقد جاء متطابقاً تماماً مع كل أكاذيب وزييف

الادارة الأمريكية وأجهزتها الأمنية، التي أعلنت عنها عقب الأحداث مباشرة، وكان الإف. بي. اي. أو السي. اي. قد قام بتلقين ابن لادن ما يقول في الشريط.

ثم تالت الأشرطة التلفزيونية المسجلة لابن لادن وبعض من قيادة التنظيم ولأحد المنفذين في قنات الجزيرة القطرية عبر أشرطة مشكوك في مصدرها، وقيل أن مؤسسة تدعى (السحاب)، هي التي تقوم بالتسجيل والتصوير، ثم تقوم بإرسالها إلى قناة الجزيرة القطرية. لماذا قناة الجزيرة؟

والجواب لتفتي الأدارة الأمريكية عن نفسها عملية التزوير، وتقول إن مصدرها جاء من قناة عربية، ومن المعروف أن تنظيم القاعدة في غالبيته من العرب وخاصة من أبناء الجزيرة العربية والخليج، ورأس التنظيم سعودي الجنسية، فتكون بذلك مصداقيتها لدى الرأي العام الغربي أكثر تصديقاً، من أن هي التي أذاعتها أو مصدرها الوحيد.

وكما قلنا لقد قدمت الأشرطة معلومات كل ما جاء فيها، كان متطابقاً مع الرواية الأمريكية تماماً. لتأكيد مصداقية ادعاءاتها ياتهام تنظيم القاعدة بالمسؤولية عن أحداث الحادي عشر من أيلول. وكما أشرنا إن تقنيات العصر في صناعة وسائل التزييف والتحوير لتلك الأشرطة ممكنة لدول وأشخاص من هم أقل من إمكانيات الولايات المتحدة.

علمًا أن أجهزة المخابر المركبة بارعة في صناعة الأشرطة التلفزيونية المزيفة. فقد لعبت الأشرطة المزيفة دوراً هاماً في إثارة الرأي العام في رومانيا على تشاؤشيسكو، حين أظهرت صوراً لجثث ضحايا، أدعى أنهم قتلوا على يد مخابر تشاؤشيسكو، ثم تبيّنت بعد تغيير النظام في رومانيا وإعدام تشاؤشيسكو، أنها كانت ملفقة ومزورة. وكذلك تمت صناعة شريط من قبل المخابر المركبة تصور صدام حسين يرقص مع الممثلة الأمريكية مادونا.

ومن أشكال التزوير الإعلامي ما حدث في حرب الخليج، حين تم عرض شريط تلفزيوني يعرض جنوداً عراقيين يقومون بإلقاء الأطفال حديثي الولادة في حاضناتهم من نوافذ مستشفى كويتي. ويعرض أيضاً فتاة كويتية تبكي وهي تروي كيف يقوم الجيش العراقي بهذه الأعمال الوحشية في الكويت؟. وبين بعد ذلك أن الفتاة كانت تعيش في لندن مع أبيها سفير الكويت في واشنطن، ولم تكن في الكويت أثناء الاحتلال العراقي للكويت. كما صورت المخابر المركبة فلماً لابن لادن نفسه وهو يقطع رؤوس معارضيه.(9)

ويقول تيري ميسان الصحفى الفرنسي في كتابه (التضليل الشيطاني) عن شريط الاعتراف الذى أذيع لابن لادن: (إن عميل ابن لادن لم يعمد فقط إلى تدعيم الأكذوبة القائلة أن انهيار البرجين تم بفعل الاحتراق، وأكذوبة سقوط الطائرة على البنتاغون، بل حرص على مجافاة البداهة. حقاً فإن الشريط

پنتهيي بهذا التعليق: " كانوا (أي الأميركيون) مذعورين، وقد ظنوا أن الأمر يتعلق بانقلاب سياسي." (صدق) عدو الولايات المتحدة رقم (1) هو الذي يؤكد ذلك.(10).

وقد شكك ونفي الرئيس الباكستاني برويز مشرف في نيويورك، أثناء زيارة لها، إمكانية تنفيذ مثل هذا الحدث من قبل تنظيم القاعدة، لافتقار تنظيم القاعدة القدرة على تنفيذه، فقال أنه غير مقنع بأن أسامة بن لادن، هو الذي كان وراء أحداث الحادي عشر من أيلول. وأكد لا يمكن لابن لادن، أن يكون قادرًا على فعل هذا الأمر.(11)

## \* الفصل الرابع دلائل على أصابة الموساد

لعب الكيان الصهيوني دوراً بارزاً في صناعة أحداث نيويورك وواشنطن. فقد كشفت بعض المعلومات التي أعقبت الأحداث مباشرة، عن اعتقال الشرطة الفيدرالية الأمريكية (أف. بي. آي) لخمسة من الإسرائيлиين في مدينة نيوجرسى القريبة من نيويورك، للاشتباه بعلاقتهم بالتفجيرات التي جرت في الحادي عشر من أيلول 2001. وأعترفت صحيفة هآرتس الصهيونية أن الخمسة المشتبه بهم بالتورط بالانفجار، تم اعتقالهم بعد أربع ساعات من وقوع التفجير في نيويورك، أثناء قيامهم بالتصوير على سطح بناء الشركة، التي يعملون بها، بالتعاون مع صاحب الشركة الإسرائيلي أيضاً.

ونقلت الصحيفة عن أحد المعتقلين قوله: إن الشرطة الفيدرالية الأمريكية استجوبتهم لمدة ثلاثة أيام. في حين حقت معه شخصياً لمدة أربع عشرة ساعة متواصلة، خصوصاً عن انتماسه لجهاز الموساد الإسرائيلي، بعد أن تبين أن لديه الجنسية الإسرائيلية.

وأكّدت هآرتس نقاً عن مصادر الخارجية الإسرائيلية، أن القنصلية الإسرائيلية في نيويورك، تلقت معلومات من مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية (أف. بي. آي)، حول ظروف الحادث، كما تستذكر السلوك الغريب بعد تفجير نيويورك، من قيام الإسرائيلىين بالرقص والقهقهة ابتهاجاً بالانفجار المدمر. وأبلغ مكتب التحقيقات الأمريكية القنصلية الإسرائيلية، أنه سيتم طرد هؤلاء الإسرائيلىين الخمسة من الولايات المتحدة، لتواجدهم فيها بشكل غير قانوني، ولعدم حصولهم على تصاريح عمل. (12)

وكشفت صحيفة الوطن العمانية أن أكثر من أربعة آلاف إسرائيلي، يعملون في مركز التجارة الدولية، تغيبوا عن عملهم يوم الاعتداء على المركز، بناء على إيعاز من الحكومة الإسرائيلية. ونقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية غربية قولها

إن عدم التحاق الإسرائييليين بأعمالهم يوم الهجوم، أثار شكوكاً لدى المسؤولين في الحكومة الأمريكية، الذين يحاولون معرفة كيف علمت الحكومة الإسرائيلية بخبر الهجمات بشكل مسبق، وإخفاء تلك المعلومات عن الحكومة الأمريكية.

وأكّدت مصادر صحفيّة، أن التقارير الإخبارية الأولى التي وصلت من نيويورك، عقب الهجوم، أشارت أن عدداً كبيراً من الإسرائييليين واليهود، يعملون في مركز التجارة العالمي، ولكن لم تذكر أية أخبار لاحقة شيئاً عن وجود إصابات بين الإسرائييليين واليهود. وهذا ما يثير الشكوك بشأن دور إسرائيلي في أحداث نيويورك وواشنطن.(13)

وكشفت صحيفة ألمانية تصدر من هامبورغ تسمى (دي تسايت) في 2/10/2002 في تقرير لها من أربع صفحات عن ملف للمخابرات الفرنسية، أن الاستخبارات الإسرائيليّة (الموساد) حذرت مسبقاً الولايات المتحدة بشأن مخططٍ هجمات 11 أيلول 2001. ويظهر من الملف الفرنسي أن الموساد كان يتبع الخطوات العلمية لتنفيذ هجمات الحادي عشر من أيلول. حيث قام باستئجار إحدى الشقق في بلدة هوليود في ولاية فلوريدا لفريق من الموساد على مقربة من شقة محمد عطا وموان الشحي، ومن المعروف أن العطا هو أبرز المتهمين في قيادة الهجوم الجوي على مركز التجارة الدوليّة وكان رئيس الفريق المخابراتي الصهيوني يدعى (حنان سيرفاتي)، كان يقيم قرب مركز البريد في هوليود، حيث استأجرت مجموعة عطا صندوق بريد لها.

ومن القراءة الأولى لمحريات الأحداث يظهر دوراً جلياً للموساد الصهيوني في صناعة الحدث والمشاركة فيه. ثم انتظار وقوعه في وقته الزمني، والإلّا لماذا تواجد خمسة من الموساد الصهيوني على إحدى البنيات لتصوير الحدث قبل وقوعه. وانتشار ما يقارب المائة والخمسون من الموساد في أماكن الأحداث؟ ألا هذا يدل على امتلاك الكيان الصهيوني لمعلومات عن الحدث قبل وقوعه؟. هذا إن لم يكن مشاركاً فيه، أو من صنعه؟. ولماذا بعد ساعات قليلة تم اكتشاف اسم الفاعل (ابن لادن)؟.

وتقول المخابرات الفرنسية في تقريرها: أن تلك الحقائق توحّي بأن الموساد كان يراقب المجموعة، وأن الإسرائييليين قدموه للأمريكيين قبل أسبوع عدة لوقوع الهجمات لائحة باسماء أشخاص موحدين في الولايات المتحدة، يشتبه في أنهم يعدون لهجوم إرهابي.

كما أكد الأمريكيون عن وجود شبكة تجسس تابعة للموساد، كانت تضم 120 عميلاً، في 30 نيسان 2001، كانت تتبع تلك المجموعة، وأنها قامت باعتقالهم واستجوابهم قبل طردتهم. (14)

ومن الملاحظات التي تؤكد صلوغ الكيان الصهيوني في أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، عن تاجيل زيارة كانت مقررة لرئيس وزراء الكيان الصهيوني قبل يومين من الأحداث. وكذلك تاجلت زيارة وزير الدفاع الصهيوني كانت هي أيضاً مقررة للولايات المتحدة قبل الحدث بيومين. في حين نجد أن الوزير الصهيوني السابق أفرام سبيه، الذي كان في الولايات المتحدة وقت الأحداث، أقام غرفة عمليات في نيويورك بعد الأحداث، وهذا مخالف لكل الأعراف الدولية.

ومن الملاحظات الأخرى قيام عدد كبير من اليهود في الكيان الصهيوني ببيع أسهمهم من شركات الطيران الأمريكية قبل الأحداث بستة أيام، وقد جنوا بعدها أرباحاً هائلة بملايين الدولارات(15).

وكشفت صحيفة هآرتس عن تلقي مؤسسة (أوديجو) الصهيونية، وهي مؤسسة تعمل في مجال البريد الإلكتروني إنذاراً بقيام هجوم على مركز التجارة الدولي في نيويورك قبل ساعتين من حصول الهجوم، وقد اعترف مدير المؤسسة (ميشا ماكوفر) بحصول مؤسسته على مثل هذا الإنذار(16).

ومن الأبحاث الجديدة لبعض خبراء حوادث الطيران حول أحداث الحادي عشر من أيلول. فقد رأى بعض الباحثين المصريين ومنهم المستشار الدكتور حسن احمد عمر الرئيس السابق في محاكم الاستئناف المصرية، أن هناك تشابهاً بين الانفجار الذي حدث انفجار الطائرة الإسرائيلية في أمستردام الهولندية يوم الأحد 4/11/1994، والتي كانت تحمل غازاً ساماً منقولاً من نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مطار تل أبيب في الكيان الصهيوني. حيث وقفت تلك الطائرة في مطار أمستردام للتزود بالوقود، وحين إقلاعها انفجرت، وسقطت على حي سكني في العاصمة الهولندية، أدى الحادث إلى مقتل (250) شخصاً من أهالي الحي المذكور، إضافة إلى ركاب الطائرة. وبقي الأمر غير معروف حتى كشفته الصحف الأوروبية والصهيونية، وبينت أن الطائرة محملة بالغاز السام (أويسيد فلوفستاتيك).

والعلاقة ما بين حادث نيويورك وأمستردام، هو التشابه في الاحتراق الكامل للطائرة. حيث أن الغاز المذكور الذي كانت تحمله الطائرة الصهيونية، يذيب الالمنيوم الذي صنعت منه الطائرة، والغواص أيضاً، بسبب الحرارة الشديدة التي يطلقها الغاز بعد الانفجار، فهو يصهر الطائرة بالكامل.

فالطائرات التي أذيع بأنها قامت بعمليات التفجير على مبني التجارة الدولية في نيويورك، ومبني البنتاغون في واشنطن، والتي أسقطت في بنسلفانيا قد احترقت بالكامل. فلو فرضنا أن الطائرات التي ارتطمت بمركز التجارة الدولية والبنتاغون، تمت إذابتها بفعل الاصطدام، فالطائرة التي سقطت

في بنسفانيا لماذا احترقت وذابت؟ إن لم يكن قد حملت هي والطائرات بالغاز السام الذي حملت به الطائرة الصهيونية، التي سقطت على حي في أمستردام، مع العلم لا يوجد هذا الغاز إلا في الولايات المتحدة، ولم يسمح ببيعه إلا للكيان الصهيوني.

ومن المشاهدات لبعض المحللين، أن الانفجار ولد سحابة غبارية، كما تظهر الصور التي التقطت لها، وهي عبارة عن تفاعل البنزين الذي في الطائرة مع الكيماوي المحمولة به. كما ظهر في الصور التي صورت السحابة الغبارية، التي ظهرت مع انفجار طائرة أمستردام طبق الأصل. وبذلك نرى تطابقاً ما بين ما حدث في أمستردام ونيويورك، والمفجر والمخطط والمنفذ واحد من حيث التشابه والتتطابق، وهذا يوضح أن الذي حمل الطائرات بالغاز السام واحد في أمستردام ونيويورك وواشنطن وبنسلفانيا. في حين نجد الرواية الرئيسية الأمريكية التي تستهزئ بعقول الناس، تقول إن الإرهابيين الذين فجروا الطائرات، بعد أن سيطروا عليها بالسكاكين، التي حملوها معهم بالطائرات.

أما عن عملية السيطرة على الطائرة، وتوجيهها، وحرفها عن مسارها بواسطة السكاكين، رواية أمريكية تتضمن الكثير من الكذب، لاستحالة الأمر مع وجود هذا الجمع في الطائرة. ولكن الذي يمكن تصديقه، هو السيطرة على الطائرة من خلال الطيار الآلي، والتحكم به عن بعد، وتوجيهه أرضياً من قبل القوى المستفيدة من هذا الحدث.

وبذلك تكتمل لنا الصورة، لنؤكد أن تعاوناً تم ما بين المخابرات المركزية والموساد وباطلائع الإدارتين الصهيونية والأمريكية، لصناعة الحدث، لتحقيق أهداف استراتيجية على مستوى العالم.

وإن كان لتنظيم القاعدة دور في التنفيذ، فقد تم تسهيل ركوب عدد من تنظيم القاعدة في الطائرات، وزودت الطائرات بالغاز السام، الذي يبعث حرارة عالية تصرخ الطائرة، بحيث تختفي كل معالم الجريمة، بما فيها الصناديق السوداء، وجرى التحكم بالطائرات عن طريق الطيار الآلي، وتوجيهها نحو أهدافها المحددة، وفجرت بعد ذلك، وتم إصاقها بالعرب والمسلمين لتحقيق أرباحاً جمة تعادل آلاف ما تم خسارته.

ومن شاهد الفيلم السينمائي (القبيلة الطويلة)، الذي أنتج قبل الأحداث، يبين كيف تصنع المخابرات المركزية والموساد عملية انفجار مركز التجارة الدولي، ومن ثم تتهم به المسلمين.

وليس المحللين العرب وبعض الأوربيين يؤكدون ما قلناه، بل هناك العديد من المحللين الأمريكيين الموصوين، يؤكدون أن ما جرى هو من صنع المخابرات المركزية والموساد الصهيوني. وأخر من تحدث بذلك أمير شعراء نيوجرسى / أميري باراكا / الذي أتهم اليهود بالتفجيرات التي حدثت في نيويورك

وواشنطن حيث جاء في قصيدة له بعض التساؤلات قال فيها:

- من كان يعلم أن مركز التجارة العالمي سينسف؟
- من أخبر أربعة آلاف إسرائيلي يعملون في البرجين أن يلتزموا منازلهم في ذلك اليوم؟
- ولماذا بقي شارون بعيداً؟

وعلى الرغم من احتجاجات منظمة يهودية على قصيده، تحت ذريعة أنها تشوّه سمعة اليهود، وتوذّي مشاعرهم. وطالبت من حاكم ولاية نيوجرسى بسحب لقب أمير شعراء نيوجرسى عنه. إلا أن باراك رفض سحب القصيدة، وقال لصحيفة نيويورك تايمز: أنه مقتنع أن إسرائيل كانت على علم مسبق بهجمات الحادي عشر من أيلول، وأنه مستعد للدفاع عن رأيه، وأنه لا يعتزم الاستقالة عن إمارة الشعر.

ومضى يقول للصحيفة: (من الواضح أن الإسرائيلىين كانوا على علم بهجمات الحادى عشر من أيلول، شأنهم شأن الرئيس الأمريكى جورج بوش. وأن السماح بوقوع الهجمات خدم البيت الأبيض فى أفغانستان والعراق وبقية الشرق الأوسط). (17)



## \* الفصل الخامس الحدث يكذب الرواية الأمريكية

كتب الصحفي الفرنسي (تيري ميسان) كتاباً سمي بـ(الخدع الكبيرة)، كما ترجم للعربية، أو (التضليل الشيطاني) الصادر عن دار الوطنية الجديدة بدمشق عام 2002. يوضح فيه الإدارة الأمريكية ومحاولاتها في تضليل الرأي العام الأمريكي وأدولي عن حقائق الحدث ووقائعه، ويؤكد أن هذا التضليل تم في صناعة أكذوبة ارتظام طائرة وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) ويقول: (الحاصل: إن هذه الخرافات المريرة بنيت تدريجياً الكذبة تلو الكذبة، فإذا ما عدتم إلى بيان البنتاغون الأول.. سوف يتبيّن لكم أن لا ذكر لطائرة البوينغ فيه. لم تظهر نظرية (الطائرة الانتحارية) إلا بعد مضي نصف ساعة، كما أن مسألة مطاردة الطائرة الشبح لا أثر لها في الإفادة التي أدلى بها قائد الأركان العام، ولم يتم اختلاق قصة ضلال الطائرات الـ 16 من قبل NORAD إلا بعد مرور يومين.

إن الرواية الرسمية محض دعاية، ويبيّن أن 125 شخصاً لقوا حتفهم في البنتاغون، واحتفت طائرة تقل 64 راكباً؟ ما هو مصير الرحلة 77 للخطوط الأمريكية (AA)؟ هل لقي ركابها حتفهم؟ إذا كان الرد بالإيجاب، من قتلهم ولماذا؟ وفي حال العكس، فما هي تلك مجموعة من الأسئلة التي يتوجب على الإدارة الأمريكية الإجابة عنها). (18)

وعن الدقة اللامتناهية في إصابة البرجين من قبل طائرتين مدنيتين، فيقول تيري ميسان: (إن عرض كل من البرجين لا يتجاوز 63,70 متراً، وأكبر عرض لطائرة البوينغ 47,60 متراً. وقد لاحظنا على أشرطة الفيديو كيف أن الطائرتين قد ضربتا الهدف بدقة في وسطه، ولو أن أيّاً من الطائرتين انحرف عن مسارها مسافة 55.65 متراً لكانتا أخطأتا الهدف كلّياً. كم يلزم ثلاثة عشر الثانية لقطع مثل هذه المسافة بسرعة متوسطة مقدارها 700 كلم / ساعة). وتلك تحりٍ يُستلزم تنفيذها من المهارة مستوى لا يتمتع به سوى طيارين أفاداً، ذلك نظراً لقدرة هذه الأجهزة المحدودة على المناورة، فكيف إذا كان

## القبطان من الهواة؟.(19)

وتحدث تيري ميسان عن استخدام منارة إلكترونية لبلوغ الطائرتين الدقة في الهدف، تصدر عنها (إشارة صادرة من نقطة الهدف كفيلة بتوجيه الطائرة إليها ألياً). وقال أن وجود مثل هذه الإشارة كانت موجودة في مركز التجارة الدولية، وقد التقاطها بواسطة إذاعات لهواة الراديو، وسجلوها لأنها تقاطعت مع بث هوائيات التلفزة المنصوبة على سطح البرجين.(20)

ومن مجريات تنفيذ الحدث، تبين أن صناعته فوق طاقة هؤلاء الطيارين حديثي المهارة في الطيران، غير قادرین على توجيه الطائرات بهذه الدقة والسرعة والقدرة على المناورة، ما ظهر في الاستدارة للطائرة الثانية التي اصطدمت في برج التجارة الدولية. فإن كانت الطائرة استطاعت الثبات على مسارها لأنها في اتجاه الريح. فإن الريح كانت مضطربة للقيام بمناورة التناقض معقدة لأنها تعكس اتجاه الريح، فكيف استطاعت الارتطام بوسط البرج أفقياً كالطائرة الأولى؟ ويعجز عنه طيارين محترفين وذوي خبرة عالية!!.

يقول ميسان: (.. في كل الأحوال كان لا بد من وجود من يساعد على الأرض. فإن تأمين ذلك لا يعود ضرورياً وجود قراصنة كثر على متن الطائرة، ذلك يكفي وجود فريق صغير لوصول الطائرة بالطيار الآلي. ومن ناحية أخرى إن صعود قرصنة على الرحلة ليس ضرورياً على الإطلاق، لأن العملية لم تعد لخطف الركاب، يكفي قرصنة برامج جاسوب الطائرة قبل الإقلاع، حتى يصبح التحكم بالطائرة ممكناً، وهي في الجو بواسطة تكنولوجية (الغلوبال هوك) التي ابتكرتها وزارة الدفاع الأمريكية. وبكلام آخر يمكن بفضل هذه التقنية التحكم بطائرة البوينغ عن بعد، بحيث تصبح طائرة شبيهة بطائرات التجسس التي لا قائد على متنها).(21)

وأكّد تيري ميسان بوجود متفجرات داخل المبني، حيث أن اتحادات إطفائي نيويورك، رفضوا نظرية انهيار البرجين نتيجة إحرق وقود الطائرتين، وأن الانهيار تم من خلال الحرارة التي ولدهما مخزونا الطائرتين من الوقود، الذي تسبب بضعف الهيكل المعدني المركزي للمبنيين.

فأكّد اتحاد الإطفائيين إن الهيكل يتتحمل الحرارة. وقال رجال الإطفاء أنهم سمعوا أصوات انفجارات في أسفل الأبنية، وطالبوا بتحقيق مستقل، وقال ميسان (كما أكّد فان رومير وهو خبير شهير من معهد نيو مكسيكو للمناجم، أن الانهيار لم يكن ممكناً إلا بواسطة متفجرات. ولكنه تراجع عن رأيه هذا أمام الضغوط الرسمية التي تعرض لها).(22)

ويستشهد تيري ميسان من إجابة الرئيس الأمريكي جورج بوش على أحدى التساؤلات الصحفية بعلم المخابرات وإداراته بهذه الهجمات. وهذا يرسخ الرأي بأن المخابرات المركزية لم تقدم التسهيلات فقط، بل كانت مشاركة في صنعها، فيقول:

(لنسع الآن إلى هذا الاعتراف الغريب، الذي أدلّى به الرئيس جورج دبليو بوش، وكان ذلك بمناسبة مهرجان نظم في أورلاندو بتاريخ 4 كانون 2001).

سؤال: ما أود قوله بداية سيدي الرئيس هو أنه لا يمكن تقدير كم هو مهم ما فعلتموه من أجل بلدنا. والشيء الآخر هو التالي: ماذَا كان شعوركم عندما علمتم بالهجوم الإرهابي؟ هو الرئيس جورج دبليو بوش: شكرأً يا جورдан، أنت تعلم يا جوردان، وسوف لن تصدق، إن قلت لك في آية حال أوّقعني هذا الهجوم الإرهابي. كنت في فلوريدا، وسكنت في العام آنذاك كارد، في الواقع كنا في قاعة للدروس، اتحدت بشان برنامح باللغة الفعلية للتدريب على القراءة. كنت جالساً خارج القاعة بانتظار لحظة الدخول، فرأيت طائرة تصطدم بالبرج - كان التلفاز مشتعلًا - وبما أنني كنت أنا نفسي قبطاناً. قلت: يا لهذا القبطان المرعب، ثم قلت: ربما كان ذلك حادثاً مخيّفاً، ولكن قادوني [جيئند إلى الصف]، ولم يتسع لي الوقت الكافي للتفكير في الأمر.

كنت جالساً في الصف وسكنت في العام آنذاك كارد، الذي ترافق جالساً هناك، دخل وقال لي: "طائرة ثانية ارتطمت بالبرج، إن أمريكا تتعرض للهجوم".

في الواقع يا جوردان بداية لم أكن أدرِّي ماذَا أقول ماذَا سمعت. أنت تعلم أنني تعرّفت في فترة لم يخطر لي فيها أن أمريكا قد تتعرض لهجوم - ربما والدك أو والدتك كانوا يفكرون مثلّي آنذاك - في تلك البرهة رحت أفكّر ملياً في معنى أن ترى نفسك مهاجمًا. وكنت أعرف أنني في حال تجمعت كل الدلائل المؤكدة على أننا تعرضنا لهجوم، ساجعل الجحيم جزاء الذي تجاسر على مهاجمة أمريكا (تصفيق).

هكذا إذن وحسب ما صرّح به، شاهد الرئيس مشاهد أول اصطدام قبيل حدوث الثاني. هذه المشاهد لا يمكن أن تكون تلك التي سجلها الأخوان حول وجد عون نوديه صدفة، بالفعل كان الأخوان نوديه قد أمضيا يومهما بالكامل، وهما يصوران في موقع مركز التجارة العالمي. ولم تثبت وكالة غاما شريطهما للفيديو إلا بعد انقضاء 13 ساعة. إن الموضوع يتعلق إذاً بمشاهد سرية نقلت إليه دون تأخير إلى قاعة (23).

شكل الرئيس الأمريكي لجنة مستقلة للتحقيق بأحداث الحادي عشر من أيلول برئاسة هنري كسينجر في 27/11/2002، وتضم عشرة من الديمقراطيين والجمهوريين، وتملك تفويضاً واسعاً. وتنسند في أعمالها على التحقيقات المحددة، التي أجرتها لجنتنا الاستخبارات في مجلس الشيوخ والنواب. ومنحت اللجنة ثمانية عشر شهراً لدراسة قضايا مثل أمن الملاحة الجوية، ومشاكل الحدود بالتواري مع الاستخبارات، ودراسة زيادة كبيرة في الإنفاق الاستخباراتي، لكشف الصعف في مجال مكافحة الإرهاب (24).

فاختياره كان لصالح القوى الصهيونية الفاعلة في الإدارة الأمريكية ومراكز تأثيرها في المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية وهي طبعاً ستكون نتائجها لغير صالح العرب والمسلمين طبعاً. وستتم تغطية مساهمات الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية، التي يسيطر عليها اليهود الصهيوينة من رئيسها اليهودي جورج ثنت إلى بقية قيادة هذا الجهاد الخطير على الدول العربية والإسلامية. فهنري كيسنجر معروف بعلاقته للعرب وللمسلمين، وهو اليهودي الذي خدم الصهيونية في مواقفه السابقة في عهد نيكسون كمستشار للأمن القومي أو وزير للخارجية، وسيبقى يدافع ويعمل لصالح المشروع الصهيوني المعادي للعروبة والإسلام.

إلا أن كيسنجر استقال من رئاسة الهيئة بعد شهر من تكليفه برئاسة اللجنة، والسبب مطالبة لجنة الأخلاقيات في الكونгрس بالإفصاح عن علاقاته المالية، (25) وهكذا يتم تمييع عمليات التحقيق، بانتظار من يرأس اللجنة ويصدق على ما وصلت إليه إدارة بوش الابن وأجهزته الأمنية من نتائج، تم تحريف وتزوير وتلفيق معظمها.

## \* الفصل السادس

### توضيف البترول القزويني

### لصالح أحداث أيلول / سبتمبر.

يقول كاتب أمريكي يدعى (غور فيدال): (وقد ثبت فيما بعد أن غزو أفغانستان لم تكن له صلة بسامية بن Laden، وإنما كان أسامة مجرد ذريعة لاستبدالطالبان بحكومة أكثر استقراراً، نبغي أن تسمح لشركة Union Oil of California/ بدم خط الأنابيب، الذي يحقق الارباح لعصبة تشيني - بوش ضمن أطراف أخرى) (26).

وبورد الكاتب معلومات هامة حول هذا الخط، والمباحثات التي أحيرتها رئاسة شركة يونوكال مع ممثلي حكومة طالبان في كانون الثاني عام 1997 في شوحرلاند بتكساس، وكيف قامت تلك الشركة بتدريب عناصر أفغانية لمد خط الأنابيب بموافقة الحكومة الأمريكية.

فقد استضافت الشركة المذكورة وفداً من حكومة طالبان، وللبحث في كيفية مد خط أنابيب لبترول وغاز نفط قزوين من الحقول إلى شواطئ باكستان، وقد أوردت محطة بي. بي. سي في 4 كانون الأول 1997 خبراً عن تلك المباحثات، وقالت المحطة: (أن متخدنا باسم شركة يونوكال ذكر أن من المتوقع أن يقضي رجال الطالبان بضعة أيام في المقر الرئيسي للشركة) وذكر مراسل المحطة، إن اقتراح إنشاء خط لأنابيب عبر أفغانستان، هو جزء من مشروع دولي للاستفادة من تنمية موارد الطاقة الغنية في بحر قزوين.

وهذا يوضح أن لبترول قزوين دوراً رئيسياً في شن الحرب على حكومة طالبان، والتي أقيمت أحداث الحادي عشر من أيلول، وليس مسألة محاربة الإرهاب إلا الوجه الظاهر لتلك الحرب. ويتساءل المرء لماذا كانت حكومة طالبان جيدة، وتمتنع من الحكومة الأمريكية أربعين مليون دولار تحت ذريعة محاربتها لزراعة الحشيش؟ وذلك عندما كانت تتعاون مع شركة يونوكال وبقية الشركات المرشحة لإنشاء خط الأنابيب، الذي يمتد من

تركمستان إلى باكستان عبر أفغانستان بما فيها شركة شيفرون، التي كانت في السابق إحدى موظفاتها كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي آليوم، وحين فشلت المباحثات تغير الأمر مائة وتسعين درجة حين أصطدمت المصالح النفطية الأمريكية مع طالبان، وأصبحوا في ليلة وضحاها إرهابيين ويؤمنون بقولها: (سواء شئنا أم أبينا، فإن طالبان هي القادرة على تحقيق السلام في أفغانستان في اللحظة التاريخية). (27)

بل كانت الولايات المتحدة تطرح في عام 1997 يامكانية تحول حكومة طالبان إلى دولة حليف لها في مواجهة إيران وروسيا تقيقاً لمصالحها البترولية، وهذا ما أشارت إليه صحيفة (نيويورك تايمز) عندما قالت: (إن حكومة كلينتون أخذت بالرأي القائل، بأن انتصار طالبان سوف يجد قوة موازنة لإيران. ويفتح الباب أمام سبل جديدة للتجارة، يمكن أن تضعف نفوذ روسيا وإيران في المنطقة). (28)

إلا أن هذه الحسابات الأمريكية لم تجد لها آنذاك في كابول من يستمع إليها. وفشل الولايات المتحدة بتحويل حكومة طالبان إلى تنظيم عملي يخدم مصالحها. فيبعد هذا الفشل تغير المزاج السياسي الأمريكي تجاه حكومة طالبان رأساً على عقب، وذلك منذ أواسط عام 2000، وعقب فشل المباحثات النفطية بين حكومة طالبان والشركات النفطية الأمريكية. وزدادت حالة العداء من خلال حملات إعلامية مكثفة على حكومة طالبان خاصة بعد نجاح بوش في انتخابات الرئاسة، فقد أصبحت حكومة طالبان عقيدة كبيرة أمام مصالحها البترولية. فكتب السيد /فردرريك ستار/ رئيس "معهد آسيا الوسطى بجامعة جون هوبكنز" في صحيفة (الواشنطن بوست) يقول: (لقد بدأت الولايات المتحدة بهدوء بالوقوف إلى جانب من يدعون في الحكومة الروسية إلى القيام بعمل عسكري ضد أفغانستان، وأنها تناقش فكرة شن غارة جديدة للقضاء على ابن لادن). (29)

وليس غريباً لاتمام الصفقة البترولية، أن يؤتى بالسيد حميد قرضاي رئيساً لحكومة أفغانستان بعد الإطاحة بحكومة طالبان، وهو الذي كان يعمل في شركة يونيوكال الأمريكية، التي كانت تفاوض حكومة طالبان على مد أنبوب البترول من تركمانستان إلى باكستان عبر أفغانستان، وذو العلاقة القوية مع المخابرات المركزية الأمريكية.

ولم نعد نسمع في الخطاب الأمريكي بعد مرور سنة على الغزو المسلح لافغانستان ضرورة استمرارية البحث عن ابن لادن والملا عمر، بل كل ما نسمعه هو تحويل صدام حسين إلى ابن لادن، وقرع طبول الحرب على العراق. فتم السكوت عن

ابن لادن بسبب تحقيق الهدف الرئيسي من الحرب على حكومةطالبان، وهو إبرام عقد مدّ لأنابيب بين الدول الثلاث أفغانستان وتركمانستان والباكستان لاستثمار نفط بحر قزوين في 27/12/2002 في عشق آباد عاصمة تركمانستان، بين الرئيس التركماني صابر مراد نيازوف، والرئيس الأفغاني حميد قرضاي، ورئيس وزراء باكستان طفر الله جمالی.

وتضمن العقد مدّ أنبوب غاز من بحر قزوين إلى المحيط الهندي، حيث سيربط حقل دولت آباد (جنوب شرق تركمانستان) بالمرافق الباكستانية على المحيط الهندي عن طريق جبال أفغانستان. ويبلغ طول الأنبوب 1500 كيلو متر، وقدر تكاليفه بملياري دولار.(30)

وهكذا بدأت ثمار الغزو الأمريكي على أفغانستان تتصح ليتناوله الغواة الذين تسبروا بما يسمى مكافحة الإرهاب، والذي ثبتت الأيام أنه صناعة الأمريكية الصهيونية. ولم تكن في الحقيقة أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 كما أشرنا سبباً لغزو أفغانستان وفق ادعاءات الإدارة الأمريكية، بل إن مخطط الغزو كان جاهزاً قبل تلك الأحداث. ولم تكن الأحداث سوى مبرر في تنفيذه.



## \* الفصل السابع

# لماذا تم تصنيع أحداث الحادي عشر من أيلول؟

أولاً - الحدث يولد المشاعر العدائية ضد المعتمدي المفترض، فتتوفر الذريعة الضرورية لشن الحرب بسرعة، فتكون أولى تنفيساً لمشاعر العداء، وثانياً تخلصاً من حالة الذعر الذي خلقه الحدث، وأوججته الإدارة الأمريكية ووسائل إعلامها. كما تتوفر أجواء عدائية تجعل من كتاب وصحفيين وأعلاميين يدعون الإدارة الأمريكية للانتقام، ومن ثم يسمح لأمثال برجنسكي وكيسنجر وبعض الاستراتيجيين الأمريكيين، يدعون إلى ضرورة شن حرب يلهي الشعب الأمريكي عن تساؤلاته للإدارة عن تقصيرها، وعن عدم قدرتها على إيقاف الحدث قبل وقوعه.

ثانياً - كما تم استغلال الحدث للخروج من المأزق الاقتصادي، الذي وصل إليه الاقتصاد الأمريكي قبل الأحداث، حيث بدأ التراجع الاقتصادي يبرز جلياً في مؤشرات البطالة، التي وضخت في الثامن من أيلول 2001 إلى (3.35) مليون شخص. كما انخفضت مؤشرات الإنتاج الصناعي، ففي شهر آب 2001 فقد انخفض قطاع المعادن والمرافق إلى 0.8% عن الشهر الذي سبقه. وانخفضت السلعة التشغيلية إلى 76.2% وهو أدنى انخفاضاً منذ تموز 1983. وهبط مؤشر داو جونز إلى 800 نقطة (31).

ثالثاً - الاستجابة للضغط المتلاحم من قبل شركات النفط لاحتلال أفغانستان، لتامين الخطوط القادرة على نقل النفط عبرها، لأن الأرباح الهائلة التي سيقدمها النفط الفزويني تثير شهية شركات النفط، والتي انبثقت منها إدارة (بوش - وتشيني). إضافة أنها تخرج الاقتصاد الأمريكي من أزمته. فقد كان هناك إلحاجاً من قبل شركات لإزالة حكومة الطالبان كونها العائق في استغلال

الثروة الهائلة من الكنز النفطي القزويني، كما قال خبير النفط الأمريكي جيمس دوربان: (إن هؤلاء الذين يسيطرون في الطرق النفطية لوسط آسيا، سيؤثرون في الاتجاه المستقبلي، وكميات تدفق، وتوزيع الإيرادات من موارد النفط والغاز).<sup>(32)</sup>

ومن يعرف الثروات الهائلة التي ستحققها الولايات المتحدة من نفط بحر قزوين، سيعترف على الدافع الحقيقى وراء الحرب التي شنتها على أفغانستان، فيقول إسماعيل الشطي الكاتب وعضو مجلس النواب الكوبي (يقدر ما يخزنها خوض بحر قزوين بخمسة تريليون دولار من موارد النفط والغاز، وفي أقل تقدير بحوالى أربعة تريليون دولار. بالإضافة إلى كميات صخمة من الموارد البترولية غير المطورة في آسيا الوسطى تقدر بـ 6.6 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي و 10 مليارات برميل من احتياطات النفط غير المطورة).<sup>(33)</sup>

رابعاً - من الأرباح التي أفرزتها أحداث الحادي عشر من أيلول، هو تصفية حسابات مع أعداء سابقين، يسمح للولايات المتحدة الطرف الزمني والدولي باعتبارها سيدة العالم اليوم بتحقيق انتصارات عليهم، فيقول غور فيدال: (إن عصبة تشيني بوش ت يريد حرباً للسيطرة على أفغانستان. وإنشاء خط للأنابيب، والتحكم في بترول ستانات أو راسيا لصالح شركائها في الأعمال، وكذلك إنزال أكبر قدر من الدمار بالعراق وإيران بدعوى أن هذين البلدين الشريرين، ربما ين Shraran فوق القمح الذهبي لدينا بودرة الجمرة الخبيثة أو شيئاً كهذا).<sup>(34)</sup>

ومن تصفية الحسابات فقد كشفت وسائل الإعلام الغربية، أن رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي طلب الأعداد للهجوم على العراق بعد ثلات ساعات فقط من أحداث 11/أيلول. كما خرج الرئيس جورج بوش بطلاق الحملات الرهيبة على العديد من البلدان تحت ذرعة الإرهاب باسم محور الشر والدول الشريرة وغيرها من الألقاب.

\* استراتيجية الهيمنة على العالم

أعطت أحداث الحادي عشر من أيلول الفرصة الذهبية للولايات المتحدة في فرض هيمنتها على ثروات العالم، وفرض إنماطها السياسية والسلوكية على العالم أجمع. من خلال ما أطلق عليه استراتيجية الأمن القومي للرئيس جورج بوش الابن، والذي أعلنتها في 17/9/2002. وأشار إليها الرئيس بوش في خطاب الرئاسة في 1/6/2002 حين حدد تلك الاستراتيجية ثلاثة مهام هي:

- سندافع عن السلام بمحاربة الإرهاب والطغاة.
- سنحافظ على السلام ببناء العلاقات الجيدة بين القوى

العظمى.

- سنوسع السلام بتشجيع المجتمعات الحرة والمنفتحة على امتداد الفارات. (35)

وهذه الاستراتيجية كما يبدو تختلف عن سابقاتها من الاستراتيجيات، التي وضعتها الإدارات السابقة الأمريكية بما فيه الإدارة السابقة للرئيس بيل كلينتون، والتي تعتمد على تقوية أمن أمريكا، ودعم الأزدهار الاقتصادي الأمريكي، ودعم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الخارج.

فالملاحظ أن بوش قد وضع استراتيجية مختلفة وخاصة عن الحرب وبما يعرف (الحرب على ما اسماهم بالطغاة)، حيث اعتبرهم مصدر الخطر على الولايات المتحدة وعلى العالم الديمقراطي. وضع نظرية إفتراضية تقول: بإمكان هؤلاء الطغاة تزويد منظمات الإرهاب بالأسلحة الكيماوية أو ذات التدمير الشامل، مما يهدد الولايات المتحدة والنظام العالمي.

علمًا أن الولايات المتحدة هي التي فرضت تلك الأنظمة الديكتاتورية ضد رغبات شعوبها، وحمت الكثير منهم من غضب تلك الشعوب، ووفرت لهم الدعم المادي والسياسي خدمة لمصالحها. يقول جون لويس غاديس عن سبب محاربة إدارة بوش الابن لهؤلاء الطغاة: (لقد لاحظ بوش أن الاستراتيجية الأمريكية ركزت في الماضي على الدفاع ضد الحكوم الطغاة، وهؤلاء الخصوم يحتاجون "ل gioish عظيمة وقدرات صناعية كبيرة" كي لا يهددوا المصالح الأمريكية، وهذه الإمكانيات لا يمكن تأمينها إلا عبر مؤسسات الدول) (36)



## \* الفصل الثامن

# الحرب على العراق لأجل النفط

كما أشرنا من قبل، أن وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد أعلن بعد ثلات ساعات فقط من تفجير البرجين في نيويورك بضرورة الحرب على العراق، محملاً إياه مسؤولية دعم الإرهاب، وأهم دول محور الشر كما صنفه القاموس السياسي لإدارة بوش، وهي العراق وإيران وكوريا الشمالية. ووضع العراق على قائمة الدول التي يجب أن تتحمل مسؤولية ما حدث في الحادي عشر من أيلول على الرغم من عدم توفر أي دليل يربط العراق بما حدث، ولا بآية علاقة بينية بين أسامة بن لادن وتنظيمه تنظيم (القاعدة). فلا يمكن أن يوجد تعاون بين الطرفين لاختلاف العقائد والأهداف بين الحزب الحاكم في العراق برئاسة صدام حسين، الذي يتبنى العلمانية، وبين تنظيم ديني متطرف كتنظيم القاعدة.

إلا أن الرئيس بوش الابن وإدارته، كانوا قد وضعوا قبل الأحداث كما أشرناه أعلاه، استراتيجية تقوم على فرض السيطرة على مصادر الطاقة النفطية في العالم كرهاً أو طوعاً، تطبيقاً لطروحات بعض ما يسمى بالصفور من اليمين الأمريكي، والتي ترى ضرورة السيطرة على النفط، طالما نملك اليوم قوة عسكرية لا منافيس لها في العالم. هذه الاستراتيجية بدأ تفيذها أولاً في احتلال أفغانستان لمد أنابيب نفط بحر قزوين كما أشرنا. أما نفط الخليج من المعروف أنه منذ سبعين تحت الهيمنة الأمريكية، وأصبح بعد غزو الكويت تحت حماية عسکرة القوات الأمريكية المباشرة، لترهيب من يحاول أن ينزع منها تلك الهيمنة سواء من الداخل أو من الخارج، ولم يبق إلا النفط العراقي والإيراني خارج الهيمنة المطلقة.

لهذا تم وضع العراق وإيران ضمن قائمة دول محور الشر، التي ترى فيها إدارة الأمريكية وفق زعمها خطراً يهددها. وطبعاً كان لا بد من أن يكون العراق التالي بعد أفغانستان، فأمريكا تدرج بالأخذ بالدول بدءاً من الضعف، حتى تنتهي إلى الأقوى. فكانت أفغانستان الأولى، ثم من بعدها العراق، ومن ثم

ستأتي حتماً إيران من بعد الانتهاء من العراق.

وهكذا انطلقت الحملة الأمريكية ضد العراق، ما أن انتهت ترتيبات مدّ الخطوط لنفط بحر قزوين عبر أفغانستان، وتتوفرت الحماية لهذا الخطوط من قبل تواجد عسكري أمريكي مدّعوم من قوات أوربية من دول الحلف الأطلسي. فقد بدأت مسالة التحصين لشن حرب على العراق من خلال جملة من التهديدات للنظام العراقي، تدعوه لنزع أسلحته وتدميرها، وتغيير نظامه السياسي، وترحيل صدام حسين وحاشيته عن العراق.

ولتفطية الحملة الاستعمارية الجديدة بخطاء دولي، تم استصدار قرار من مجلس الأمن في تشرين الأول عام 2002 تحت رقم 1441. والقاضي بإعادة فرق التفتيش للعراق، لنزع وتدمير أسلحته الكيماوية والجرومية. يدعوي أن العراق اخترق الحظر الدولي عليه، وأقرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي بتدمير أسلحته الجرثومية والكيماوية وصواريخه بعيدة المدى. وادعت الولايات المتحدة، أن العراق يقوم بإعادة تصنيع أسلحة التدمير الشامل المحظورة عليه منذ عام 1991 بعد الانتهاء من حرب الخليج الثانية، وانتهاء الاحتلال العراقي للكويت.

وعلى الرغم من معهنة الإدارة الأمريكية ودول العالم، أن لجان التفتيش السابقة (أونسكوم)، قامت بتفكيك وتدمير معظم أسلحة العراق المحرمة، وفق قرارات مجلس الأمن الدولي خلال ست سنوات من عملها في العراق في عقد التسعينات. ويقول تقرير أعده منتدى الحرية الرابع، ومعهد ب. كروك لدراسات السلام الدولي بجامعة نوتردام: (إن أونسكوم ووكالة الطاقة الذرية الدولية كانتا فعالتين في كشف ثثير من عناصر برامج أسلحة العراق المحرمة وتدميرها.. إن معظم برامج الأسلحة المحرمة العراقية تمت إزالتها. وقد أعلنت وكالة الطاقة الذرية الدولية في عام 1998 أنه "ليس هناك من مؤشر إلى أن العراق يملك أسلحة نووية أو أية مقادير ذات مغزى من مادة يمكن استخدامها في صنع أسلحة نووية"، ومن بين 819 صاروخاً من طراز سكود كان معروفاً أنها موجودة لديه في بداية حرب الخليج، عثرت أونسكوم عليها جميعاً عدا صاروخين اثنين. ولم تغير أونسكوم على تطوير ناجح لصاروخ وطني، ولا على مؤشرات إلى إختيار صاروخ محظوظ. كذلك ذكرت أونسكوم أنها حققت تقدماً كبيراً في تدمير مخازنات الأسلحة الكيميائية ومبانيها، لكن مفتشي الأمم المتحدة كانوا أقل نجاحاً في إزالة قدرات الأسلحة البيولوجية) (37)

وهكذا نرى أن معظم أسلحة العراق الكيميائية والبيولوجية والجرثومية والصواريخ بعيدة المدى، قد دمر معظمها على يد لجنة التفتيش (أونسكوم)، والتي رجلت عن العراق في عام 1996 بضغط أمريكي، كما كشف أحد أعضاء تلك اللجنة بأن

البعض منهم كان يتحسس على العراق لصالح المخابرات المركزية والموساد الصهيوني. فلم تكن عمليات التفتيش الجديدة إلّا خلق الذرائع لضرب العراق، ووضعه تحت الهيمنة الأمريكية، وفق استراتيحيتها الجديدة التي أشرنا إليها.

#### \* النظام العراقي من حليف إلى عدو

النظام العراقي الذي وضع على لائحة الانظمة الخارجة على القانون بالعرف الأمريكي بعد الغزو العراقي للكويت، هو نفس النظام الذي كان الصديق الحميم أثناء حربه على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ما بين أعوام 1980-1988. فالعلاقات الحميمية التي كانت بين الطرفين أثناء تلك الحرب، كانت تستند على أن الحرب التي قاتلت بين العراق وإيران كانت تخدم الهدف الاستراتيجي الأمريكي في المنطقة، الذي يهدف إلى إبقاء منابع النفط تحت المطلة الأمريكية.

فكان أمل الولايات المتحدة من تلك الحرب، أن تستعيد إيران بنيتها وموقعها الاستراتيجي من حكومة إسلامية متحررة، أخرجت إيران من تبعية الولايات المتحدة، وأزالت قواعدها، واستولت على سفارتها، واعتقلت موظفيها. ولم تقف عند هذا الحد، بل رفعت شعارات معادية للوجود الأمريكي بالكامل في منطقة الخليج. وأظهرت الثورة الإسلامية في أيامها الأولى عداوة للولايات المتحدة لحماية نظام الشاه السابق، وأطلقت على الولايات المتحدة اسم (الشيطان الأكبر).

ولم تكن خطيبة الثورة العداء لأمريكا فقط، وإنما رؤيتها للكيان الصهيوني بأنه كيان استعماري أستيطاني مفترض لارض إسلامية مقدسة. وكان من إجراءاتها الأولى تحويل سفارة الكيان الصهيوني إلى سفارة فلسطين، وقطع العلاقة التوحيدية بين المخابرات الإيرانية (السيافاك) والمخابرات الصهيونية (الموساد). كما اعتبرت مسألة تحرير البيت المقدس إلزام لكل المسلمين. وهنا وقعت الثورة في المحظوظ الأمريكي المتصهين، فكان لا بد من إجهاض الثورة الإسلامية في إيران من قبل الدوائر الأمريكية والصهيونية. فاستخدم النظام العراقي لهذه المهمة، فشن حرباً دامت سنوات ثمان، كانت نتائجها لصالح أمريكا والصهيونية، وخسارة للعرب والمسلمين عامة وللعراق وإيران خاصة.

ومن يتبع سير الأحداث أثناء اشتعال الثورة الإيرانية ضد نظام الشاه الوكيل للمصالح الأمريكية، والشرطى الأمريكي في الخليج، والراعي الذي يحمي مصالحها في المنطقة، والظهور المساند للكيان الصهيوني ضد الأمة العربية. يقول المفكر والكاتب الأمريكي نعوم تشومسكي: (حاولت إدارة كارتر تبني انقلاب عسكري لإعادة الشاه، وأرسل قائد الناتو (NATO)، ولكنه فشل في مهمته، لم يستطع كسب دعم عملاء أمريكا في الجيش الإيراني. بعدها مباشرة انضمت السعودية وإسرائيل (الداعمتان الباقيتان) للجهود الرامية لتجهيز انقلاب يعيد

التركيبة السابقة بوسائل عادلة، ومنها بعث جيوش. تم إحباط المحاولة التي كانت معروفة تماماً. وصل النذر البسيط من المعلومات للناس هنا، وذلك عندما لم يعد بالإمكان إخفاء الحقائق. وسمى عندها حرب الرهائن (أزمة الرهائن) التي كان لها وقع إنساني مؤثر لدى الشعب الأمريكي.

كان "الريغانيون" يبحثون عن إطلاق الرهائن المختطفين في لبنان. أرسلت الولايات المتحدة قوات إلى إيران (مجموعات عسكرية خاصة) عبر إسرائيل لأن لها صلات وثيقة بعناصر من الجيش الإيراني وممولة من قبل السعودية. ولم تكن هذه القوات مرسلة للتفاوض من أجل الرهائن لسبب بسيط، هو أنه لم يكن هناك رهائن أصلاً! أو لا "الرهائن" أخذوا من لبنان فيما بعد، وصادف أنهم إيرانيون! إن ذلك إجراء طبيعي اتخذته إيران (38)

وحين فشلت المحاولة الانقلابية بعد اكتشاف الحكومة الإيرانية الإسلامية لها. كما فشل أيضاً الغزو العسكري الأمريكي الليلي لإيران، الذي أرسل لفك الرهائن الأمريكيين، الذين أسرؤا في السفارة الأمريكية في طهران من قبل طلبة الثورة، فغرقت القوات الأمريكية في رمال صحراء طبس، حين تصادمت الطائرات الأمريكية بسبب العوائق الرملية، التي ثارت فجأة وكأنها تدافع عن ثورتها الإسلامية. وتحطممت بعض الطائرات، وعادت البقية خائنة دون أن تحقق أي من أهدافها. ولم تجد الولايات طريقة لإعادة هيمتها على إيران إلا بالتحريض على شن حرب خارجية من دول الحوار، وكان العراق الدولة الوحيدة، التي تتتوفر فيها عوامل الصراع مع النظام الإيراني الجديد، في ذات بتحريض العراق على شن حرب لاسقط الحكومة الثورية الإيرانية المعادية للولايات المتحدة. فشن النظام العراقي الحرب على إيران، وكانت الحسابات أن تدوم أيام، وإذا بها تتمد أكثر من ثمانية أعوام.

وخلال سنوات الحرب قدّمت للنظام العراقي كل مستلزمات القوة لتحقيق النصر، وتم التجاوز عن تصرفات عراقية تعتبر كفراً في القاموس الأمريكي، حين هاجمت الطائرات العراقية سفينة أمريكية وقتلت 37/37 بحاراً أمريكيًا. ولم توجه الولايات المتحدة للقوات العراقية أية ضربة انتقامية، بل اعتبرت خطأ فنياً. بل انتقمت أمريكا من طائرة تجارية إيرانية في عام 1988، كانت تحلق في الأجواء الإيرانية، فقتلت 290/290 مدنياً إيرانياً بريئاً بصاروخ من مدمرة أمريكية، كانت متواجدة في المياه الإقليمية لإيران.

وكان لهذا الحدث دوره الكبير في إنهاء الحرب لصالح صدام حسين، فقد شعر الإيرانيون أن الولايات الأمريكية وضعوا ثقلها العسكري بشكل كامل إلى جانبه، بعد أن كانت تقدم له فقط الدعم اللوجستي والعسكري، وترسل له الصور الملقطة من

طائرات التجسس الأمريكية على الواقع الإيرانية.

وبنisi وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد يوم، أنه كان في العراق ضيقاً على صدام حسين في عام 1986، يقدم الخدمات لصدام حسين في حربه ضد إيران، والأدهى أنه لم ينطق بآية كلمة عن القنابل الكيماوية، التي صبت على أهالي حلبجة في حينها، التي يتباكي عليها في هذه الأيام.

واستخدام جريمة حلبجة مثلاً على جرائم صدام، من قبل إدارة بوش من أجل ضحاياها، وليس على حدة الجريمة وقسواتها، وهي مرفوضة تماماً من كل إنسان يملك وارعاً أخلاقياً، بل من أجل خلق ذرائع تبرير حرب على العراق. وتذكرة جميعاً وكل من كان يتبع مجريات الحرب العراقية الإيرانية، أن الادارة الأمريكية كانت أثناء الحرب تتهم إيران بما جرى في حلبجة وليس العراق يومها.

ومن هنا نجد تلون السياسة الأمريكية، وتقلباتها الحادة فحين كانت الحرب التي يخوضها النظام العراقي مع إيران، تصب في خدمة الأهداف الاستراتيجية للمصالح الأمريكية، كأن يحصل على البراءة والتقدير. وحين يصبح نفس النظام عائقاً لمصالحها وأهدافها الاستراتيجية، تشوّه صورته في المحافظ الدولية وأمام الرأي العام العالمي، وتوضع الذرائع لشن الحرب عليه.

من المعروف تاريخياً أن الولايات المتحدة تقلب ظهر المحن بسرعة تتجاوز سرعة البرق، لخلفها ولصداقتها من الأنظمة الحاكمة، أن شكّلت تلك الأنظمة عائقاً لمصالحها، وتتخلّى عن أشد حلفائها إخلاصاً أمام مصالحها. وفي مثال شاه إيران وماركوس الفلبين وسهاهو إندونيسيا وغيرهم عبرة لمن لا يعتبر من حلفاء أمريكا اليوم.

بل هي لا تتورع عن التامر على كل من كان يوماً في زمرة، من عملوا في أحضان المخابرات المركزية مثل أورتيغا في بنما، الذي غزت بلاده القوات الأمريكية، واعتقلته حين أصبح يشكل تهديداً لمصالحها. بعد أن عمل زمناً طويلاً في خدمة مخابراتها المركزية، وشارك حتى في عملياتها القدرة بتجارة المخدرات. وثم تولى رئاسة البلاد. وحين اصطدمت مصالح أمريكا مع بعض المصالح الوطنية لبلاده، وارد أن يبيض وجهه أمام شعبه، كانت نتيجته كما أسلفنا، ولا يزال إلى يومنا هذا يقبع في سجونها، دون أن يجد رحمة من أسياده السابقين. فلا وفاء للولايات المتحدة لكل من تحالف معها، وارتوى في أحضانها، فهي كالعقرب تلسع صاحبها في أي وقت تشاء.

#### \* الحجج الأمريكية الواهية لشن الحرب على العراق

أما الحجة الكاذبة بأن النظام العراقي قد أعاد ترسانته من أسلحة التدمير الشامل وخاصة الكيماوي والبيولوجي، وأنه أعاد برنامجه النووي، مجرد أكذوبة مفضوحة تعرفها الإداره الأمريكية

قيل غيرها، فهي تعرف أن العراق لا يملك شيئاً مما تدعوه من الأسلحة، وتعرف بها الدوائر البحثية والاستراتيجية الأمريكية نفسها. ونقتطف بعض من التقرير، الذي تقدم به منتدى الحرية الرابعة ومعهد جوان ب. كروك لدراسات السلام الدولي بجامعة نوتردام الأمريكية فيقول:

(لقد عرقلت عقوبات الأمم المتحدة المستمرة ضد العراق مقدرة النظام على إعادة بناء قدرته في مجال الأسلحة، وعلى الرغم من أن العقوبات لم تكن ناجحة في إقناع حكومة بغداد بالالتزام بقرارات الأمم المتحدة، فإنها كانت وسيلة فعالة كوسيلة للاحتواء العسكري.

لقد منعت العقوبات حكومة بغداد من كسب سبيل للوصول إلى إيراداتها النفطية الضخمة، فالاًمم المتحدة - وليس حكومة بغداد - هي التي تسيطر على معظم الدخل المستمد من مبيعات النفط العراقي. ومنذ العقوبات يقدر أن حكومة بغداد قد حرمت من أكثر من 150 مليار دولار من إيرادات النفط. ونتيجة لهذا فإن العراق عجز عن شراء ما يكفي من أسلحة وبصائر ذات صبغة عسكرية، لكي يعيد بناء قواته المسلحة ويحدثها.

إن العجز المتراكم بالنسبة إلى العراق عن استيراد الأسلحة منذ عام 1990 يربو عن 50 مليار دولار. هذا هو المبلغ من النقود الذي كان العراق سينفقه على استيراد الأسلحة، لو أنه استمر في شراء الأسلحة بالمعدل الذي سار أثناء عقد الثمانينات الماضي. وعلى الرغم من أن العراق يكسب بعض إيراد لا قيود عليه عن طريق التهريب أو الصفقات السرية (يقدر ما بين 1.5 مليار و 3 مليارات دولار سنوياً) إلا أن هذا الدخل ليس كافياً لتمويل برنامج تطور عسكري واسع النطاق. ونتيجة لهذا تقلصت مقدرة العراق على إنتاج أسلحة للدمار الشامل ووسائل إطلاقها) (39).

ومن يراجع تاريخ التهديدات الأمريكية للعراق بالاحتياج والتهديد تحت ذريعة تهديده لجيرانه، وضرورة نزع سلاحه. فهذه التهديدات انطلقت موجتها الأخيرة بعد ثلاثة ساعات من أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 كما أشرنا سابقاً من قبل وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد. على الرغم من انتفاء كل الدلائل على تورط العراق ونظامه بتلك الأحداث. وهذا ما يدل على توفر نية احتلال العراق مبيبة قبل الصربية.

وتكشف بعض الوثائق أن عملية احتلال العراق والهيمنة على نفطه من قبل صناع القرار الأمريكي في عهد بوش الابن، ليست مرتبطة بأحداث الحادي عشر من أيلول، بل قبل الحدث بسنوات، حيث قام هؤلاء بتقديم مذكرة إلى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون عام 1998، تدعوه إلى بناء وجود عسكري قوي في الخليج، والعمل على حماية مصالح الولايات المتحدة الحيوية عند الضرورة، ولو تطلب قلب النظام الحاكم في

العراق. وكان من بين الموقعين عليها (دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الحالي، ونائبه بول وولفوتين، وجون بولتون، وريتشارد بيرل، وجميعهم من المؤيدين لإسرائيل، كما وقع عليها إيليوت أبراهم الصديق لرئيس وزراء الكيان الصهيوني)(40).

وكما أشرنا أن نفط العراق يلعب دوراً رئيسياً في تلك الحرب أعدتها الولايات المتحدة والصهيونية العالمية ضد العراق، فاحتلال منابع النفط العراقية يزيد من أملاك الولايات المتحدة لنفط العالم، خاصة أن المصادر النفطية تشير إلى قرب نضوب الكثير من إبار النفط الأمريكية. وقد أعلنت وزارة الطاقة الأمريكية في بداية عام 2003 (أنه بحلول عام 2025 فإن مستورادات الولايات المتحدة من النفط ستزداد لتصبح حوالي 70% من إنتاجها النفطي).(41)

لهذا إذا تمت السيطرة على النفط العراقي، فإن الولايات المتحدة تكون قادرة على سد تلك الاحتياجات، يقول الصحفي البريطاني "روبرت منسيك": (إذا ما تحقق الغزو، وتم تعين نظام حكم موالي لأمريكا فإن الأمريكيين سيسيطرؤن بذلك على فائض نفطي يصل إلى 112 مليار برميل من النفط، وإذا ما أضفنا الاحتياطي المؤكد من النفط العراقي، فإن الأمريكيين يكونون قد سيطروا ربما على ربع احتياطات العالم النفطية)(42)

\* الحرب على العراق بداية إمبراطورية أمريكية والأخطر من احتلال النفط هو ما يرسم في الدوائر الأمريكية المتصرفينة والدواوير الصهيونية، هو إعادة رسم الخارطة السياسية في العالمين العربي والإسلامي، والذي يستهدف تقسيم العرب والمسلمين وإذلالهم وإضعافهم، وإعادة تقسيمهم أجزاء طائفية وقطبية وعشائرية، وغيرها من التقسيمات التي تسهل نهب ثروات المنطقة وأولاها النفط، وسيطرة كاملة للولايات المتحدة على الأرض والثروة، وحماية الكيان الصهيوني بما يحقق المشروع الصهيوني في المنطقة.

وتبرهن الأحداث التي تلت الحادي عشر من أيلول، إن الإدارة الأمريكية التي يغلب على منشآت معظم زعمائها من شركات النفط، أن الولايات المتحدة رأت في مستقبلها الاقتصادي، واستمرارها في الهيمنة على العالم، والتفرد بزعامته يكمن في السيطرة على مصادر الطاقة، الذي يلعب النفط الدور الرئيسي فيه. فالنمو الاقتصادي لبعض الدول كالصين واليابان ومنظومة السوق الأوربية كلها، تهدد تلك الزعامة الدولية لها، واقتصادها مهما بلغ من النمو والتنوع غير قادر في المستقبيل على المواجهة الاقتصادية لتلك الدول والجماعات، كما أن هناك دول قد تظهر فجأة تملك القوة الاقتصادية والعسكرية مما يربك وضعها. فوجدت أن سيطرتها على النفط، يعطيها استمرارية القوة بالتحكم بعصب الحياة للصناعة الدولية. وإمكانية فرض الهيمنة على اقتصاد العالم،

وتسييره وفق أجندته خاصة بالولايات المتحدة.

وفي عودة إلى مبدأ كارتر الذي صدر في 24 نيسان عام 1980، وكانت منطقة الخليج ملتهبة في نذر حرب بين العراق وإيران، والذي تضمن الكفالة المسلحة الأمريكية لحماية مصالحها النفطية، فيقول المبدأ: (إن كل محاولة تقوم بها قوى خارجية، يهدف السيطرة على الخليج، ستعتبر انتهاكاً للمصالح الحيوية لأمن الولايات المتحدة الأمريكية. وبصفتها تلك ستلقى الصد بكل الوسائل الممكنة، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة) (43)

وترى الولايات المتحدة بترسانتها العسكرية الجبارية اليوم، يمكنها تحقيق ما ت يريد، دون أن تجد رادعاً عسكرياً دولياً في مواجهتها. وهذه فرصة تاريخية نادرة قد تفلت منها بمرور الزمن. كما أن الوضع الدولي بعد أحداث 11 أيلول يعطيها فرصة السيطرة على قرارات الهيئة الدولية ومجلس الأمن. فسعت إلى إطلاق شعار محاربة الإرهاب، ووضعت ما يزيد على سنتين بلداً في تلك اللائحة، وأولها العراق وإيران ودول في منطقة الخليج للسيطرة على النفط. وشددت من تهديداتها على العراق بعد ضمان خط النفط المار بأفغانستان.

ومن المفارقات التي تكشف أهداف الولايات المتحدة الخفية التي أشرنا إليها، سكوتها المفاجئ عن ابن لادن والملا عمر وتنظيمها القاعدة وطالبان، ليصبح صدام حسين ونظامه بدلاً عنهم المهدد الرئيسي للولايات المتحدة ولمصالحها. وأنه يمكن أن تلحق صواريخته أضراراً بالولايات المتحدة ولمصالحها. وأنه من التقرير الذي أشرنا إليه سابقاً بأن العراق لم يعد يملك من صواريخته القصيرة المدى سوى اثنين، ولم تجدهما لجنة التفتيش أنسكوم ولا الحكومة العراقية. ولعل بوش يرعب شعبه من الصاروخين المفقودين، إن وجدهما صدام حسين. هل هناك استخفاف بالعقل البشري أكثر من ذلك؟

وكما أشرنا أن النفط هو الغاية في الحرب على العراق والتخطيط لاحتلاله فالدلائل واضحة وجلية، عندما نراجع خلفية بعض صناع القرار في الإدارة الأمريكية، فكما أشرنا سابقاً معظمها من العاملين في شركات النفط:

- فالرئيس جورج بوش الابن ينحدر من عائلة تملك شركات نفطية كبيرة معروفة في تكساس.

- وديك تشيني نائب الرئيس كان رئيساً لشركة هالبيترون في دالاس، وهي من أهم شركات الخدمات النفطية في العالم. وقد بلغ دخل تشيني منها عام 2000 فقط 36 مليون دولار.

- ومستشار الأمن القومي المعادي للعرب والمسلمين غونزاليز راييس، كانت تعمل عضوة في مجلس إدارة شركة شيفرون النفطية من عام 1991 إلى عام 2000. ومن ابتهاج الشركة على تعينها في هذا

**المنصب الرفيع، أطلقت اسمها على إحدى ناقلاتها البترولية.**

- وغاييل نورتون وزير الداخلية كانت تعمل في مركز أبحاث محافظة تموله شركات نفطية.
- وزیر التجارة (دون إيفانز) كان رئيساً لشركة توم براون إنكريوريشن النفطية المعروفة في تكساس حتى عام 2000، وكان يتولى إدارة (تي. أم. بي. آر) شارب للتنقيب عن النفط.
- وزیر شؤون الجيش توماس دايت كان نائباً لرئيس خدمات إيزون للطاقة.
- ونائب وزير الداخلية (ستيفن غريلز) أحد شخصيات مؤسسة بيئية تموّلها الصناعات النفطية والكيماوية.
- ونائب وزير الطاقة (فرانسيس بلايك) كان نائباً للرئيس الأول لشركة كروبوريت بزنس النفطية.
- ونائبة وزير التجارة للشؤون الاقتصادية (كاتلين كوبير) مديرة سابقة في شركة إيكوسون موبيل كوربوريشن.
- ومساعد وزير الطاقة (دان بروليت) له حصة في مجموعة شركات البيانات النفطية.(44)

علماً أن ديك تشيني نائب الرئيس حصل من خلال صفقات بترولية، قام بها مع العراق لصالح شركته النفطية هاليبرتون من خلال ما أطلق عليه النفط مقابل الغذاء، على ما يقارب 36 مليون دولار عمولة (بزنس)، لجهوده في الحصول على تلك الصفقة البترولية الكبيرة مع العراق(45).

فيتضح أن هذه الادارة المنبثقة عن شركات النفط عدا وزير الخارجية كولن باول، إدارة تبحث عن السيطرة على النفط من جانب، ولزيادة ثروتها الشخصية من خلال عملتها من الصفقات، وتوفير مصادر النفط للشركات البترولية العالمية. فالحرب التي أعلنت على الإرهاب التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش وإدارته، كما نرى بعد مضي أشهر قليلة أصبحت حرباً من أجل الاستيلاء على نفط الشعوب ونهبها. وليس غريباً أن يدلي كولن باول وزير الخارجية الأمريكي يوم الأربعاء 22/1/2003، أن البترول العراقي سيكون أمانة يد الجيش الأمريكي.(46)

فاللص والمغتصب أصبح الأمين على ثروات الشعوب، ولكن الشعب العراقي الذي مات منه ما يقارب المليون إنساناً خلال عشر سنوات من الحصار، ومن قصف الطائرات الأمريكية والبريطانية، والتي تجوب أجواء العراق جنوباً وشمالاً، تتصف وقتل ما تشاء من المدنيين، هل يملك هذا الجيش المحتل أي صفة من صفات الأمانة؟

\* شعوب العالم ترفض الحرب القذرة على العراق  
أظهرت ردود الفعل الدولية وخاصة الشعوب منها على  
الحشد الأمريكي العسكري لشن حرب على العراق، قدرة تلك  
الشعوب من خلال حثها على اكتشافها لأهداف تلك الحرب  
وغيتها غير الشريفة، فهي ليست كما تدعي الإدارة الأمريكية  
بان الحرب على العراق من أجل تخلص الشعب العراقي من  
دكتاتورية صدام حسين، ولا من أجل أمن وحماية دول الحوار  
العربي من شروره، ولا من الخوف على أراضي الولايات  
المتحدة للهيمنة على ثروات العالم، ويقوم الرئيس بوش  
وإدارته اليمينية بتنفيذها، من خلال حروب تنفس الاستقرار  
والسلم الدوليين.

هذا ما أعلنته الشعوب في الكورة الأرضية من اليابان  
وأندونيسيا شرقاً مروراً بالشعوب الآسيوية والأفريقية  
والأمريكية اللاتينية غرباً، وكذلك الشعوب الأوروبية، التي خرجت  
بالملايين، وكذلك قطاع واسع من شعب الولايات المتحدة،  
وحتى أهالي صحايا 11/أيلول ذهبا إلى العراق، ووقفوا  
يعارضون الحرب على شعب محاصر وجائع.

وتشكلت حركة أمريكية مناوئة للحرب مع العراق،  
ولتوجهات إدارة بوش العدوانية أسمت نفسها (ليس يأسمنا).  
وأخرجت أولى تظاهراتها ضد الحرب يوم الأحد 6/10/2002  
في الساحة المركزية في نيويورك، وكان من بينهم أقارب ضحايا  
الحادي عشر من أيلول احتجاجاً على الحرب ضد العراق،  
ورفعت لافتات تطالب بتغيير النظام في واشنطن، ووصفت  
الرئيس جورج بوش الابن (إمبراطور جحود الجنون) (47).  
وانتخذت بعض المعارضات أشكال منها عرائض حملت مئات  
التوقيع من العاملين في الإبداع والبحث والفن وفي  
الولايات المتحدة الأمريكية، وذكر هنا المذكرة العاصبة التي  
أرسلتها النجمة والناشطة السياسية الأمريكية (باربرا  
سترايسند) إلى الرعيم الديمقراطي (ريتشارد غيبهارت)، طالبة  
منه بالانتقال من المواقف الدفاعية إلى الهجوم لوقف التهديدات  
بالحرب، التي يشنها الرئيس بوش، وبعدم (تجاهل التأثير  
الواضح على إدارة بوش لمصالح صناعة النفط والشركات  
وشركات الكيماءيات وصناعة الاخشاب على سبيل المثال لا  
الحصر). وقالت: (من الواضح أن العديد من هذه الصناعات  
التي يديرها مانحون جمهوريون كبار ومقربون من الحزب  
الجمهوري، ستحقق مكاسب كبيرة، إذا خضنا حرباً ضد العراق)  
وحيث (سترايسند) الديمقراطيين، على عدم السماح لبوش  
باستخدام الحرب لصرف الانظار عن سياساته الداخلية  
والاقتصادية، وفشلها في تفكيك شبكة القاعدة الإرهابية بالكامل.  
وكتبت (سترايسند) في مذكرتها: (صدام لم يفجر مركز التجارة  
ال العالمي). وأضافت أن على الحزب الديمقراطي أن (ينقل علينا

هذه الرسالة إلى الشعب الأمريكي).(48)

ورغم معارضته تلك الملايين من شعوب الأرض الرافضلة لتجهات الحرب، التي تعدّها الولايات المتحدة ضد العراق، بل استمرت في تحدي إرادة تلك الشعوب، وحشدت ما يقارب ربع مليون عسكري، مسلحين بكل أنواع الأسلحة الحديثة، لشن حرب تدميرية على العراق. ضاربة عرض الحائط شعاراتها حول الديمقراطية، والانصياع لإرادة الشعوب.

## \* أوربا والخوف من الهيمنة الأمريكية على مصادر الطاقة

إن المؤشرات الاقتصادية للولايات المتحدة تؤكد قابليتها لأزمة اقتصادية كبيرة خلال السنوات العشرين، فقد بدأت بعض شركاتها العملاقة تتعرض للانهيار، وهذا ما ينبع عن انهيار اقتصادي ضخم للولايات المتحدة. لم يجد خبراؤها الاستراتيجيين من حل سوى الاستيلاء على منابع الطاقة، والتحكم بها لمواجهة هذا الانهيار، مستخدمة كل ما لديها من قوة عسكرية. إلا أن هذا الحل الاستراتيجي البعيد المدى لحل الأزمة الاقتصادية الأمريكية الحالية، التي بدأت تتفاقم، بعد أن أشارت بعض المصادر إلى إفلاس وخسائر لشركات أمريكية بلغ تعدادها المليون ونصف بين شركة كبيرة وصغرى أمريكية(49). أوجد الحل الاقتصادي بالاستيلاء على مصادر الطاقة في العالم، إلى حالات من الشرخ في العلاقات بين الولايات المتحدة حلفائها الأوروبيين وخاصة ألمانيا وفرنسا، اللتان شعرتا بخطورة الاستيلاء الأمريكي على منابع الطاقة، وانفراد الولايات المتحدة بها. مما يزعزع الاقتصاد العالمي ككل، وبهدد الصناعة الأوروبية بشكل خاص، حيث يضعها تحت رحمة الولايات المتحدة.

فلم يخف وزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول في تقريره أمام الكونغرس في 9/2/2003. أن يعلن بصراحة أن الولايات المتحدة بعد احتلالها للعراق، ستقوم باغارة ترتيب المنطقة وفق المصالح الأمريكية وشروط السلام الصهيوني. أي أن تصبح المنطقة العربية في طل هيمنة أمريكية صهيونية.

ومن هنا جاءت معارضه فرنسا وألمانيا لشن حرب على العراق. مما أحدث انقساماً حاداً في اجتماع وزراء دفاع الأطلسي (الناتو) يوم الأربعاء 5/2/2003، حين عارضت كل من ألمانيا وفرنسا وبلجيكا اقتراح أمريكا بدعم الحلف لتركيا، إذا خاضت الحرب مع العراق. فكان الرفض الثلاثي صفة حادة للولايات المتحدة، التي تحاول توفير حشد أوربي وعالمي لحربيها مع العراق، وتعترض العديد من المجتمعات المتالية لراب الصدع داخل الحلف حتى خرجوا بعد صيغة توفيقية، لم تحضرها فرنسا.

إن التمرد الفرنسي والألماني يشكل أولًا البدائل بعد انتهاء الحرب الباردة، لتفرد الولايات المتحدة في إدارة الأزمات

الدولية، ووقف حالة الطاعة للسيد الأميركي، وإلى بذور توجهات نحو تعددية قطبية، تخلق نوعاً من التوازن الدولي. هذا التوجه الجديد لفرنسا وألمانيا، أوجد لهم من يساندونهم في مواقفهم كالروس والصينيين. وهذا ما اتصح في الدعوات للدول الأربع في منع الحرب على العراق، مع الاتفاق على نزع أسلحة العراق، ولكن بطريقة سلمية بعيدة عن الحروب.

\* **الذرائع الواهية لشن الحرب على العراق**  
من الغباء السياسي الأميركي البريطاني لشن الحرب على العراق، هو استغباء الآخرين. من خلال ما يطرحوه من أدلة غالباً ملقة على العراق، فسر عان ما تكشفها الأوساط العلمية والإعلامية. وتصنيع ذرائع واهية لإيجاد المبرر للحرب على العراق، حتى ولو كان كذباً. وهذا ما أفقد مصداقية إدارتي بوش وبيلر في الولايات المتحدة وبريطانيا، حتى عند شعبيهما. وفي استطلاع جرى في بريطانيا ونشرته كافة وسائل الإعلام يوم الثلاثاء 11/2/2003، يشير إلى أن غالبية البريطانيين العظام ترفض الحرب، ووصلت نسبة الرافضين للحرب من الشعب البريطاني إلى 80%.

وكذلك في الولايات المتحدة فإن غالبية العظام ترفض تلك الحرب، رغم أن الإعلام الذي تحكم به القوى الصهيونية والإيمينية الداعمة للحرب، يحاول أن يزيف رفض الشارع الأميركي لتلك الحرب. فذكر أحد الباحثين أن الصحافة الشعبية الأمريكية، تبين غالبية العظام من الشعب الأميركي ترفض الحرب، إلا أنها تزور من قبل الصحافة الأمريكية الكبيرة. وذكر أن سيدة أمريكية، ذكرت أنها كانت تريد أن تعبر عن رأيها عن رفضها للحرب، ولكنها لم يسمح لها، حتى اتصلت في أحدي القنوات، وسئلتها قبل أن تظهر على الهواء مباشرة، فقالت إنها مؤيدة، ولكنها مجرد أن أصبحت على الهواء، عبرت عن رفضها للحرب، فقطع الإرسال مباشرة (50). وهذا ما يدل على تزوير كثير من الاستطلاعات، التي تجريها صحف أمريكية متذهبة، يظهر أن غالبية الشعب الأميركي مع الحرب على العراق.

ومن دلائل تزوير وتلفيق ذرائع الحرب على العراق، هو ما كشفته الصحافة البريطانية. فقد قدمت الحكومة البريطانية تقريراً وزع على أعضاء مجلس الأمن، قبل أن يلقى الوزير كولن باول تقريره ضد العراق في يوم الأربعاء 5/2/2003. يثبت فيه أن العراق خرق قرارات الأمم المتحدة، وأشار به باول في جلسة الأربعاء المذكورة (51).

ولكن تبين أنه نقل أربع صفحات منه من رسالة لطالب أمريكي من أصل عراقي يدعى /إبراهيم مرعشلي/، أما ياقب التقرير نسخ من رسائل جامعية، كما قال /غلين رانجوا/ الاختصاصي بالشؤون العراقية في جامعة كامبريدج: (إن أحد عشر صفحة من صفحات التقرير التسع عشرة أخذت بالكامل من رسائل أكاديمية) وعقب بقوله: (إذا كان طبيعة "معلومات"

الاستخبارات هي في الواقع مجرد بحث عبر الأنترنيت فإنها تثير الشك حول درجة الإقناع في مزاعم الحكومة السابقة).<sup>(52)</sup>  
وفضحت القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني يوم الخميس 6/2/2003 أصل هذا التقرير البريطاني، قالت (إن مقالة نشرها إبراهيم المريعشى في مجلة "ميدل إيست ريفيو" أوف إنترناشيونال آفيرز" شكلت أربع صفحات من الملف، أما محتوى أكثر من ست صفحات من الصفحات الباقيه، فقد اعتمد على مقالات كتبها شون بوين وكين جوس، وظهرت في نشرة "جينز آنتليجنس ريفيو" في تشرين الثاني من العام 1997).<sup>(53)</sup>

وهذا يدلل على ضعف المبررات لشن حرب على العراق.  
ثم أطلقت الولايات المتحدة ذريعة أخرى للحرب بربط العراق بتنظيم القاعدة، والذي نفاه أسامة بن لادن في الشريط الذي عرضته قناة الجزيرة مساء الأربعاء 12/2/2003، بل كفر النظام. إلا أن الولايات المتحدة وبريطانيا اعتبراه رغم النفي، أن هناك علاقات بين النظام وتنظيم القاعدة. كل ذلك يبيّن مدى تفاهة المبررات أمام الإصرار على تنفيذ مخطط رهيب يبدأ في العراق وينتهي غرباً في طنجة وشرقاً في جاكارتا.

## \* الفصل التاسع

# التهيئة الأمريكية البريطانية للعالم لاحتلال العراق

بدأت الجملة الأمريكية لاحتلال العراق كما أشرنا بعد الساعات الأولى لانتهاء أحداث نيويورك وواشنطن، ثم أخذت تستعر بشدة من قبل الإدارة الأمريكية وحليفها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير لتحضير العالم وتهيئته للقيام بعمل عسكري مشترك بينما ضد العراق ونظامه، من خلال تضخيم دعاية بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل، وأنه يطور أسلحته الكيماوية والحرثومية، ويسعى لإعادة العمل بمشروعه النووي. واعتبرت الدولتان العراق يقوم باختراق لقرارات مجلس الأمن الدولي التي تحظر عليه أمتلاك أو تطوير أسلحة الدمار الشامل والصواريخ التي تتجاوز الخمسين كيلو متراً، ومنعه من إعادة بناء مشروعه النووي، وتدمير كل ما لديه من تلك الأسلحة، وبضرورة عودة المفتشين الدوليين للعراق للتفيش عن تلك الأسلحة.

وتم تضخيم القدرات العسكرية العراقية لتصورٍ للغرب عامة والشعب الأمريكي خاصة، بأنها تشكل تهديداً خطيراً للأمن القومي للولايات المتحدة. وهي أذاوية يعلم مظلقيها قبل غيرهم إن العراق كما أشرنا في فصل سابق قد دمرت أسلحته على يدي مفتشي (أنسكوم)، استمرت سبع سنوات منذ انتهاء حرب الخليج الثانية. وهذا ما أثبتته لجان التفتيش الدولية التي ابنتقت عن قرار مجلس الأمن رقم (1441)، سواء مفتشو الأسلحة النووية التابعون لوكالة الطاقة النووية برئاسة محمود البرادعي. أو مفتشو الأسلحة الحرثومية والكيماوية والصاروخية برئاسة هانز بليكسن، حيث لم تتعثر على تلك الأسلحة المزعومة.

وفي الأشهر الأخيرة التي سقطت الحرب، وسعت الجملة الأمريكية والبريطانية دائرة الذرائع لتبرير الحرب، لتشمل ضرورة تغيير النظام في العراق إضافة لنزع أسلحة العراق. تحت ذريعة الخطير الذي يشكله صدام حسين على الأمن

القومي للشعب الأمريكي. لأن هناك تعاوناً بينه وبين منظمات إرهابية، منها تنظيم القاعدة ضد الولايات المتحدة ومصالحها، حتى وصل الأمر بالحملة الدعائية الأمريكية ضد العراق بالتأكيد على وجود علاقة بين صدام ونظامه في أحداث الحادي عشر من أيلول.

و قبل الحرب أيام، حاولت الولايات المتحدة ومعها بريطانيا وإسبانيا الحصول على موافقة دولية لشن حرب على العراق، لكنها فشلت بسبب المعارضة الدولية للحرب، والتي تزعمتها روسيا وفرنسا وألمانيا. وللتاكيد على موقف الدول الثلاث المعارضة للحرب أصدروا بياناً مشتركاً في 5/أذار/2003، طالبوا فيه بضرورة إعطاء فرصة للمفتشين مدة زمنية لاستكمال مهمتهم. بعد أن وافق العراق على عودتهم، وتعاون معهم إلى أقصى حدود التعاون، حتى أنه باشر بتدمير صواريخ (الصموود) القصيرة المدى بناء على طلب لجان التفتيش. (نص البيان الثلاثي في الملحق)

ورغم ما قدمه كل من البرادعي وليكس من تقارير، يتبين فيه عدم عثور المفتشين على أي من أسلحة الدمار الشامل أو استئناف البرنامج النووي لدى العراق، إلا أن كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا استمرتا في حملتهما الدعائية ضد العراق. ومن ثم بدأ الحشد العسكري الأمريكي والبريطاني والأتراك في الخليج ليشن حرب على العراق. بذرية أن صدام ونظامه يشكل خطراً على المجتمع الدولي وعلى جيرانه وشعبه، ولا بد من تحرير العراق منه وإرساء الديمقراطية وفق النموذج الأمريكي.

## \* مبررات الرئيس جورج بوش لشن الحرب على العراق

وضع الرئيس جورج بوش قبل أيام من شن الحرب على العراق مبررات ومسوغات تلك الحرب، من خلال خطاب ألقاه في 27/شباط/2003 في مؤسسة الابحاث (أمريكان إنتربرايز)، ورغم ما جاء فيه من مبررات ثبت بعد الحرب بطلانها، إلا أنها رأينا تقديمها للقارئ كوثيقة من وثائق تلك الحرب الظلالة، نبرز من خلالها جبروت وطغيان القوة الأمريكية تجاه البلدان الضعيفة.

ونذكر مما جاء في هذا الخطاب التالي:

- أضاف إلى المبررات السابقة لشن الحرب على العراق، ضرورة تغيير نظامه السياسي بالقوة، حفاظاً على أرواح الأمريكيين من خطر أسلحة صدام حسين عليهم، ومن أجل ما أسماه تحسين فرص السلام ما بين العرب والكيان الصهيوني، وكان النظام العراقي يملك صواريخ عابرة للقارات تهدد

**القارة الأمريكية، وأنه يمنع عملية السلام التي لم تنفذ إسرائيل أى منها، فقال: (إن إنهاء هذا الخطر المباشر والمتناهي أمر ضروري لحماية سلامة الأميركيين، وسيمهد الطريق لمرحلة جديدة للسلام في الشرق الأوسط).**

- أكد في خطابه على الخطر الذي تشكله الأسلحة العراقية على العالم، لأنها بيد دكتاتور لا يعيش إلا بالدماء، وأن هناك علاقات بين نظام صدام حسين والمنظمات الإرهابية في العالم، فقال إن في العراق: (دكتاتوراً يبني ويخفي أسلحة تسمح له بالسيطرة على الشرق الأوسط، وترهيب العالم المتحضر، ونحن لن نسمح بذلك، ولهذا الدكتاتور علاقات وثيقة مع التنظيمات الإرهابية، ويمكن أن يزورها بالأسلحة الرهيبة لضرب هذه البلاد، وأمريكا لن تسمح له بذلك...)

- أتّهم النظام العراقي بزرع الفتن بين الدول، وقدم الشكل الجديد للعراق وفق المنظور الأميركي بعد احتلاله قائلاً: (النظام العراقي أظهر قوّة الطغيان في نشر الخلافات والعنف في الشرق الأوسط، والعراق المحرر سيظهر قوّة الحرية في تحويل هذه المنطقة الحيوية من خلال جلب الأمل والتقدّم لحياة الملائكة: مصالح أمريكا وأمنها وإيمان أمريكا بالحرية كلها، توصل الاتجاه ذاته: إلى عراق حرّ مسالم).

- تعهد في حال استخدام القوة مساعدة العراق بالإمدادات الضرورية، كما تعهد بتوفير الأمن ضدّ الذين يسعون للانتقام، وتهديد وحدة التراب العراقي، وحول النظام الجديد في العراق بعد نظام صدام حسين قال: (لا تنوى الولايات المتحدة تقرير طبيعة وشكل الحكومة العراقية الجديدة، فهذا خيار للشعب العراقي. ولكننا سنضمن عدم استبدال دكتاتور قاسٍ باخر، يجب أن يكون هناك صوت لجميع العراقيين في الحكومة الجديدة، ويجب حماية حقوق جميع المواطنين).

- وعن مدة الاحتلال لم يضع مدة زمنية لفترة الاحتلال بل قال: (وسنقى في العراق طالما دعت الضرورة، ولكن ليس يوماً أكثر

من اللازم). وبرأ أن من أهداف شن الحرب،  
ما اسمه نشر الديمقراطية في العراق،  
وأشار إلى تحارب الاحتلال الأمريكي في  
اليابان وألمانيا، حيث أرسى الاحتلال  
الديمقراطية في البلدين، وهذا ما سحرى  
على العراق، فقال: (إن الكثيرون يشكرون  
قدرة اليابان وألمانيا على صيانة قيم  
الديمقراطية، ولكنهم أخطئوا.. والبعض  
يقول الشيء ذاته حول العراق، وهم  
مخطئون أيضاً).

- وأدعى أن تغيير النظام في العراق سيحل  
مشكلة الشرق الأوسط أي الصراع  
الصهيوني الفلسطيني، ويحلف التمويل  
والدعم للمنظمات الفلسطينية المقاومة  
للاحتلال الصهيوني فقال: (إن النجاح في  
العراق سيدأ مرحلة جديدة للسلام في  
الشرق الأوسط، وسیدأ بعمليه التقدم باتجاه  
دولة فلسطين الديمقراطية، وسيحرر  
شبكات الإرهاب من راع ثرى بمول تدريب  
الإرهابيين، ويقدم المكافآت لعائلات  
الانتخاريين).

- ووجه تحذيراً لأعضاء مجلس الأمن الرافضين  
إعطاء الولايات المتحدة وبريطانيا قراراً  
شن الحرب على العراق وقال: (إنه خلال  
المواجهة مع العراق كانت الولايات المتحدة  
تؤكد التزامها بالمؤسسات الدولية مثل  
الأمم المتحدة.. وإن أمريكا تؤمن بمجلس  
الأمن، ولذلك تريد أن تكون لقراراته معنى)  
(54).

## \* الفصل العاشر

### احتلال العراق

رغم محاولات الولايات المتحدة وجليفتها بريطانيا لاستصدار قرار من مجلس الأمن في السابع من آذار 2003، وعلى الرغم مما قدمه كولن باول وزير الخارجية الأمريكي من تقرير حاول فيه إقناع المجلس بتبرير الحرب ضد العراق لامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وأنه أخفاها عن المفتشين الدوليين، ولا يزال يراوغ في تنفيذ قرار مجلس الأمن 1441/، الذي يدعو العراق لنزع أسلحته.

إلا أن عدداً هاماً من أعضاء المجلس لم يقتنعوا بما جاء في تقرير باول، والسبب أن كل من البرادعي وبليكسن قدما تقريرين أكدَا فيما عدم اكتشاف المفتشين لتلك الأسلحة رغم التفتيش المفاجئ، وبينَا أن العراق يتعاون معهما ضمن القرار الدولي 1441، وطالياً من المجلس مدة زمنية إضافية لاستكمال عمليات التفتيش.

ولما تبين للولايات المتحدة أن الحصول على غطاء دولي لشن حرب على العراق مستحيلاً، بسبب إعلان كل من فرنسا وروسيا عن إمكانية استخدام حق /الفيتو/ ضد أي قرار يتضمن شن الحرب على العراق، تحركت خارج نطاق المجلس، لتشن حرباً على العراق دون أي غطاء دولي شرعي. فعقد اجتماع للحرب ضم كل من الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس وزراء بريطانيا توني بلير ورئيس وزراء إسبانيا أزنان في البرتغال في 16/3/2003، حيث أمهل الثلاثة المجتمع الدولي 24 ساعة لإعطاء ترخيص للحرب، وإلا فإنهم سيتحركون منفردین وبمشاركة من يرغب من الدول، من أجل إسقاط النظام الحاكم في بغداد (55). واتفق الرؤساء الثلاثة على شن الحرب على العراق في النصف الثاني من شهر آذار.

وفي ليلة 17 آذار وجه الرئيس الأمريكي خطاباً، أذر فيه الرئيس العراقي صدام حسين بمغادرة العراق خلال 24 ساعة مع ولديه عدي وقصي، وإنما سبوا حجه ضربة عسكرية تحدد واشنطن توقيتها، وأعداً أنه بعد تحرير العراق فإن العراقيين

سيقدمون نموذجاً لكل شعوب الشرق الأوسط. وأكد أن الولايات المتحدة وحلفاءها مجازون باستخدام القوة لإزالة أسلحة العراق، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة الصادرة منذ التسعينات، مشدداً على (أن أمن العالم يتطلب نزع أسلحة صدام الآن) ونصح (كافة المواطنين الأجانب بمعادرة العراق) (56). ورفض العراق الإنذار، ودعى الشعب لمواجهة الغزو الأمريكي البريطاني عبر رسالة وجهها صدام حسين.

وفي العشرين من شهر آذار 2003 شنت الولايات المتحدة بالتحالف مع بريطانيا وأستراليا حرباً عسكرية غير متكافئة مع العراق المنهك من الحصار والديون والحروب، واستخدمت قوات التحالف أحدث ما لديها من أسلحة متطرفة جواً وبراً وبحراً. وبقيت الحرب على أشدتها إلى صباح يوم التاسع من نيسان، حين سقط الجزء الأهم من بغداد، فانهارت الدفاعات العراقية التي قدمت في بداية الحرب أروع أشكال الصمود والدفاع أمام قوات الغزو المدجحة بأحدث الأسلحة المتطرفة.

وصررت بلدة (أم قصر) الحدودية مثلاً على التحدى ومواجهة الغزاة، ورفض الاستسلام على الرغم من صغر البلدة، التي لا تتجاوز الثلاثة أحياء سكنية، ومن قربها من الحدود الكويتية التي انطلقت منها قوات الغزو. حيث بقيت فيها جيوب المقاومة أكثر من عشرة أيام، تصد الهجمات المتتالية لقوات التحالف الغازية، والتي تفوقها آلاف المركبات عدة وأعداداً. وحين أسر الغزاة المقاومين تبين أنهم كانوا أقل من فصيلة مشاة. فقد كان صمودهم مثار إعجاب العالم كله، الذي كان يتبع هذا الصمود العظيم عبر شاشات التلفاز العربية والعالمية. ولم تكن أم قصر وحدها المثل الوحيد في المقاومة، بل كانت كل مدن الجنوب والوسط والموصل وما حولها أمثلة في المواجهة.

وقدر البرفسور أنتوني كوردسمان الذي يعمل في مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية في واشنطن تقريراً في التاسع من نيسان 2003 جاء فيه حول ما استخدمته قوات التحالف من قوة نارية ضد العراق جاء فيه:

- افتقار شيء كلي إلى المعلومات الأساسية عن الحملة الجوية التي شملت حتى التاسع من نيسان /أبريل نحو 34 ألف طلعة، منها 13 ألف إغارة، و 6850 طلعة تزويد بالوقود في الجو، و 6500 طلعة جسور، وأكثر من 2250 طلعة مخابرات واستطلاع استراتيجي.

- إطلاق أكثر من 750 من صواريخ كروز، وما بين 15 ألفاً و 16 ألف وحدة ذخيرة دقيقة التصويب، و 7500 سلاح غير موجه... (57).

وقد رأى بعض المحللين والصحفيين يقصور من الرؤية، إن بغداد قد سقطت دون قتال. وإن الرهان كان على أن يحدث قتال شديد في بغداد أسوة أيام قصر وغيرها، دون أن يدركون أن بغداد قد قاتلت منذ اليوم الأول للحرب، حين تعرضت لقصف

جوي وبحري متواصل مدى عشرين يوماً، أي ما يعادل حسب تقدير كثير من الخبراء العسكريين في العالم ثلاثة قنابل نووية من التي أقيمت على هورشيمابا اليابانية، كما أبديت عدداً من فرق من الحرس الجمهوري، التي كانت تجمي بغداد مثل فرقة نبودن نصر وغيرها. ذكر وزير الحرب الأمريكي أنه تم استخدام أحدث الأسلحة والقنابل الحديثة، التي لم يعرف عنها العالم شيئاً.

وقد أشارت العديد من وكالات الأنباء أيضاً عن صفقة تمت بين أجهزة المخابرات الأمريكية مع حفنة من قادة الجيش والحرس الجمهوري، خانهؤلاء القادة بладهم مقابل حفنة من الدولارات، مع تأمين ملاذ آمن خارج العراق، على أن يقوموا بتسلیم البلاد، وإعطاء الجيش والحرس أوامر ترك مواقعهم العسكرية والسماح للقوات العازية باحتلال البلاد. إلا أن هذه المعلومات ليست مؤكدة وغير دقيقة، وتحتاج إلى التدقيق والتقصي للوصول إلى مصادقتها. والقارئ يعرف أن أسرار الغرب ت تحتاج لسنوات حتى تظهر جزء من أسرارها، ولن تظهر حقيقتها بشكل كامل.

#### \* من مفاعيل الاحتلال الأولية للعراق.

برزت في الأيام الأولى أكذوبة حرية العراق وتحريره من الدكتاتورية، فقد تجلت في تصرفات جنود الاحتلال من خلال التفتیش الكيفي للمنازل العراقية المدنية، التي لم يكن لسكانها أية علاقة بالحرب والمحمية بالقانون الدولي من خلال اتفاقية جنيف. فقد كان جنود الاحتلال يعيشون في منازل المواطنين من سرقة المال والحلبي والأشياء الثمينة، واعتقال مواطنين العراقيين بدون تهمة، ووضعهم في مواقف مزرية، حيث يغطى الرأس بأكياس، وتصرف أيديهم بالجبال، ويبقون في العراء دون السماح لهم حتى بالتحرك لأغراض شخصية، وإبقاء العديد منهم في الصحراء تحت شمس حارقة. والقتل العمد بدون أي سبب، وامتهان كرامتهم.

#### \* ومن نتاج ذلك الاحتلال:

- سرقة وتدمير كنوز العراق الأثرية من خلال نهب منظم من قبل مافيا أمريكية وصهيونية ودولية منظمة تحت أنظار قوات الاحتلال لمتحف بغداد، الذي يضم عشرات الآلاف من القطع الأثرية لحضارة امتدت سبعة آلاف عام. مما أثار استهجان العالم كله، وأعاد للذاكرة تدمير هو لا يُذكر التترى لبغداد. وقد طالبت معظم المنظمات الثقافية في العالم بإعادة المسروقات لأنها ملك البشرية جماعة لا ملك العراق وحده.

- إفساح المجال للصوص لحرق وتدمير وسرقة البنى العلمية والتعليمية المصرية وغيرها، بهدف تدمير العراق شمولياً. فلم تسلم الكليات العلمية من التدمير

- والنهب المنظم، وكذلك الوزارات والمؤسسات الرسمية ودوائر الأحوال الشخصية والمباني الحكومية.
- أصدرت الإدارة الأمريكية المحتلة قراراً بحل الجيش العراقي، ولغاية الأجهزة الأمنية والأجهزة شبه العسكرية التي تموّلها الدولة، مما أدى إلى فقد أكثر من نصف مليون لوظائفهم ولمصدر عيشهم الوحيد.
  - تدمير المرافق العامة وعدم إصلاحها كالكهرباء والماء والصرف الصحي.
  - انعدام للأمن كلياً حيث تتحول المدن بعد غروب الشمس مرتعاً للصوصوق وقطاع الطرق.
  - في حين تعلن القوات المحتلة عن وجود مقابر جماعية قام بها النظام السابق، بلغ عدد قتلى القوات المحتلة للعراقيين ما يقرب التمانية ألف إضافة إلى الآف الأسرى في وضع إنساني مزر.
  - شكل الحكم الأمريكي في العراق بول بريمر مجلس الحكم الانتقالي للعراق مؤلفاً من 25 شخصية، اختبروا على أساس طائفي وعرقي. وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ العراق منذ ظهوره ككيان سياسي، وهم: ممثلو الشيعة وعددهم 14/4 والسنّة 4/4 والأكراد 5/5 ومسيحي واحد، وتركماني واحد.(58).
  - من مأساة هذا التشكيل هو الغاء الصفة العربية عن العراق، في حين أعطيت الصفة القومية للأكراد والتركمان، وقسم العرب شيعة وسنة ومسيحيين.
  - أعطيت للحاكم الأمريكي بريمر حق نقض أي قرار صادر عن هذا المجلس دون أن يقدم أي تبرير.
  - كانت أولى قرارات المجلس الانتقالي إلغاء كل أعياد العراق الرسمية، والاحتفال فقط بيوم احتلال العراق في التاسع من نيسان، وتشكيل محاكم للعراقيين، ومنع محاكمة جنود الاحتلال.

#### \* الإرهادات الأولية للاحتلال.

بعد انتهاء الحرب، واحتلال العراق، بدأت الولايات المتحدة العمل على المستوى الدولي لشرعنة الاحتلال، استطاعت أن تحصل على قرار مجلس الأمن الدولي في 22/5/2003، رقم 1483/. شرع فيه الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، وفرضهما بالسيطرة المطلقة على مستقبله السياسي وموارده الطبيعية. وقد صوتت على هذا القرار 14/ دولة من أعضاء مجلس الأمن الـ15/ بنعم على القرار، في حين تغيبت سوريا عن الجلسة وهي العضو العربي الوحيد في المجلس.

- ويفسح القرار لدولتي الاحتلال المحال باستئناف تصدير النفط العراقي، كما طلب من الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين

ممثل خاص له في بغداد على أن يتعاون مع سلطات الاحتلال في إعادة بناء العراق سياسياً واقتصادياً.

- شنت حملة شعواء بعد الحرب على سوريا وإيران، حيث اتهمت سوريا بابوئ قادة النظام العراقي السابق، وتهريب الأسلحة والمتضوعين العرب إلى العراق. ثم تطور الأمر إلى نهديد سوريا بالحصار وحتى بالاعتداء إذا لم تقبل مؤسسات المنظمات الفلسطينية الإعلامية بذريعة دعم المنظمات الإرهابية، وأن تقوم بنزع سلاح حزب الله اللبناني ونزع أسلحته، وأن تنزع أسلحة الدماء الشامل لديها.

أما إيران فاتهمت بتطوير سلاحها النووي، وعليها القبول بالتفتيش المفاجئ لمنظمة الطاقة الدولية، وأن تغير سياستها تجاه القضية الفلسطينية بدعم السلام الصهيوني الأميركي، وأن تتوقف عن مساعدة حزب الله في لبنان.

وقد ردت سوريا على ذلك باقتراح تقدمت به إلى المنظمة الدولية بنزع أسلحة الدمار الشامل في كل منطقة الشرق الأوسط، مما أدى إلى تجاهل الولايات لهذا المقترن لأنه يمس الكيان الصهيوني وترسانته النووية. ولكن القوى المتضمنة في الإدارة الأمريكية لا تزال تعمل وتحرض ضد سوريا ما دامت لا ترضخ للشروط الصهيونية.

#### \* المقاومة العراقية تعزّي أكاذيب الحرب

بعد شهر فقط من انتهاء الحرب برزت المقاومة العراقية، لتواجه الاحتلال وتوقع في قواه خسائر يومية، ففرعت الرعب والخوف في قلوب جنود الغزاة. فظهر الارتباك والخوف والرعب في صفوف القوات الغازية، كلما تزايدت أعداد القتلى من الجنود الأمريكيين. حتى وصل الأمر في أحد الجنود الأمريكيين يطالب وزير دفاعه بالاستقالة لأنه يكذب من خلال مقابلة تلفزيونية أحقرتها إحدى المحطات الأمريكية، مما أدى أن يحذر قائد القوات الأمريكية الوسطى أبو زيد أن يهدد الجنود بالعقوبة، إن طاولوا على قادتهم.(59).

انعكست أعمال المقاومة العراقية والخسائر في القوات الغازية على الرأي العام الأمريكي والأوروبي، وكذلك عدم العثور على أسلحة الدمار الشامل، التي كانت الذريعة الأهم لشن الحرب على العراق. فظهرت فضائح الأكاذيب التي ساقتها إدارة بوش وبلير حول أسلحة الدمار الشامل وخطورتها على الأمن القومي الأمريكي خاصة وعلى العالم عامة.

فتكتشفت أكذوبة محاولة النظام العراقي السابق شراء بورانيوم من النيجر، والتي تبين أنها كانت من صنع الموساد الصهيوني، التي أعلم بها المخابرات البريطانية ثم نقلت إلى المخابرات الأمريكية، وتشتمل خطاب بوش لحالة الاتحاد.

وتمت مساءلة رئيس المخابرات المركزية جورج نت (يهودي) أمام الكونغرس مساء 16/7/2003، الذي أعلن تحمله

لمسؤولية الكذبة، ومن خلال قوة اللوبي الصهيوني في الكونغرس تمت تغطية تلك الجريمة. بل تمت الإشادة ببطولات ننت ليبقى في منصبه الخطير. ولكن الصيف والعام القادم سيشهدان نشر كثير من أكاذيب مبررات الحرب بسبب الانتخابات الأمريكية، حيث بدأ المرشحون الديمقراطيون يشارون ملفات الحرب الملفقة، ويطالبون الرئيس الأمريكي بتقديم الأدلة التي برأ بها الحرب على العراق، والتي لم يعثر على أي منها.

كما تمت مساءلة رئيس الوزراء بلير عن أسلحة الدمار الشامل في الصحافة البريطانية وأعضاء مجلس العموم عن أسلحة الدمار الشامل العراقية. وسخر هانز بليكس كبير المفتشين الدوليين في العراق من قدرة العراق على إطلاقها خلال 45 دقيقة، التي ذكرها بلير في تقريره قبل الحرب على العراق في مجلس العموم.

وحين لم تجد الإدارة الأمريكية والبريطانية وجود ما ساقته من تبريرات حول أسلحة العراق، ثم تسويق أكذوبة جديدة هي أنهمَا قامتا من أجل تخلص الشعب العراقي من الدكتاتورية، ووضعه على طريق الحرية. ولكن هذه الأكاذيب لا تزال تتفاعل حتى تطيح برؤوس من صنع هذه الحرب، وهذا مرتبط من خلال تصاعد وتيرة المقاومة العراقية ضد الاحتلال، والرفض الجماهيري في العراق للاحتلال وأذنابه، ووصول نعوش الجنود إلى واشنطن ولندن.

#### \* الخاتمة

**الربح والخسارة من أحداث أيلول**  
في قماءة متأنية لميزان الربح والخسارة من أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، لمعرفة الفاعل الحقيقي لتلك الأحداث، فالمحرم هو من يستفيد من الجريمة. ومن خلال ما تبع أحداث أيلول من تطورات كبيرة على المستوى الداخلي للولايات المتحدة والعالم خاصة المناطق العربية والإسلامية، نجد أن المستفيد الرئيسي من تلك الأحداث هو الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

وأن المتضرر من تلك الأحداث هي أغليبية دول العالم وخاصة من يملك النفط وبلدان المروء لأنابيب النفط، وعلى رأسها الأمة العربية ودول إسلامية، وبقية الدول التي وضعت في قائمة دول محور الشر (العراق وإيران وكوريا الشمالية). والمتضرر الكبير كان الشعب الفلسطيني، الذي تركته الولايات بزعامة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، ليمارس حليفه شارون وحكومته الصهيونية سادته، وتلذذه بالدم الفلسطيني، ويحقق مشروعه بإفراغ ما تبقى من فلسطين من الفلسطينيين.

ومن نتائج الأحداث تم الإعلان عن هيمنة الأمريكية على العالم، عبر إطلاق حاكميتها على القرار الدولي، ومصادر حرية القرار للهيئات الدولية في الأمم المتحدة سواء في مجلس الأمن أو حتى الجمعية العامة، ووجوب تابعية دول العالم للإدارة الأمريكية، من خلال الشعار الذي أطلقه الرئيس جورج بوش الابن (من لم يكن معنا فهو ضدنا). أي لا خيار أمام أي دولة في العالم باختيار الحياد، أما مع أو ضد، فلا وسطية، ولا حياد، ولا معارضته في أي أمر تريده تلك الإدارة الأمريكية من أية دولة في العالم.

ورفع درجات التهديد بالحرب لتأديب الدول الرافضة بعدم السير وفق المزاج الأمريكي. ووصلت القوات الأمريكية إلى بحر قزوين برصاً أو عدم الرضا الخفي لدول حوض بحر قزوين، دون معارضته روسية أو أوروبية، وتم الاستيلاء على الثروة النفطية الهائلة لهذا البحر، وأزيلت حكومة طالبان عن الحكم في أفغانستان، بعد ذبح وقتل آلاف الضحايا من الشعب الأفغاني، وبعض العرب والباكستانيين والتشيشان وغيرهم من المسلمين، الذين كانوا يتواجدون في أفغانستان.

وشنت الحرب على العراق، وتم احتلاله ونهب ثرواته الطبيعية والأثرية، ودمرت بناء الفوقيه والتحتية بقوة تدميرية، لنذهب أمواله بحجة إعادة بناء العراق، التي ترسو يومياً إعادة البناء على شركات يملكونها ديك تشيني وكوندليزرايس وغيرهم من شركات النفط الأمريكية، وكان باول وزير الخارجية الأمريكي قد أعلن قبل الحرب: (إن النفط العراقي سيكون أمانة بيد الجيش الأمريكي)، وفي قانون إدارة بوش القائل: (النفط أينما وجد في العرف الأمريكي يجب أن يكون ملك أمريكا) وبدأت حملات التصفية للحسابات القديمة مع المنظمات العربية والإسلامية، التي ناهضت هيمنة الولايات المتحدة منذ عشرات السنين، وكذلك الدول التي كانت لها مواقف معارضة من حكومة بوش. ووصل الأمر بتلك الإدارة الجهنمية، أن هددت دول بالسلاح النووي فقط لمجرد تصفية الحسابات.

وفي التقرير السنوي الذي تصدره هيئة رئاسة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية، والذي يستعرض القوات الاستراتيجية النووية الأمريكية في داخل الولايات المتحدة وفي أنحاء العالم، جاء فيه أن إدارة بوش (أصدرت توجيهاتها إلى الپنتاغون بأن يعد الخطوط العامة لاستخدام القنابل النووية ضد سبعة من بلدان العالم على الأقل - وهي روسيا والصين والعراق وإيران وكوريا الشمالية وليبيا وسوريا - خمسة منها لا تملك سلاحاً نووياً، وقد أضيفت مؤخراً إلى خطط التهديد النووي).

كذلك يقضي التقرير (مراجعة الحالة النووية بإجراء استعدادات لاستخدام الأسلحة النووية في الصراع العربي - الإسرائيلي، وفي مواجهة بين تايوان والصين، وفي هجوم تشنـه كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، وهجوم عراقي ضد إسرائيل

أو بلد آخر مجاور له، وفي أوضاع أخرى غير محددة(60).  
وعلى المستوى الداخلي الأمريكي تم تمرير مشروع بوش  
الابن حول المطلة الدفاعية، التي كانت تعارضه غالبية الشعب  
الأمريكي، وكذلك تم إقرار ميزانية الدفاع بسهولة، التي بلغت  
الأربعين مليون دولار من الكونغرس دون معارضة. واختفت  
عيوب عملية وصول بوش إلى رئاسة الولايات المتحدة عن  
طريق المحكمة الفيدرالية، وانتهت مسألة التشيك بانتخابه، بل  
الأدهى من ذلك، أن الأحداث قد رفعت من رصيد شعبية بوش  
الابن المتدينة، حتى أصبحت شعبيته تفوق كل رؤساء أمريكا  
السابقين، والمكاسب كبيرة لا تعد، أمام خسارة برجي التجارة  
الدولية وجاء من مبني البتاغون، وما فيها من أرواح بشرية لا  
ذنب لها.

أما الكيان الصهيوني الذي كان محاصراً قبل الأحداث من  
قبل الرأي العام العالمي، لممارساته الوحشية ضد الأطفال  
والنساء في فلسطين، والمازق الذي وضع فيه بسبب الانتفاضة،  
كان المستفيد الأكبر من أحداث أيلول 2001. فاصبح السفاح  
شارون رجل سلام في عرف الرئيس بوش الابن، وأطلق يده  
ليفعل ما يشاء في الأرض المحتلة، وتمت عمليات الإبادة  
للفلسطينيين تحت أنظار العالم كله، دون أن يحرك أحد ساكناً،  
وآخرست السن المعاصرة في أوروبا وأعالم لتلك الممارسات  
الوحشية.

وتم رفع العصا الغليظة الأمريكية والصهيونية والتابع  
البريطاني في وجه الدول العربية والإسلامية، ولم يتورعوا عن  
طرح خرائط جيدة للمنطقة العربية، تبدأ في العراق وتنتهي في  
المغرب، دون أن يجدوا لرد العملي والفعلي لهذه الجريمة، بل  
يطلبوا ثقافات جديدة تطبق على جميع دول العالم وأولهم  
العرب والمسلمين وفق المزاج الأمريكي والصهيوني، أي ثقافة  
الخنوع والذل والإهانة والركوع الدائم.

وهكذا تبقى الاستكشافات عن حقيقة ما جرى في 11 أيلول  
مستمرة، كما أن الحدث يتطلب عمل جماعي حكاماً  
ومحکومين من العرب والمسلمين للمواجهة، وإنزال الهزيمة  
بقوى الشر مهما عظمت، فهي إرادة الشعوب يمكن النصر  
والعزّة ورد العداون.

وهكذا استخدمت الولايات المتحدة أحداث الحادي عشر من  
أيلول / سبتمبر 2001 لشن مجموعة من الحروب لتحقيق  
مصالحها العسكرية والاقتصادية والثقافية والسلوكية.

## المصادر :

- 1 - American Free Press 4 ) كانون الأول 2001(.
- 2 - قناة الجزيرة القطرية - 6/2/2002 - أخبار الظهيرة.
- 3 - السفير اللبناني - العدد 9306 - 20/9/2002 .
- 4 - المصدر السابق.
- 5 - يسري فودة - سري للغاية - قناة الجزيرة - 12/9/2002 .
- 6 - المصدر السابق.
- 7 - تيري ميسان - التحليل الشيطاني - الدار الوطنية الجديدة - دمشق 2002 - ط 1 - ص 48 .
- 8 - المصدر السابق - ص 45 و 46 .
- 9 - قناة الجزيرة القطرية - برنامج آخر حروب القرن - 23/2/2002 .
- 10 - تيري ميسان - التحليل الشيطاني - مصدر سابق - ص 98 .
- 11 - مجلة نيويوركر امريكية - 4/8/2002 .
- 12 - هآرتس الصهيونية - 17/9/2001 .
- 13 - الوطن العمانية - 17/9/2001 .
- 14 - السفير اللبناني - العدد 9318 - 4/10/2002 - ص 17 .
- 15 - قناة دريم الفضائية المصرية - 26/9/2001 .
  
- 16 - هآرتس - فلسطين المحتلة - 27/9/2001 .
- 17 - البعث الدمشقية - ص 16 - 1/10/2002 .
- 18 - تيري ميسان - التحليل الشيطاني - مصدر سابق - ص 19 .
- 19 - المصدر السابق - ص 27 .
- 20 - المصدر السابق - ص 28 و 29 .
- 21 - المصدر السابق - ص 28 .
- 22 - المصدر السابق - ص 29 .
- 23 - المصدر السابق - ص 31 و 32 .
- 24 - الثورة الدمشقية - العدد 11959 - ص 1 - 28/11/2002 .
- 25 - عاصم محفوظ - حول التحقيق في عملية 11 أيلول - السفير اللبناني - العدد 9407 - ص 17 - 25/1/2003 .
- 26 - السفير اللبناني - العدد 9370 - ص 19 - 9/12/2002 .
- 27 - المصدر السابق.
- 28 - نيويورك تايمز - 26/5/1997 .
- 29 - واشنطن بوست - 19/12/2000 .
- 30 - السفير اللبناني - العدد 938 - ص 13 - 28/12/2002 .
- 31 - إسماعيل الشطبي - تحديات استراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول - مجلة المستقبل العربي اللبنانية - العدد 283 - ص 45 - 9/2002 .
- 32 - (جيمس دوريان - Oil and Gaz Journal - September 2001) .

- 33 - اسماعيل الشطبي - تحديات استراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول - مصدر سابق - ص 45.
- 34 - المصدر السابق.
- 35 - جون لويس غارديس Foreign Policy - ترجمة: طلال الساحلي - السفير اللبناني - العدد 9396 - كانون الأول 2002 - (العدد 13/1/2003 ص 19).
- 36 - المصدر السابق.
- 37 - أعد التقرير كل من ديفيد كورترافت من غوشين، إنديانا - وأستير من واشنطن وجورج لوبن - جامعة نوتردام، إنديانا الأمريكية - ترجمة مجلة المستقبل العربي اللبنانية - العدد 283 - 9/2002 - ص 142).
- 38 - نعوم تشومسكي - أحاديث وحوارات قبل وبعد 11/أيلول 2001 - دار الرضا للنشر - دمشق - 2002 - ط 1 - ص 23.
- 39 - مجلة المستقبل العربي اللبنانية - العدد 283 - 2/9/2002 - ص 143.
- 40 - أحمد برغل - حرب من أجل النفط - الثورة السورية - العدد 12017 - 5/2/2003 - ص 9.
- 41 - المصدر السابق.
- 42 - المصدر السابق.
- 34 - ستيفان فاخوفياك - أميراطورية الشر - مجلة بجاسك البولونية - البعث 1989 - 1/2/2003 - ص 10.
- 44 - (الدكتور عبد أبو سكة - الذئاب القادمة إلى الشرق) - جريدة البعث السورية - العدد 1983 - 1/2/2003 - ص 11.
- 45 - عبد الله النفيسي - قناة الجزيرة القطرية الفضائية - برنامج بلا حدود - 12/2/2003.
- 46 - قناة الجزيرة القطرية الفضائية - النشرة الصباحية - 23/1/2003.
- 47 - البعث السورية - العدد 11900 - 28/10/2002 - ص 1.
- 48 - السفير اللبنانية - العدد 9313 - 28/9/2002 - ص 1.
- 49 - قناة المnar اللبنانية الفضائية - 24/2/2003.
- 50 - قناة الجزيرة القطرية الفضائية - 4/2/2003.
- 51 - السفير اللبنانية - العدد 9419 - 28/1/2003 - ص 12.
- 52 - المصدر السابق.
- 53 - سميح فرسون - جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب - المستقبل العربي - بيروت - العدد 284 - 10/2002 - ص 18/19).
- 54 - واشنطن - هشام ملحم - السفير اللبنانية - العدد 9434 - 28/2/2003 - ص 16.
- 55 - السفير اللبنانية - العدد 9446 - 17/3/2003 - ص 1.
- 56 - السفير اللبنانية - العدد 9447 - 18/3/2003 - ص 1.
- 57 - أنتوني كوردىسمان - تقرير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) - الصادر في 10 نيسان 2003.
- 58 - يضم مجلس الحكم العراقي كل: الشيعة: - أحمد الجليبي - عبد العزيز الحكيم - إبراهيم الحعفرى - وائل عبد اللطيف - إبراد علاوى - عقبيله الهاشمى - حميد مجيد موسى - كريم محمدداوى - أحمد البراك -

موفق الريبيعي - سمير محمود - محمد بحر العلوم - رجاء حبيب  
الخراصي - عن الدين سليم، السنة: نصير كمال الجارجي - عدنان  
الباجه جي - غازى البارو - محسن عبد العزيز، الأكراد: جلال  
الطلاباني - مسعود بارزانى - صلاح الدين بهاء الدين - محمد علي  
عثمان - دارا نور الدين، مسيحي: يوناديم يوسف گنو، تركمان:  
شکول حبيب عمر.

. 59 - وكالات الأنبياء العالمية 16/7/2003

. 60 - سمير فرسون - مصدر سابق.

## الباب الثاني

# صدام سلوكيات لا صدام حضارات



## المقدمة

ليست هي المرة الأولى في التاريخ بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 في نيويورك وواشنطن، التي تستعر فيها حملة ظالمة ضاربة ضد العرب والمسلمين، ت يريد اجتثاث عقيدتهم وثقافاتهم المبنية على سلوكيات رفيعة القيم والمعاني والمبادئ الأخلاقية العالمية، تحت أسماء وذرائع شتى من قبل الغرب. فالحملات الغربية بدأت مع تعاظم الإسلام، وانتشاره على يقان كثيرة في المعمورة، وسوف تستمر تلك الحملة حتى قيام الساعة.

هذا الصراع والصدام إن كان في القرون الوسطى أخذ شكل الصراع الديني، فهو ليس كما يقول صموئيل هنتغتون وغيره بأنه صراع وصدام حضارات، بل هو صراع وصدام الثقافات السلوكية بين الطرفين. لما يحمل الإسلام منهج ديني وديني متكامل، يسعى لبناء مجتمع إنساني متاخ متعاون متكافل متساو، يسوده السلم والعدل والرحمة. وهذا يتناقض كلياً مع الغرب بما يحمل من سلوكيات ثقافية وأيديولوجية، تقوم على نهب الآخر واستغلاله، وفرض أنماطه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على كل الشعوب، ولو بالقوة والقهر.

من يعود في الذاكرة التاريخية إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الماضيين، ويستعرض الاستعدادات العسكرية الاستعمارية الغربية التي كانت قائمة على قدم وساق لاستكمال الاحتلال كمل الوطن العربي والبلاد الإسلامية من قبل القوى الاستعمارية آنذاك، سيشاهد إنها نسخة حديدة متطابقة تماماً مما يجري اليوم. من خلال الحملات السياسية والإعلامية والثقافية والعسكرية الأمريكية الصهيونية، والتي انطلقت منذ بداية القرن الحادي والعشرين بهدف الاحتلال والهيمنة على البلدان العربية والإسلامية بدءاً من العراق. والسيطرة الكاملة على ثروات العالم عامة، وأياب العبرية والإسلامية خاصة.

## الفصل الأول: الإسلام السّدّ الأعظم

أمام الهمينة وقد رأى العالم كله كيف انطلقت منذ أحداث الحادي عشر من أيلول حرب صاربة، تضمنت هجوماً إعلامياً مكثفاً على الإسلام، تقوم على اعتباره العائق الأكبر في وجه مشاريع الهمينة، وفرض الإرادة الأمريكية والصهيونية على الشعوب العربية والإسلامية، وأنه العامل الأهم في التحرير على مقاومة تلك المشاريع الشيطانية، والداعي الرئيسي للشعوب بالتمسك بالحرية ومناهضة كل أشكال الاستبداد والهمينة والظلم والعبودية؟ وقد كتب بعض من المفكرين والسياسيين والكتاب الاستراتيجيين في الغرب والكيان الصهيوني أمثل هنتغتون وفوكويا وميشال وللبيك وباترسون وتنباهاو وكندالبزا راييس وغيرهم عن خطورة الإسلام على الغرب وديمقرطيته وعلى قيمه وسلوكه، ووصفوا الإسلام بالجهل والتخلف والاستبداد وارهاب الآخرين، وأنه دين الإرهاب والقتل وغيرها من الصفات الكاذبة والمليفة. تلك الكتابات كانت قبل أحداث أيلول وبعده، ولكن ضمن نسق الحملة الأمريكية الصهيونية الغربية المتكاملة الأبعاد والأهداف هذه الكتابات التي تخزن كل أشكال الكذب والافتراء والتزيف لجوهر الإسلام وعقيدته، ليست هي الكتابات الأولى المعادية للإسلام، وإن تكون الأخيرة.

بل كتب من قبلهم مفكرون وعلماء الغرب منذ قرون عن خطورة الإسلام على الغرب، قاموا بتشويه مريع لصورة الإسلام الحقيقة. ونذكر هنا ما كتبه المسيو كيمون في كتابه (باتولوجيا الإسلام) قائلاً: (إن إلديانة المحمدية جذام نشا بين الناس، وأخذ يفتئ بهم فتاكاً ذريعاً، بل هي مرض مرتع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور، ويجمح في أقبائح، وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبيث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الهستيريا، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصلية، ككرابهية لحم

الخنزير والنبيذ والموسيقى والجنون الروحاني والليمانيا أو الماليخونيا، وترتيب ما يستبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات...) وشبه كيمون المسلمين بالفهود والضياع. وقال من الواجب إبادة خمسهم، والحكم على الباقى بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر) (1)

وتتكامل اليوم تلك الحملات ذات الأبعاد التاريخية، من خلال الحملة الضاربة التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها من الحلفاء الغربيين والحركة الصهيونية وجماعات الكنيسة الأصولية الصهيونية، التي تؤثر بشكل كبير على مجمل صناعة القرارات السياسية لإدارة الرئيس جورج بوش الابن اليوم.

حرب علنية على الإسلام والمسلمين منذ أحداث أيلول 2001. تحت ذريعة محاربة الإرهاب أو كما قال الرئيس بوش (حملة صليبية على الإرهاب)، تلك الحرب التي تتكشف مضمونها يوماً بعد يوم كما أشرنا أعلاه من سيطرة سياسية وعسكرية واقتصادية، إلى حرب عسكرية وثقافية لفرض الأنماط السلوكية والثقافة الغربية على البلدان الإسلامية، لتكون نسخة مشوهة عن المجتمع الأمريكي بكل سيناته الكثيرة، وإيجابياته القليلة.

وقد أوضح ريتشارد هاس مدير مكتب التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية، هدف الحملة الأمريكية على بلدان العالم الإسلامي، هو فرض الأنماط والقيم الأمريكية حتى ولو بالقوة. فقال في خطاب له في نيسان 2002 إن ما بعد الحرب الباردة تشكلت تحديات ما فوق القومية، ولم يعد مواجهتها بالردع والاحتواء، بل بالإدماج، وقال:

(إن الهدف الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، وهو إدماج بلدان ومنظمات أخرى في الترتيبات، التي ستدعم عالماً، يتتسق مع المصالح والقيم الأمريكية. وبهذا ندعم السلام والرخاء والعدل على أوسع نطاق ممكن. إن إدماج شركاء حدد سيساعدنا على التصدي للتحديات التقليدية المتعلقة بضمان السلام في مناطق مقسمة، وكذلك التصدي للأخطار عبر القومية، مثل الإرهاب الدولي وانتشار أسلحة الدمار الشامل. كما سيساعدنا على أن يجلب إلى العالم المعلوم أولئك الذين كانوا استبعدوا في السابق. إن مصيرنا في هذه الحقيقة يتداخل بنسيجنا مع نسيج مصير الآخرين). (2).

وحملت هذه الحرب شعارات مصلحة وكاذبة ومخادعة، منها ما يتلوون بلون الديمقراطية باعتبارها غائية عن معظم البلدان الإسلامية، حيث قالت مستشاراة الأمن القومي الأمريكي كونداليزا رايس، أن الهدف من جملة الولايات المتحدة على العراق: (إن الولايات المتحدة الأمريكية تهدف إلى بناء

الديمقراطية في العراق بعد عمل عسكري للإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين). وأوضحت رغبة وأشنطن في (وضع العالم الإسلامي على طريق الديمقراطية أو مسيرة الحرية) معتبرة أن القيم الأمريكية من الحرية والديمقراطية يمكن أن تسرى على الإسلام أيضاً).(3).

هذا الإدعاء الكاذب من قبل مستشار الأمان القومي، الذي تدعي فيه، أن الولايات المتحدة تسعى لفرض الديمقراطية والحرية في العالم العربي والإسلامي، أو لحماية الديمقراطية في الغرب كما أدعى بتناهو وغيره. فالتاريخ يدحض هذا الكذب لأن الولايات المتحدة أكثر دول الغرب رعت وحمت النظم الاستبدادية والديكتاتورية في العالم الإسلامي منذ الثلاثينات من القرن الماضي إلى يومنا هذا.

ما دامت هذه النظم تقوم على خدمة مصالحها ومشاريعها النهبوية. بل هي التي تأمرت وشاركت وأسهمت في إسقاط العديد من نظم ديمقراطية وشعبية في العالم الإسلامي والعالم الثالث، فقط كونها كانت تسعى لامتلاك حقوقها، وتحرير أرادتها السياسية في توجيه مقدراتها بشكل مستقل، بعيداً عن الهيمنة الأمريكية والغربية.

ومن يتبع العملة الشرسة، التي تديرها الإدارة الأمريكية والقوى المتصهينة المتحكمة في القرار السياسي الأمريكي ضدعروبة والإسلام، وهي تطلق نعوتاً على دول عربية وإسلامية، أو حتى دول مستقلة أخرى مثل كوريا الشمالية. أي الدول التي رفضت الهيمنة الأمريكية، بأسماء ذات دلالات مقيمة، لحربيص الرأي العام الأمريكي خاصة والغربي عامة، مثل /الدول المارقة/ و/دول محور الشر/ و/دول الداعمة للإرهاب/ وغيرها من الألقاب.

والباحث في التاريخ، يعرف أنها ليست المرة الأولى التي تُصدر فيها الولايات المتحدة الأمريكية نعوتاً سيئة على دول تتعارض سياساتها وسلوكياتها معها، والتي لا تنطبق في الحقيقة إلا عليها. فهي الدولة المارقة على حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وهي دولة الشر التي تزرع الدمار والحرب في العالم. وهي دولة الإرهاب في هيمنتها وسرقتها لثروات الشعوب، ويدعمها المطلق لكل منظمات ودول الإرهاب في العالم. وما دعمها وحمايتها لشيارون وقاده الكيان الصهيوني من القتلة والإرهابيين إلا دليلاً على رعايتها للإرهاب العالم.

والولايات المتحدة اليوم هي التي تهدد العديد من الدول المستقلة ذات السيادة، بشن حروب عليها وبأشكال مختلفة تحت تلك الشعارات الزائفة. فلو بحثنا في صفحة العلاقات التاريخية العربية - الأمريكية، لوجدنا أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها بسنوات قليلة، اطلقت مثل هذه النعوت على دول عربية وهي تونس والجزائر والمغرب ولibia، حين أسمت تلك الدول بـ (الدول الهمجية). علماً أن المغرب كان

أول دولة في العالم تعترف باستقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا، وقد خاضت مع تلك الدول حروباً بدأت عام 1801 وأستمرت حتى عام 1805.

وكشفت صفحات التاريخ، أن أسباب تلك الحروب دينية وقدرة فهي تدور حول تجارة الأفيون، التي كانت تقوم بها الولايات المتحدة. فقد كان التجار الأمريكيون يشترون الأفيون من أزمير وغيرها من الموانئ التركية، ويقومون بنقله عبر البحر الأبيض المتوسط إلى الصين، مروراً برأس الرجال الصالح، فالمحيط الهندي والهادئ.

وكان التجار الأمريكيون يتنافسون مع زملائهم التجار الإنكليز على نقل ما بين 4 إلى 5 طن من الأفيون سنوياً إلى الصين، وبسممون بها الشعب الصيني لتخديره وتركيز الصعف في جسمه، لمنعه من مقاومة المستعمر البريطاني، الذي يستهدف احتلال أجزاء من أرضه. واشتراك إنكلترا والولايات المتحدة على نشر الأفيون بين صفوف الشعب الصيني. تلك الحرب القدرة التي أطلق عليها المؤرخون بحرب الأفيون. كان الربح الرأسمالي وراء تجارة الأفيون أيضاً، فقط أرباح الفوائد من الرأسمال الأمريكي الموظف في تلك التجارة أكثر من 500%. مما جعل هؤلاء التجار يجنون أرباحاً قدرت بمئات الدولارات.(4)

وأثناء ذلك طالبت دول المغرب العربي الولايات المتحدة بتغيير المعاهدات القديمة الموقعة بين الطرفين، وكان حاكم المغرب قد عقد معاهدة تجارية مع الحكومة الأمريكية في عام 1786. تعهد بموجها بحماية التجار الأمريكيين، وبعفهم من رسوم الترانزيت مقابل مبلغ قدره 10/ألف دولار سنوياً.(5). وتبعه حكام الجزائر وليبيا وتونس في عقد معاهدات مماثلة مع الولايات المتحدة، مع حاكم طرابلس الغرب في 1796 وحاكم تونس في عام 1797.

ومع ازدياد العمليات التجارية الأمريكية رفع حكام المغرب وتونس والجزائر وليبيا الرسوم مقابل مرور السفن في موانئ تلك البلدان، وتزويدها بالطعام والماء، أثناء تواجدها في موانئ تلك البلدان مع ضمان سلامتها.

وحين ازدادت أعداد السفن التجارية المحمولة بالأفيون بسبب كثرتها، والخدمات لبحارتها. طالب أولئك الحكام بتعديل تلك المعاهدات القديمة، مع وقف تعسف البحارة الأمريكيين مع العاملين في الموانئ، وإلى زيادة المدفوعات والإعانات. انزعج تجار الأفيون في الولايات المتحدة، والذين كان يطلق عليهم "تجار بوسطن" من تلك الطلبات، وخاصة زيادة الرسوم. وشعروا بأنهم سوف يخسرون قسماً من أرباحهم، وهذا صعب عليهم دفع قسم ضئيلٍ من أرباحهم، طالبوا الحكومة الأمريكية أن تهددهم، وتشن حرباً عليهم، ليذعنوا لإرادتها.

مع تعاظم ثروات هؤلاء التجار في بوسطن، الذين كان

يطلق عليهم آنذاك بـ (زمرة ايسكس)، تعاظم في الوقت نفسه تأثيرهم على القرار السياسي الأميركي. ومن خلال الرشاوى، وشراء الضمائر، وتوظيف الأموال في انتخابات مجلس الشيوخ (الكونغرس). أصبحوا يشاركون في تعيين العديد من الوزراء، وفي صناعة القرار السياسي رؤساء الجمهورية.(60).

وبتوجيهه وتأثيره وتحريضه من تجار بوسطن أعلنت حكومة الولايات المتحدة الحرب على بلدان المغرب العربي. وأطلقت عليهم اسم (الدول الهمجية)، كما تطلق اليوم على بعض الدول ألقاب المارقة أو محور البشر، أو الدول الداعمة للإرهاب، وغيرها من المسميات الأميركيّة. مع العلم أن دول المغرب آنذاك، لم تطالب إلا بالقليل من حقوقها.

وشنت الولايات المتحدة على تلك البلدان حرباً بحرية ضروسها، سميت تاريخياً بحرب الخمس سنوات. والتي أمتدّت من عام 1801 إلى عام 1805. قصفت السفن الحربية الأميركيّة خاللها الموانئ العربية الإسلامية، وتم تدمير العديد منها. وكانت تلك الحروب أولى الحروب تقوم بها الولايات المتحدة بعد استقلالها.

وانتهت تلك الحرب غير المتكافئة على إجبار حكام المغرب والجزائر وطرابلس الغرب بالتوقيع على معاهدات تجارية، سطّرت وفق رغبة الولايات الأميركيّة ومصالحها. وأصبحت تلك الحرب القدرة نصراً للولايات المتحدة، لا تزال تتغنى به إلى يومنا هذا، في نشيد بحريتها الوطني، محمداً انتصارات كانت لصالح تجار الأفيون. فاحتوى النشيد العبارات التالية: (من تلال مونت يسوما إلى سواحل طرابلس. في السماء. وفي الأرض. وفي البحر. خضنا معارك الوطن).(7)



## \* الفصل الثاني

# الحملة الجديدة على الإسلام

الحملة الغربية الصهيونية بزعامة الولايات المتحدة اليوم على الإسلام بأبعادها العسكرية والسياسية والثقافية، هي بداع انطلاقه لحرب إبادة، وتدمر، وترويع، وتخويف، لا يسلم منها أي مسلم في أية بقعة على الأرض، سواء أكان سكن في بلاد المسلمين أو في بلاد الغرب نفسه. ولن ينجو منها أي قطر حتى وإن كان تابعاً، فهدف الحملة الاستراتيجي هو الخصوص الكامل والتسلیم للإرادة الأمريكية، لتحول البلدان العربية والإسلامية إلى نماذج ممسوحة، قد تم تصنيعها في المختبرات الأمريكية على يدي مهندسين صهاينة.

وإن كانت الحملة عسكرية قد احتلت أفغانستان، وفي طريقها لاحتلال العراق. وما يجري من إبادة مريعة بوحشية ببربرية، لم يبر العالم مثيلاً لها على الأرض الفلسطينية المحتلة. وإرسال الإنذارات ورسائل التهديد والوعيد للدول المسممة من قبل الولايات المتحدة بالدول الداعمة للإرهاب كسورية والسودان وليبيا وإيران، فإنها مغلفة بتهديد من لون آخر للسعودية واليمن ومصر وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية. وما تم رصده من بضع دولارات لما يسمى بالتأهيل للديمقراطية، وإعادة البناء التعليمي وفق المزاج الأمريكي. وما دعوة وفود نسائية وشابة إلى الولايات المتحدة عام 2002 بحجة التأهيل الديمقراطي إلا بداية مخطط رهيب، يهدف إلى هيمنة كاملة للمشروع الصهيوني الأمريكي الغربي على العالمين العربي والإسلامي.

هذه الحملة التي انطلقت شراراتها الفكرية بطرح ما يسمى بـ (صدام الحضارات) لدى العديد من مفكري الغرب، وأشتهرت باطروحة للكاتب الأمريكي صوما تيل هنتغتون، الذي يعتبر من أهم مفكري الغرب والولايات المتحدة، والاستاذ في جامعة هارفرد، والباحث في العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية. والذي أصدر كتاباً تحت عنوان (صدام الحضارات وإعادة النظام العالمي). وقد ترجم إلى العديد من اللغات الحية

في العالم.

وهذا الكتاب، يرى أن الصراع، لن يكون إيديولوجياً كما كان في السابق، أيام الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، ولن يكون الصراع طبقاً بين الفقراء والأغنياء كما كان في القرن الماضي، ولا اقتصادياً أو اجتماعياً بل صراعاً ثقافياً.

وفي رأيه أن هذا الصراع يتطلب من كل أمة من الأمم أن تبحث عن هويتها الثقافية. وقسم العالم إلى ثمان مجموعات ثقافية حضارية هي: الحضارة الغربية وتضم أمريكا وأوروبا وأستراليا، والحضارة الصينية والمستمدة من تعاليم كونفوشيوس، والحضارة الإسلامية، والحضارة الهندية، والحضارة اليابانية، والحضارة الإسلامية الأرثوذكسية، والحضارة الأمريكية اللاتينية، والحضارة الأفريقية.(8).

اعتبر هنفتون بموجب هذا الانتفاء الجديد للهوية الثقافية، أن الإسلام سيعتبر العدو الرئيسي للحضارة الغربية، كونه يرفض ما أسماه (بالغرابة). لأن المسلمين يرون في الإسلام الحل لكافة قضاياهم، ويرفضون الحضارة الغربية بديلاً عنه.

فكتب يقول حول ما أسماه بالانبعاث الإسلامي (... الانبعاث الإسلامي أو الصحوة الإسلامية في مداه وعمقه هو آخر مظهر في تكيف الحضارة الإسلامية مع الغرب، أنه مجدهد لابحاج "حل" ليس في الإيديولوجيات الغربية، ولكن في الإسلام، إنه يجسد قبول الحداثة ورفض الغربية، واستعادة الالتزام بالإسلام كمرشد في الحياة في العالم المعاصر).(9)

أما ما يقلقه ويقلق مفكري الغرب ويساستهم هو الانبعاث الإسلامي أو الصحوة الإسلامية، ويعتبر الأصولية هي وجهها السياسي فيقول: (إن الانبعاث الإسلامي هو مجدهد يقوم به المسلمون لتحقيق هذا الهدف. إنه حركة ثقافية فكرية واجتماعية وسياسية عريضة تعم أرجاء الإسلام.

الأصولية التي تفهم عادة بأنها الإسلام السياسي، هي فقط عنصر واحد من إحياء أكثر شمولاً للأفكار والممارسات والعلوم الإسلامية، ولتكريم الإسلام من قبل المسلمين. الانبعاث هو التيار الرئيسي ليس متطرفاً، هو منتشر وليس معزولاً)(10)

ولكن لو عدنا إلى الشكل العملي لهذا الانبعاث، لوجدناه يعتمد على قائمة أعدها مفكر غربي يدعى (جون. ل. إرسوزنيو) الذي وضع قائمة للصحوة الإسلامية في الحياة الشخصية للمسلم: (الاهتمام المتزايد بالشعائر الدينية (التردد على المسجد. الصلاة. الصيام) تعدد البرامج والمطبوعات الدينية، التركيز الأكثر على الزي الإسلامي والقيم الإسلامية، وإعادة الصوفية).(11)

وفي رأي هنفتون أسباب عودة المسلمين إلى هويتهم الثقافية أي الإسلام، يعود إلى انتشار الفساد في المؤسسات،

إضافة إلى الركود الاقتصادي، وانتشار طاهرة الفقر بشكل واسع بين الطبقات الشعيبة. فوجد المسلمون في عودتهم إلى دينهم الذي يطرح قيم وسلوكيات عالية، هو العلاج لكل ظواهر الفساد والفقر.

اعتبر هنفتون الحضارة الإسلامية من الحضارات المتحدية للغرب مع الحضارة الصينية، كونهما رافضتاً قبول هيمنة الحضارة الغربية عليهما كبقية الحضارات الأخرى الضعيفة والمتأرجحة، وتعززان بحضارتهم.

وتوقع صراعاً قادماً بين الغرب والإسلام بسبب عدم القدرة على التوافق فيقول: (اربعة عشر قرناً.. أثبتت أن العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالباً عاصفة، كل واحد نقىض للأخر). (12)

أما عوامل الصدام القادم بين الغرب والإسلام، بعد أن يقوم بتشويه حقائق التاريخ والعوامل الموضوعية في ماهية الصراع، فيدعى أن عوامل مختلطة مشابهة زادت من الصراع بين الإسلام والغرب في القرن العشرين:

1 - النمو السكاني للمسلمين خلق بطالة لعدد كبير، وهؤلاء الساخطون من الشبان الذين جندوا للأهداف الإسلامية، ومارسوا ضغوطاً على المجتمعات المجاورة، وهاجروا إلى الغرب.

2 - الإحياء الإسلامي أعطى للمسلمين إعادة الثقة في أهمية حضارتهم وقيومهم، مقارنة بتلك التي في الغرب.

3 - جهود الغرب في جعل قيمهم ومؤسساتهم عالمية، والمحافظة على تفوقهم العسكري، والتدخل في صراعات العالم الإسلامي، خلقت أذراء شديداً بين المسلمين.

4 - انهيار الشيوعية حولت العدو المشترك للغرب والإسلام، وترك كل واحد، يرى الآخر مصدر تهديده له.

5 - الاتصال المتزايد بين المسلمين والغربيين، ولد في كل واحد منها شعوراً حديثاً بهويتهم، وكيف أن هذه الهوية مختلفة عن الآخر. التفاعل والتمازن فاقم الاختلافات حول حقوق أعضاء الحضارة الواحدة في بلاد يسيطر عليها أعضاء من الحضارة الأخرى. وفي كل من المجتمعين المسلم والمسيحي انحدر التسامح مع الآخر بشكل حاد في الثمانينات والتسعينات). (13)

ويتحدث هنفتون عن أن أسباب تجدد الصراع بين الإسلام والغرب اليوم (يكمِن في التساؤلات الأساسية لقوى والثقافة. من الذي يحكم؟ القضية الأساسية حددها لينين، هي في جذور الصراع بين الإسلام والغرب. ولكن هناك صراع إضافي يعتبره لينين غير ذي معنى، بين روبيتين مختلفتين لما هو الصبح، وما هو الخطأ. ويحيط إن الإسلام يبقى إسلاماً (سيقى)، والغرب سيقى غرباً (مشكوك فيه) هذا الصراع الأساسي بين حضارتين

عظيمتين سيستمر، لتحديد علاقتهما في المستقبل مثلما في السابق خلال الاربعة عشر قرنا). (14)

ومن مسببات الصراع القادر بين الحضارتين يقول هنفتون: (المشكلة في الغرب ليس هي الأصولية الإسلامية، المشكلة الإسلام، حضارة مختلفة وشعوبها مقتنة بتفوقها الثقافي وواعية بذاته موقعها، المشكلة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات الأمريكية أو وزارة الدفاع أو الخارجية الأمريكية. المشكلة للغرب حضارة مختلفة، شعوبها مقتنة بعالمية ثقافتها، واعتقاد هذه الشعوب بتفوقها. القوة تجبرهم بالالتزام لتوسيع تلك الثقافة من خلال العالم. هذه هي المكونات الأساسية والتي تشغل الصراع بين الإسلام والغرب). (15)

وينسى هنفتون أن الغرب بحضارته، كان وراء تدمير معظم الشعوب الإسلامية اقتصادياً واجتماعياً، حين استعمروا بلادهم ونهبوا خيراتهم، وبدد ثرواتهم، ولا زالت شركاته تسرق بترولهم، وأساطيله الحربية تحتل بحارهم، وقواتها تحمي أنظمة مرفوضة من شعوبها. وارتکب جريمة في حق الإسلام والعروبة، حين زرع كياناً استيطانياً، سلّحه باقوى الأسلحة، ودعّمه ليمارس التدمير والقتل والتشريد، واستنزاف مداخيل الدول المجاورة له، والتي كان لها أن تعود بتنمية شعوبهم ورفاهيتها، لو لا وجود هذا الصراع مع الكيان الصهيوني.

وخلال الوجود الاستعماري في القرنين التاسع عشر والعشرين، كان التركيز الثقافي والسياسي الاستعماري ي العمل على فصل الدول العربية والإسلامية عن موروثها من القيم والسلوكيات والثقافات، التي انتجتها من خلال زرع القيم والسلوكيات الغربية. كما هي اليوم فرض النمط السلوكي الغربي على البلاد العربية والإسلامية.

ونورد هنا لقول وزير فرنسي في عام 1900، يتفاخر بفضل تونس عن باقي شعوبها من البلدان الإسلامية والعربية من خلال فرض النمط الغربي عليها فيقول: (تمكننا بواسطة ما أدخلناه من التعديلات الطفيفة شيئاً فشيئاً، وأجريناه من المراقبة على شؤون الأمور الإدارية والسياسية من التداخل في شؤون البلاد والقبض على إرثها بدون شعور أهلها. تم هذا الانقلاب بسرعة وليس فلمن يتالم منه الأهلون، ولم تتحدى له احساساتهم..) ويقول: (وجملة القول أن انقلاباً عظيماً حدث بدون أن يحرّر وراءه الماء أو توجعاً أو شكوى، بحيث وطدت الآن دعائم السلطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس)، وتسرّبت الأفكار الأوروبية بين السكان بدون أن يتالم منها الإيمان المحمدي، وأقرتني السلطة الفرنسية بالسلطة الوطنية اقتراناً لم تغشه سحابة كدر.

إذن يوجد الآن بلد من بلاد الإسلام قد ارتخي، بل انفصّم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى الشديد الاتصال بعضها البعض. إذن توجد أرض تنفلت شيئاً فشيئاً من مكة ومن الماضى

الآسيوي. أرض نشأت فيها نسأة جديدة، أنيقت قصائها وإدارتها وعاداتها وأخلاقها، أرض يصح أن تخذ مثلاً يقاس عليه، ألا وهي البلاد التونسية).(16)

وينسى أن الغرب وحضارته، كان وراء تدمير المشروع العربي القومي النهضوي منذ مائة عام، وحارب مشاريع وحدوية وساعد في تدمير نهضته الثقافية والاقتصادية والسياسية. ولا زال الغرب يحارب أي مشروع وحدوي، وبفكك أي تجمع إقليمي عربي، ويسعى لإفشاله.

ويحذر هنتفتون من تطور القوى العسكرية الإسلامية والصينية وهمما الحضارات المتقدمة للغرب، بل يحذر من تعاون أكيد بين الإسلام والصين لمواجهة الحضارة الغربية، علماً أنها أذوية بسوقها هنتفتون للجمهور الغربي لخلق حالة من الهلع والخوف المستقبلي من تلك الحضاراتين. فالإسلام لا يشكل دولة كالصين، بل دول متعددة الأشكال وإنطمة السياسية، وينتهي معظمها النمط الغربي سياسياً وتشرعيأً. أما الدول التي تتبع الشريعة الإسلامية فهي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة. وهذا ما ينسف كل مقوله هنتفتون في التحالف الإسلامي الصيني المستقبلي. كما أن الصين تنتهي النظام الشيوعي، ولا يقوم نظامها السياسي على تعاليم كونفوشيوس. وأخطر ما تحمل أفكار هنتفتون هو تحذيره للغرب من النمو الديمغرافي للمسلمين، وفي رأيه هذا سيؤدي بالشباب المسلم نتيجة البطالة إلى تكوين مجموعات متمرة وعنفة داخل مجتمعاتها. كما يدفع هؤلاء إلى الهجرة إلى بلاد الغرب الأوروبي والأمريكي، وهنا تكمن الخطورة على الغرب من هذه الهجرة. فالإسلام كما يصوره هنتفتون يحرض على العنف وسفك الدماء، وأن المسلمين متورطون في أعمال العنف أكثر من كل شعوب الحضارات الأخرى. والسبب كما يدعى هي صعوبة اندماجهم مع شعوب الحضارات الأخرى. لهذا فالإسلام مصدر عدم الاستقرار في العالم.

ولا غرابة أن يتواافق طرح هنتفتون مع ما كتب وبشر به نتنياهو في كتبه الثلاث:

1 - الإرهاب الدولي.

2 - الإرهاب كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟

3 - محاربة الإرهاب كيف تستطيع الديمقراطيات هزيمة الإرهابيين المحليين والدوليين؟

والتي تضمنت خوفه على الغرب وحضارته من الإسلام، الذي يشكل في رأيه إرهاباً خطيراً في العالم، بما يحمل من وسائل دمار وعدوان وحقد على حضارة الغرب وديمقراطيته. ويدعو قادة الغرب إلى مواجهة الهجرة الإسلامية، وإلى أسلمة بعض الغربيين. يعتبر الهجرة الإسلامية مقتل الغرب، لما يحمل المهاجرون المسلمين من تعاليم مدمرة لديمقراطية الغرب وحضارته.

وليس هنالك وتنبياهو فقط في هذه الزفة، فظاهرة  
اليمن المتطرف المعادي للمهاجرين المسلمين في الغرب،  
تطالب هي الأخرى بطرد المهاجرين، وإعادتهم إلى بلادهم. مع  
العلم أن إحصائيات الأمم المتحدة تدعو إلى الهجرة إلى  
الشمال الأوروبي بسبب التناقض السكاني في أوروبا. وما  
ظاهرة جان ماري لوبان في فرنسا ودعواه المعادية  
للمهاجرين، إلا شاهداً على العداء المشترك ضد الإسلام  
والهجارة بين الصهيونية واليمين المتطرف وأنصار الصهيونية  
في الكنيسة البروتستانية الأمريكية.



## \* الفصل الثالث

# صدام سلوكيات لا صدام حضارات

الحضارة هي إنتاج إنساني لأمة معينة، ومظهر لرقيّها الفكري والفنى، ولم يتحدث التاريخ عن أمة حبّت حضارتها عن الأمم الأخرى، إلا لفترة معينة من الزمن، أو لطرف يستحيل بها الوصول إلى الآخرين. كما هي حضارات الهندو-الهنود الحمر بسب عدمية وسائل المواصلات آنذاك. ولكن الآن بدأ العالم يتواصل معها بتعرفه على تلك الحضارة من خلال المكتشفات الأثرية لا وابدها. أي أن الحضارات تتمارج وتتواصل ولا تتصادم، بل أن معظم الحضارات القديمة والحديثة أثرت وتأثرت بالمجتمع الإنساني كله.

فالحضارة الإغريقية تناقلت إنتاجها الفكري والفنى حضارات مختلفة، وأسهمت الحضارة الإسلامية بإعادة إنتاجها من جديد، وقدمنتها للإنسانية أجمع، لا تزال تؤثر إلى يومنا في فكر الشعوب. وكذلك الحضارات القديمة في بلاد الرافدين ووادي النيل وفارس والروماني، والحضارة العربية الإسلامية والهنودية والصينية وصولاً إلى الحضارة الغربية الحالية، فهي بعد إنتاجها تعود ملكيتها للإنسانية وعلى مر العصور.

والصدام بين الحضارات كما يطرحه بعض مفكري الغرب وساستهم وأصحابه اليوم، هو أذوذبة على التاريخ والعقل. فالشاهد التاريخي يكذب ذلك، والعقل بما يحس ويلمس يستنكره أيضاً. إذاً أي صدام يريدون؟ إنه صدام سلوكيات ثقافية التي أنتجتها الحضارات، وهذا ما يحدث حقاً اليوم. حين تجأل أمة أو دولة فرض سلوكياتها، وأنماط حياتها على شعوب وأمم أخرى. وليس صدام حضارات.

أنتجت الحضارة الإسلامية سلوكاً ثقافياً يتبادر بما أنتجه الحضارة الغربية من سلوك ثقافي، ولكن قد تختلف في البعض، إلا أنها تختلف في الكثير. فالإسلام طرح فيما سلوكيات عالية القيمة في الشكل والمضمون، فأقر حرية الإنسان في الاختيار بدءاً من الدين وانتهاءً بأساطل أشكال الحياة. وفي حرية المعتقد ينطلق الإسلام من قوله تعالى ﴿لَا إِكراه في الدين﴾ قد تبين

الرشد من الغي... وصولاً إلى حرية اختيار السكن والموطن والزوجة والعمل وغيرها من الاختيارات الأخرى. إلا أنه وضع ضوابط لهذه الحرية بحيث لا تهدد المجتمع، ولا ركائز الدين، وأوجد مجموعة من المثوابات والعقوبات في الدنيا والآخرة، لمن يحسن السلوك ولمن يسيء إليه.

في حين أنتجت الحضارة الغربية سلوكاً مموداً كالديمقراطية وحقوق الإنسان إلا أنها في جانب آخر أطلقت العنان للرغبات الفردية دون أي ضابط، حتى لو أدت إلى تدمير المجتمع. وباحت للحرية الفردية أن تقوم باستغلال الآخرين بما فيهم الشعوب. هذا نتاج السلوك الثقافي للحضارة الغربية، فالاستغلال سمة الحضارة الرأسمالية الغربية.

وذلك الحضارة الإسلامية جمعت في إطارها الثقافي بين المادة والروح، بينما ركز السلوك الغربي على المادة في معظم العلاقات الإنسانية. والإسلام أعطى للأسيرة منزلة عالية في العلاقات الزوجية، وعلاقة الولد بأبيه وأمه، أو في علاقة الأب والأم بالأبناء حيث حصل بينهما موعدة ورحمة. فرفض آية علاقه جنسية خارج إطار الأسرة، وحارب الإباحية، وشدد العقاب عليها في الدنيا والآخرة. ورفض ولادة أبناء خارج السير الزوجي الشرعي من باب حماية المجتمع والفرد معاً. ووجد في الشذوذ الجنسي خروجاً عن مسار الطبيعية البشرية، واعتبره جريمة كبرى، ومن الكبائر في الدنيا والآخرة.

أما الحضارة الغربية أياحت سلوكاً متبيناً مع الإسلام، فهي أطلقت الإباحة الجنسية إلى حد الغلو. فعلى فراغ المرأة تحد أولاداً غير شرعاً من أكثر من رجل واحد. وقد يمضي الرجل والمرأة سنتين طويلة في علاقات جنسية، ينتج عنها ولادة طفل، دون أن يثبتا عقد زواج بينهما، ويبقى الأطفال غير شرعاً، ينسبون في أكثر الأحيان إلى عائلة الأم. واعطيت الفتاة حرية في بناء علاقات جنسية منذ بلوغها الثامنة عشر، فلا يستغرب الآباء، أن تنام في بيته ابنته وصديقتها (بوبي فرنز)، ويمارسان أمامه علاقات غرامية.

وقد وصل إلى رئاسة الولايات المتحدة عدد من الرؤساء، تم تبنيهم من آخرين غير آبائهم الحقيقيين، مثل رونالد ريغان وبيل كلينتون. وهذه العلاقة طبيعية في السلوك الثقافي العربي ومتاحة بها، في حين هي من أشد المحرمات في الإسلام.

والسلوك الغربي أباح للشاذين إقامة علاقات علنية، وسمح لهم بالزواج الشاذ في الكنيسة، وتم تقليدهم مناصب رفيعة في الدولة فمنهم وزراء وسفراء وأعضاء في البرلمانات الغربية، وسنت تشريعات بحماية الشاذين والشاذات. وقد أقر البرلمان البلجيكي يوم الجمعة في 31/1/2003 بالغالبية (91 نائباً و22 نائباً وامتناع 9 أعضاء) مشروع قانون يسمح بالزواج بين شخصين من الجنس نفسه، وأعطي اللGBTين والتحولات الحقائق نفسها التي يتمتع بها الأزواج الآخرون،

خصوصاً في ما يتعلق بالملكية والارث. وعلق وزير العدل البلجيكي (مارك فيريلغهون) على ما أقره برلمانه من السماح بممارسة الشذوذ علينا قائلاً: (العقليات تطورت وبالتالي ما من سبب لعدم السماح لزوجين من الجنس نفسه بالزواج)(17) ويعتبر البرلمان البلجيكي الثاني بعد البرلمان الهولندي والجبل على الجرار.

ولفرض هذا السلوك الشائن على المجتمع العربي والإسلامي والذي تحاربه كل المعتقدات الروحية، ويعتبره الإسلام من أكبر الجرائم التي تناهى عنها السلوك البشري وتدمير قيم المجتمع وانتشار الفساد والرذيلة والانحطاط الاجتماعي. فقد بدأت الضغوط تمارس على بعض البلدان الإسلامية التي تكافح هذه الرذيلة، وتعمل على ردع أتباعها.

وأثناء محاكمة هؤلاء الشواذ في مصر، فوحنت المحكمة بحضور مندوبي عن سفارات كل من فرنسا والولايات المتحدة وكندا والدانمارك وسويسرا في القاهرة للمحاكمة، والأغرب من ذلك، قيام سفير الدانمارك بزيارة لهم في السجن، وعرض عليهم اللجوء ليمارسو حريتهم في اللواطه في بلاده. كما خرجت مظاهرات في كل من الولايات المتحدة وأوروبا، تندد بمصر لاعتقالها تلك الخلية الفاسدة.(18)

ولنشر هذا السلوك الفاسد في البلدان العربية والإسلامية، تم الإعلام عن تنظيم للشذوذ الجنسي في المغرب بدعم غربي، بل تمت الدعوة لعقد مؤتمر للشذوذ في مراكش في شباط 2003، تكريساً لإفساد المجتمع المغربي العربي المسلم. وتم عرض فيلم مغربي يعنوان "لحظة ظلام" تصور فيه مشاهد للشذوذ الجنسي تشجيعاً لممارسته علانية في المغرب. كما تم إحداث تنظيمات من نفس النوع باسماء عربية وإسلامية في الولايات المتحدة تحت مثل (الفاتحة) (السواسية) (الكلمة)(19). إنها حرب بين سلوك الفضيلة الذي يدعوه له الإسلام، وسلوك الانحطاط والرذيلة الذي يدعوه له الغرب.

وفرض الإسلام سلوكاً على الجار تجاه جاره، وطلب منه أن يؤدي له الرعاية والاحترام مع التواصيل والزيارة. وبالغ الإسلام في العناية بالجار، وضرورة تفقد أحواله، إلى حدود ربط إيمان الفرد في علاقته الحسنة مع جاره. كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم [والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم]. ولم يحدد رسول الله (ﷺ) دين الجار ومذهبها. بل يكفي أن يكون جاراً سواء أكان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، فالسلوك الإسلامي المطلوب تقديم الرعاية والمودة والإحسان. أما في الغرب قال أحد ساساته: (لقد استطعنا أن نوصل الإنسان إلى القمر ولم نتمكن من إيجاد علاقة بين الجار وجاره). إن السلوك الحضاري الإسلامي حافظ على البناء الاجتماعي بغية التماسك، وخلق مجتمع تكافلي تضامني. بنية أساسه على الزكاة، والإحسان، والصدقة، وطاعة الوالدين وأولوا الأمر ما

داموا يقيمون شريعة الله، وإغاثة الملهوف، ورعاية التيم  
وتقديم الدعم المادي والمعنوي للفقير والمسكين، والقول  
الحسن للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة  
المخدرات والخمر والقمار، والإسراف والبخل، ورفض التعامل  
بالرّبا والتّشديد على محاربته، كُل ذلك من أجل بناء سلوك  
ثقافي أنتجته الحضارة الإسلامية.

وفي العلاقات الدولية أظهرت الحضارة رفضها لسلوك  
العدوان، واغتصاب أراضٍ أو حرية الغير، وبناءً أفضل العلاقات  
الإنسانية والاقتصادية مع دول العالم، ورفضت أي اعتداء على  
أراضيها ومواطنيها وحدودها، وجعلت من السلوك الدفاع عن  
الوطن والأمة، بل من السلوك مساندة الشعوب المناهضة  
للإستعمار والاستبداد.

وأنتجت الحضارة الإسلامية سلوكاً خاصاً في الحروب،  
بحيث لا تعتدي الدولة الإسلامية كما أسفلنا، بل ترد العدوان، ولا  
تستخدم الإيادة الكلية للخصم، فمن وصية أبي بكر لجيشه بعدم  
التروع والإسراف في القتل، والإبعاد عن الشيوخ والنساء  
والاطفال ورفض هدم المعابد والبيوت للخصم، أو قطع أشجاره،  
وتدمير بيته. ومن السلوك الإحسان للاسرى وضرورة حسن  
معاملتهم، والحفظ عليهم.

في حين أنتجت الأنظمة الغربية سلوك العدوان والاغتصاب،  
وأوجدت ظاهرة الاستعمار والهيمنة، واستخدمت الإيادة  
الجماعية، ولا يزال كتاب الغرب أنفسهم، يتحدثون عن سلوكهم  
الدموي الذي مارسه جنودهم وغزواتهم. ومن شواهد التاريخ على  
السلوك البربرى، المذبحة التي قام بها الصليبيون حين دخلوا  
مدينة القدس العربية في عام 1099 م.

وهذه وثيقة كتبها أحد هم عن تلك المذبحة: (بعد أن سقطت  
المدينة وقعت المذبحة، إذ ذبح كل المسلمين - رجالاً ونساءً  
وأطفالاً - فيما عدا الحاكم وحرسه الذين تمكنا من افتداء  
أنفسهم بالمال، وتم اصطحابهم إلى خارج المدينة. وفي ميدان  
سليمان وحوله "خاضت الجياد في الدم حتى الركب بل وحتى  
اللحم. إن حكم الله عادلاً ورأينا. إن هذا المكان نفسه، الذي  
ارتفاعت خلاله هرطقات هؤلاء المدافعين في حق الله، هو الذي  
يتلقى الله دماءهم فيه الآن". أما بالنسبة ليهود القدس فحين  
اجتمعوا في معبدهم الرئيسي أضرمت فيه النار وحرقوا  
جميعاً أحياء).

وقد سار الصليبيون في مواكب النصر إلى كنيسة القبر  
المقدس، وهم يبكون فرحاً، ويغنون أغاني الشكر لله: "أيها  
اليوم الجديد، أيها اليوم الجديد، أيتها البهجة، أيتها البهجة، أيها  
الفرح الجديد الدائم.. ذلك اليوم، خالدة ذاكرة طوال القرون  
الآتية، حَوْل كل عذابنا ومصاعبنا إلى فرح وبهجة، ذلك اليوم:  
تشبيت أكباد للمسيحية، ومحق للوثنية، وتتجدد لإيماناً). (20)  
ويذكر الكاتب الأمريكي كافين رايلى، إن الصليبيين الذين

حكموا القدس من 1099 إلى 1185، أدركوا أن المسلمين أشد منهم تسامحاً بكثير. ويروي أسراهام عن السلوك الإسلامي المغایر لسلوك الصليبيين، فيحكي أحد الأسرى، واسمه أوليفروس المدرسي (عن كرم السلطان الملك الكامل الذي هزم جيشاً من جيوش الصليبيين الغازية المتأخرة، ثم أعطى الناجين منهم الطعام: "من يمكن أن يشك في أن مثل هذا العمل الطيب والصدقة والأريحية هو من عند الله؟ إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبينهم وأخواتهم، وقضوا نحبهم يتذمرون، والذين استولينا على أراضيهم، والذين سقناهم عرايا من بيوتهم، أعطونا من طعامهم، وأبقو على حياتنا عندما كنا تتضور جوعاً، وغمرونا بعطفتهم حتى ونحن تحت رحمتهم"). (21)

ويذكر الكاتب الأمريكي كيف عامل صلاح الدين الأيوبي الأسرى من الصليبيين حين استعاد القدس في عام 1187م من الاحتلال الصليبي فيقول: (فإن صلاح الدين عامل ذراري الصليبيين الأوائل في القدس بسخاء عظيم، فسمح للقادرين منهم بشراء حرياتهم، وأعتقد فقراءهم بدون مقابل. بل إن صلاح الدين أمر بعد ذلك بتوزيع تركته بين فقراء المسلمين واليهود والمسيحيين على السواء).(22)

ورغم هذا السلوك الإنساني العالي من القيم الرفيعة المبني على تعاليم الإسلام الذي قام به صلاح الدين، فإنه لم يغير من سلوك الوحشية والبربرية، الذي اتسم به الغرب. فقد قام ريتشارد الأول (قلب الأسد) ملك إنجلترا أثناء حملته لاستعادة القدس بجرائم تقشعر لها الأبدان، فقد أمر بذبح وقتل ما بين ألفين وثلاثة آلاف من أسرى المسلمين، والغريب أنه قام بغير إحساسهم بحثاً عن الذهب، الذي طن أن بعضهم ابتلعه، ثم أمر بإحراء جثثهم، ثم البحث بين الرماد عن الذهب.(33)

وقد اعترف عدد من كتاب الغرب بتأثير الغرب بالسلوك الإنساني الروحاني ذو القيم الرفيعة، من خلال الاحتياك الذي حدث بين الطرفين العربي الإسلامي والغربي في الحروب الصليبية. فكتب ستاندال في كتابه (في الحرب) يقول: (لقد كنا نحن الغربيين - برأيرة في نظر الشرق، حينما أزعجناه في حملاتنا الصليبية، ولذا نحن مدینون إلى الصليبيين وعرب إسبانيا بكل ما هو نبيل في عاداتنا وتقاليتنا). (24)

ومن السلوك البربرى والوحشى الممتد من تلك الحقبة هو ما تقوم به الولايات المتحدة، بـأيادى شعوب ضعيفة فلم تتورع فى استخدام أسلحة الدمار الشامل بغية تحقيق أهدافها، دون أن يردعها أي وازع ديني أو أخلاقي. وهناك الكثير من الشواهد في فتناتم وفلسطين والجزائر والليابان وكوريا وأفغانستان وغيرها. بل من السلوك الامريكي أن يوسف شارون مرتكب جرائم فسحة وصبرا وشاتيلا وجنين وطولكرم وغزة وغيرها، ومحترف التدمير الشمولي من قبل أكبر رئيس دولة غربية بأنه رجل سلام، في حين يعتبر المقاوم الفلسطينى ارهابي. ويطالب الفلسطينى المدافع عن نفسه وارضه بوقف اطلاق النار، وهو لا

يملك إلا سلاحاً فردياً، وبيارك العسكري الصهيوني بقتله الفلسطينيين بدم بارد، ويقتلع الأشجار، ويهدم البيوت على رؤوس أصحابها، ولم تسلم من شره حتى سيارات الإسعاف، أو ترك الجرحى ينزفون حتى الموت. وأن تستخدم كل الأسلحة المتطرفة ضد الفلسطينيين.

وظهر السلوك الحضاري الغربي مؤخراً في الحرب التي نشنها الولايات المتحدة في أفغانستان، فتم استخدام قنابل تحمل عشرات الأطنان من المتفجرات، رميت بها قرى أفغانية آمنة، قتل فيها كل ذي روح، وهدمت بيوت فقيرة من الطين واللبن على رؤوس أصحابها.

وشهد العالم من خلال وسائل الإعلام المرئية كيف كانت الأنظمة الغربية وخاصة الأمريكية في معاملتها لأسري مقيدون بالسلسل، ويسجنون مغلقة عليهم الآبواب وحشرروا كالحيوانات في قلعة (جاني)، وكيف قصفوا بالطائرات والمدافع دون رحمة ولا شفقة، وأبىد في ساعات ما يقارب خمسمائة أسير. تلك هي الحضارة الغربية المدمرة وساحقة لكل القيم والشرع، وحتى بقوانين، هي وضعتها كقوانين جنيف التي تحمي الأسير من المعاملة السيئة.

وشهد صحفي بريطاني شهير (روبرت فيسك) على تلك المذبحة البربرية، التي يخجل منها المغول في حربهم. فكتب في صحيفة (الأندبندنت البريطانية): (إن الغرب بدا يتحول إلى مجرم حرب. والدليل على ما فعلته الولايات المتحدة بالسجناء في قلعة قرب مزار الشريف). وتتابع يقول في وصف تلك المذبحة: إن الطائرات الأمريكية قصفت مزار الشريف لتمهيد الطريق أمام قوات تحالف المعارضة الشمالية، ليقوموا بقتل نحو ثلاثة أسرى (فيها) ثم رد مبررات القوات الأمريكية لذبح الأسرى بحجة التمرد. تمردوا.. وهم مقيدون بالسلسل كما وجدت جثثهم وصورت بوسائل الإعلام، أو البعض منهم في زنزانات السجن فقال: (إن القوات الأمريكية والجنود البريطانيين ساعدوا تحالف المعارضة الشمالية في قمع تمرد الأسرى الطالبان بقتلهم جميعاً).

ثم يعود الصحفي البريطاني لضميره فيقول: (ليس هناك أي مبرر للولايات المتحدة لتساعد على تنفيذ تلك المجازرة) وأشار إلى امتياز مراسلي التلفزيونات الغربية عن عرض صور كافية للمجازرة، وللحواء بدلاً من ذلك إلى عرض الأحاديث بين الجنود الأمريكيين ومقاتلي تحالف الشمال الأفغانية للتغطية على مشاهد المجازرة الرهيبة).(25)

ومن السلوك الغربي المتحضر الذي يبشر به العالم، فقد رفض وزير الخارجية البريطاني إجراء أي تحقيق في مجزرة جانجي، كما طلب منظمة العفو الدولية. وقال إن الحكومة البريطانية لا ترى حاجة لإجراء مثل هذا التحقيق. (وكالات الأنباء

يوم الجمعة 30/11/2001). وأدانت منظمة العفو الدولية بشدة في بيان لها صدر يوم السبت 1/12/2001، رفض بريطانيا إجراء تحقيقات في مجزرة جانجي، التي راح ضحيتها أكثر من خمسمائة أسير أفغاني. وقالت المنظمة إن رفض بريطانيا إجراء هذا التحقيق، يضع المملكة المتحدة أمام تساؤلات حول التزامها بالقانون الدولي.

ولتعريه القيم غير الحضارية التي يتشدد بها كتاب الغرب أمثال هنتفتون وفوكوبياما، فقد رفض القائمون على تلك السلوكيات الحضارية للغرب التحقيق بهذه الجريمة. على الرغم من كل الطلبات التي قامت بها منظمة العفو الدولية، وكذلك مطالبة مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان السيدة (ماري روبيسون) في 1/12/2001 بضرورة فتح تحقيق في المذبحة الوحشية. وكان جواب الإدارة الأمريكية التي تتشدد باستمرار في إعلامها الرسمي بحقوق الإنسان الرفض وعدم الاستجابة للنداءات الدولية. قلل وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد من أهمية المطالبة بفتح تحقيق دولي حول المجزرة، بل أبدى استغرابه وامتعاضه من فتح مثل هذا التحقيق (26). فالقتلى في نظره هم أقل من الحشرات ولا يستحقون أن يسأل عن أسباب ذبحهم وإنادتهم، تلئم هي إنسانية حضارة الغرب المتغطرس الذي يملأ الدنيا يومياً صرخات حقوق الإنسان وتطبيق القرارات الدولية حول ذلك.

وتتمثل السلوكي الوحشي بمعاملة الأسرى في غواتنامو حين نقلتهم مصفي الأقدام والآيدي بالطائرات إلى هذا المعقل الرهيب، ثم وضعوا في أقفاص لا توضع فيها الحيوانات الشرسة، وتقى معاملتهم بما دون الحيوان. لماذا غواتنامو وليس سجون الولايات المتحدة. حتى لا يستفيد الأسير من حقوق الأسر والمحاكمة العادلة، بل حتى لا تطبق عليه اتفاقية جنيف التي تحمي أسير الحرب من هذه المعاملة غير الإنسانية. ولم تعر الإدارة الأمريكية أي اهتمام للنداءات التي وجهتها المنظمات الدولية للمعاملة وفق اتفاقية جنيف الدولية.

وليس غريباً هذا السلوك الأمريكي تجاه من يرفض هيمنتها وسيطرتها واحتلالها، فقد تم بهذا تطبيق هذا السلوك على فيتنام حين تمت إبادة الأرض والإنسان معاً، حيث قدر خبراء الحرب أن الولايات المتحدة أقتلت طن من الدينامييت على كل دونم من الأرض في فيتنام، كما ذبح عشرات الآلاف من أبناء فيتنام فقط لأنه قاوموا الاحتلال الأمريكي، وأيضاً استخدمت الولايات المتحدة أقفاص الحيوانات للأسرى الفيتนามيين.

ونذكر هنا السلوك الأمريكي المتشدد بالحرية كيف مات ما يزيد على مليون طفل عراقي بسبب الحصار الذي فرضته أمريكا على شعب العراق. ثم أكملته بقتلها عشرات الآلاف من العراقيين حين احتلت العراق، واعترافها ما بين ثلاثة آلاف والأربعة آلاف من أبناء الشعب العراقي، وعاملتهم معاملة لا تليق بالحيوان ولا بالإنسان، حين داهمت بيوتهم في منتصف

الليالي، ووضعت على رؤوسهم أكياس سوداء، وصفدت أياديهم، واستخدمت التعذيب والإذلال معهم، ولم يسلم من شر هذا السلوك العدوانى لاشيخاً ولا طفلاً ولا امرأة.



## \* الفصل الرابع

# السلوك الأمريكي التصادمي مع العروبة والإسلام

يذكر الكاتب الأمريكي كافين رايلى في كتابه (الغرب والعالم)، إن الولايات المتحدة الأمريكية تتسم بميل خاص إلى العنف والنمو الأشد تطرفاً للحضارة الغربية الأوربية. ويعيد أسباب ذلك إلى الجذور، التي ينحدر منها الأمريكيون. حيث يؤكّد انحدار الأمريكيين من البربرة عشاق الدماء فيقول: (لقد انحدر جميع الأمريكيين البيض (في جانب كبير على الأقل) من القبائل البربرية التي اجتاحت روما وأوروبا من سهوب آسيا. وقد كان أسلافنا هؤلاء حالف جامحة).<sup>(27)</sup> ويقول: (إن الأسلاف القبليين كانوا دون شك - من "بربرة" وهذه الكلمة ملائمة، فقد كانوا همّاً بالمعنى الذي يستعمله اليونان والرومان).<sup>(28)</sup>

ولقد ذكرنا في مطلع البحث أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد بضع سنين على استقلالها، هاجمت الشمال الأفريقي العربي، دون مبررات له سوى توفير حرية الملاحة لسفن كانت تحمل الأفيون لتجار بوسطن. ولتؤكد على جذرها البربرى التاريخي الذي أشار إليه الكاتب الأمريكي كافين رايلى؛ لا زال نشيد بحربتها يمجّد تلك الحروب على قذارة أسبابها، وبدون خجل، من أنها قامت من أجل تجارة الأفيون.

ومن الجرائم التي ارتكبها الولايات المتحدة بحق العرب والمسلمين، هو دعمها المطلق بدون حدود للكيان الصهيوني، ولممارسات حكامه في القتل والتشريد والطرد والإذلال اليومي للفلسطينيين؟ فمنذ بدء المؤامرة الصهيونية في القرن الماضي، ساندت بقوة إقامة كيان صهيوني سرطاني في قلب الأمتين العربية والإسلامية، حين مارست ضغطاً هائلاً على الحكومة البريطانية، من أجل الإسراع باصدار وعد منها لإقامة كيان صهيوني في فلسطين قبل نهاية الحرب العالمية الأولى. وقدمت للكيان كل مستلزمات النشوء حين ظهر في عام 1948، وقدمت له كل متطلبات القوة، ليغدو قوة ضاربة. التي

نرهب المنطقة، وجعلته مخراً متقدماً لرعاية مصالحها، ولا تزال تقدم كل أشكال الرعاية والحماية له إلى يومنا هذا. وهي تبارك عدوانه وقتله واغتصابه.

هذا السلوك الغربي الحضاري أدى إلى إخراج الملايين من أراضيهم، وتشريدهم في بقاع العالم، وإحلال بدلاً عنهم غرباء تم جمعهم من أنحاء الأرض.

وعلى مرأى العالم تساند جرائمه الدموية، بالرغم من نقل تلك الجرائم على شبكات تلفاز العالم، ضاربة عرض الحائط كل القرارات الدولية، حتى لجنة التحقيق الدولية المشكلة من الأمين العام للأمم المتحدة حول كارثة جنين، وقفت إلى جانب الكيان الصهيوني، بمنعها من الوصول إلى جنين، وكانت وراء حلها دون أن تمارس عملها.

إن السلوك الثقافي للولايات المتحدة في قضية الصراع العربي/ الصهيوني وحده دليل على أنه سلوك بريء، لا يحمل في ثناياه أي جانب إنساني، فشعارات الديمocratie وحقوق الإنسان تسقطها أمريكا في هذه القضية، حين ترعى العدوان، وتنصر الباطل، وتحمي المجرم، وتدافع عن السفاح.

#### الإسلام وال الحرب الجديدة عليه

حين كانت الشيوعية العدو الأول للولايات المتحدة، أرادت أمريكا استخدام الإسلام، ليكون شريكاً لها في حملتها على الشيوعية، فأنشأت المخابرات المركزية الأمريكية في بداية الثمانينات دائرة خاصة بها أطلقت عليها (الدائرة الإسلامية). وزادت من قواتها المسلحة على حدود بلدان آسيا الجنوبية الغربية وأفريقيا الشمالية، وعززت تواجدها في البحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط، وبذلت تشير المعاشر الدينية الإسلامية ضد الشيوعية، وقدمت دعماً لا محدوداً لما يطلقه عليه أنذاك المجاهدين في أفغانستان، فمولتهم بالسلاح والمال والدعابة والإعلام والتدريب، وكتبت نعوم تشومسكي: (أن المخابرات المركزية دعمت في أفغانستان أكثر المقاتلين تعصباً من بين الذين أمكنها تعئيthem ضد السوفيت، ولكن عدداً قليلاً من الناس يعلم أن واشنطن، استمرت في تقديم الدعم العسكري للمشاركيين في حرب العصابات، بعد انسحاب السوفييت من أفغانستان في شباط عام 1989). وكان هدفها تنسيق عملية إسقاط حكومة نجيب الله الاشتراكية، وقدمت للمجاهدين بعد حلاء الروس عبر باكستان إمدادات أنظمة نزع الألغام (لايتقوت) وصواريخ (ستينغر) المضادة للطائرات، ومدافع هاون إسبانية 120 مم وأسلحة أخرى). هذا حين كان المجاهدون المسلمين يخدمون مصالحها. ولكن الأمر اختلف حين تصادمت المصالح بين الطرفين، وأصبح تعارضاً في التوجهات متعاكسة، غداً المجاهدون إرهابيين في نظر الولايات المتحدة.

ووجهت دعایتها في الثمانينات للاحترام المخلص للحضارة

الإسلامية ولثقافتها، وشن مدراء الجامعات والوزراء والعلماء في الغرب والولايات المتحدة حملة خاصة لإقناع ملوك المسلمين بخطورة الشيوعية وضرورة تحالف الغرب بزعامة أمريكا ضد العدو المشترك. وفي حزيران 1982 أطلق الرئيس الأمريكي حملة ضد الشيوعية تحت عنوان (حملة صليبية على الشيوعية). ولكن في بداية القرن الحالي قلبت أمريكا ظهر المجن فأصبح الشعار (حملة صليبية ضد الإسلام). لماذا؟

فقد انتهت الشيوعية ولم يبق إلا الإسلام كما قال جورج بوش الأب في عام 1991. فيبعد هذا العام يجب أن يتغير النمط السلوكي في العالم وفق نمط ورغبات الولايات المتحدة. إلا أن الإسلام باعتباره يملك سلوكاً ثقافياً عالياً وغير قابل للتغيير وفق الأهواء الأمريكية بدأت حالة التصادم.

فتشتت الحملات والافتراءات على الإسلام واتهامه برفصه للتقدم والتطور، ومصدر للإرهاب الدولي. ولم تترك الحملة جانياً إلا وحاربت فيه الإسلام، فأعتبرت المدارس الدينية مدارس إرهاب، ودعت إلى إغلاقها. وطلب من وزير التعليم في السعودية تغيير المناهج الدينية، بما يتلاءم والنمط الأمريكي. أي ليصبح تعليماً دينياً أمريكياً. يحذف ما يريد من آيات القرآن، ويراد أن يكتب القرآن والمساجد فقط. وقد يقترح بدائل عن آيات تلاوته في البيوت والمساجد فقط. وكذلك يقتصر قرانية خاصة منها، التي تكشف سلوك اليهود المنتصف بقتل الأنبياء والخداع والتضليل والكذب أو الداعية للجهاد ضد الطاغة والمستعمرين، بآيات أخرى توافق السلوك الأمريكي الصهيوني.

ويضغط كبير وشديد من الرئيس جورج بوش على الحكومة الباكستانية، لتغيير مناهج التعليم الديني، وضبط المساجد فيها بما يخدم المصالح والسلوكيات للولايات المتحدة. وجّه الرئيس برويز مشرف كلمة لشعبه في 1/1/2002 بمناسبة العام الجديد تضمنت تطبيق التعليمات الأمريكية حول المنظمات الإسلامية والتعليم الديني والمسجد ومنها:

1 - حظر التنظيمات الإسلامية التي تقاتل الهند من أجل تحرير المصير للشعب الكشميري أمثال جيش محمد والحزب العنصري من العمل في الأراضي الباكستانية وتقيد حريتها.

2 - سيطرة الدولة على التعليم الديني بالكامل، ومنع الجمعيات وغيرها من فتح مدارس التعليم الديني إلا بإشراف الدولة، ومنع أي تعليم ديني مشبوه على حد قوله يدعو إلى الإرهاب.

3 - تحديد عمل مكبرات الصوت في المساجد بحيث تصبح فقط للأذان وخطبة الجمعة، وأن توضع تحت رقابة الدولة.

4 - الإشراف على المدارس الدينية وخاصة مدارس تحفيظ القرآن الكريم. وعدم فتح أي مدرسة لتحفيظ القرآن إلا

برخصة من قبل الدولة.

5 - حصر الطلاب الأجانب الذين يتعلمون في المدارس الدينية، وأن يكون وجودهم برخصة من قبل الدولة.(29)

وتم تجميد أموال العشرات من الجمعيات الخيرية في أمريكا، تحت ذريعة دعم الإرهاب. وهذه الأموال ما هي إلا أموال زكاة وصدقات للفقراء والمساكين ولبيوت الله ودور العجزة والأيتام. ومن السلوك الأمريكي سجن المئات من المسلمين في الولايات المتحدة دون أي اتهام موجه له فقط لأنه مسلم.

وهكذا بدأ الصدام بين سلوكتين أحدهما تدعو للفضيلة وأخرى تدعو للطغيان والظلم والهيمنة. ولكن هذا الصراع مهما طال سيكون خيراً على العرب والمسلمين، ليسقطوا من سبات عميق، ويواجهوا عدواً يريد تمزيقهم، وأغتصاب أراضيهم، ونهب ثرواتهم. كما قال سمسون وزير المصالح الأمريكية الأسبق: (التبرول لنا، وما العرب إلا يرقدون عليه). فالأمة العربية والإسلامية مدعوة اليوم إلى اليقظة من مؤامرات صهيونية عربية قادمة ت يريد حصاد الأخضر واليابس.

## \* الفصل الخامس نماذج من السلوكيات الإسلامية.

**من النماذج السلوكيات التي دعا إليها الإسلام:  
السلوك المفروض على المسلم:**

من يراجع كتب السير والتاريخ، سيرى كيف كان الرسول (ﷺ) يطلب من يريد الدخول في الإسلام سلوكاً إنسانياً رفيعاً يقوم على مرتکزات أخلاقية علياً في معاملته لنفسه وأسرته ومجتمعه ومحيطه من المسلمين وغيرهم؟

ومن يطلع على كيفية مبادئ النبي (ﷺ) من قبل من أراد الدخول في الإسلام فسيرى أنها تبدأ في الإقرار بعدم الشر بالله أى بالإعتراف بوحدانية الله. وهذا الإعتراف يفرض عليه اتباع سلوكيات أخلاقية عالية، كما وردت في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. ومن السلوكيات التي كان يصر عليها الرسول في البيعة نذكر منها:

- عدم السرقة وهي جريمة كبيرة على صغرها، فهي تروع بيوت أمنة، وتأخذ أموال تعب وكد أصحابها. وقد تؤدي السرقة إلى أزهاق أرواح بريئة، وجرائم السرقة في العالم تدل على عواقبها السيئة.

- وأن لا يزنوا والزنى فاحشة تدمّر مؤسسة الأسرة، وتنشر كل أشكال الفساد، وتدمّر بنیان المجتمع.

- ولا يقتلوا أولادهم والقتل هنا من خبيثة الفقر أو بسبب عدم القدرة على تربيتهم فقتل الأطفال من الجرائم البشعة والمحرمة في الإسلام.

- ويمتنعون عن قول الزور والكذب والدّس وغيرها.

- والعمل بالأمر بالمعروف وهو خلق من أجمل الأخلاق.

- والدعوة إلى الفضيلة والبر والإحسان وغيرها من مكارم الأخلاق. كما وردت في الحديث النبوي التالي: [عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فِي رَهْطٍ فَقَالَ: إِنَّمَا يَعْكُمْ عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً،

وَلَا تُسْرِقُوا، وَلَا تُنْزِنُوا، وَلَا تَقْتِلُوا أُولَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِهَتَانٍ  
تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُنِي فِي مَعْرُوفٍ،  
فَمِنْ فِي مَنْكُمْ فَاحْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمِنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ  
شَيْئاً فَاخْذُ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كُفَّارَةٌ لَهُ وَطَهُورٌ، وَمِنْ  
سُترِهِ اللَّهُ، فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَابٌ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ  
لَهُ]. [30]

**السلوك الإسلامي في الحروب**  
من وصايا الرسول (ﷺ) لأمراء الجيوش وهم زاحفين  
للحروب جاء في مختار مسلم ما يلي:  
[كان رسول الله (ﷺ) إذا أمر أميراً على جيش أو سريةٍ  
أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم  
قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله.  
اغزوا ولا تغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا ولا ولدوا. وإذا لقيت  
عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاثة خصال، فإذا تهنئ ما  
أحابوك فاقبل منهم، وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من  
دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما  
للمهاجرين، فإن أبوا أن يتتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون  
كأعراب المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء. إلا  
إن يجاهدوا مع المسلمين، فإنهم أبوا، فسلهم الجزية. فإنهم  
أحببوا، فاقبل منهم، وكف عنهم، فإنهم أبوا، فاستعن الله  
وقاتلهم".  
"إذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن يجعل لهم ذمة الله  
وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن أجعل لهم  
ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخربوا ذممكم وذمم أصحابكم  
أهون من أن تخربوا ذمة الله وذمة نبيه".  
"إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل على حكم الله،  
فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن انزلهم على حكمك، فانت لا  
تدرى أتصيب حكم الله فيهم  
أم لا"]. [31]

هذا هو السلوك الإسلامي الداعي إلى مجتمع  
الفضيلة والنقاء والسلام، وذاك السلوك الغربي الداعي للنهب  
والهيمنة واستعباد الشعوب، ومن هنا يكون الصدام في سلوك  
الثقافات الناتجة عن الحضارات. ولا يوجد صدام الحضارات كما  
يدعى بعض كتاب الغرب.



## المصادر:

- 1 - الإمام محمد عبده - الإسلام بين العلم والمدنية - دار المدر - دمشق - 2002 - ص 22 و 23 من مقالة مسيو هانوتوا وزير خارجية فرنسا عام 1900 في جريدة "جورنال" الفرنسية عن الإسلام والمسألة الإسلامية، نشرت في المؤيد المصرية.
- 2 - مايكل هدسون - مأرقي إمبرالية: إدارة المناطق الجامحة - المستقبل اللبناني - العدد 284 - 10/2002 - ص 39.
- 3 - الفاييتشال تايمز اللندنية - 24/9/2002.
- 4 - بوندا ريفسكي - الغرب ضد العالم الإسلامي - دار التقدم - موسكو - 1985 - ص 52.
- 5 - المصدر السابق - 52.
- 6 - المصدر السابق - 54.
- 7 - المصدر السابق - 55.
- 8 - صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي - صموئيل هنتغتون - ترجمة د. مالك عبد أبو شهادة ود. محمود محمد خلف - الدار الجماهيرية - ليبيا - مصراته - 1999 - ص 109.
- 9 - المصدر السابق - ص 214 / 215.
- 10 - المصدر السابق - ص 215.
- 11 - المصدر السابق - ص 217.
- 12 - المصدر السابق - ص 370.
- 13 - المصدر السابق - ص 374.
- 14 - المصدر السابق - ص 374.
- 15 - المصدر السابق - ص 383.
- 16 - الإمام محمد عبده - الإسلام بين العلم والمدنية - مصدر سابق - ص 26.
- 17 - السفير اللبناني - العدد 9413 - 1/2/2003.
- 18 - قناة اقرأ الفضائية - برنامج أقوال الصحف - 25/1/2003.
- 19 - المصدر السابق.
- 20 - الغرب والعالم - كافلين رايلي - ترجمة د. عبد الوهاب محمد المسيري ود. هدى عبد السميم حجازي - مراجعة د. فؤاد زكريا - سلسلة عالم المعرفة - 90 - المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون - الكويت - 1985 - ص 175.
- 21 - المصدر السابق - ص 199 / 200.
- 22 - المصدر السابق - ص 200.
- 23 - المصدر السابق - ص 201.
- 24 - روجيه غارودي - ما يعد به الإسلام - دار الوثبة - دمشق - 1982 - ص 216.
- 25 - صحيفة الأندبندت البريطانية - 29/11/2001.
- 26 - صحيفة البعث السورية - العدد 11650 - 2/12/2001 - ص 10.
- 27 - الغرب والعالم - كافلين رايلي - مصدر سابق - ص 197.
- 28 - المصدر السابق - ص 177.

- 29 - وكالات الأنباء - 1/1/2002 .  
30 - صحيح البخاري - دار العلوم الإنسانية - دمشق - ج 4 - ص 2337 .  
31 - عباس محمود العقاد - مجموعة العquerيات الإسلامية - بيروت - دار الكتاب العربي - 1972 - ط 1 ص 85 .

الباب الثالث  
(الإرهاب الإسلامي)  
صناعة غربية صهيونية.



## \* المقدمة

تحدثنا في الفصل السابق عن أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 في نيويورك وواشنطن، وبيننا أن صناعة هذا الحدث تحتاج إلى قوى دولية كبيرة، تملك أدق الأجهزة وأحدث التقنيات والمفهومات العالمية لتنفيذها، تساندها أجهزة استخباراتية وعناصر مؤثرة على الأرض، وذات نفوذ في أجهزة السلطة الأمنية والإدارية والفنية.

إلا أن إدارة الرئيس جورج بوش التي يغلب عليها الرؤوس اليمنية الحامية، والباحثة على امتلاك ثروات العالم والتحكم بمقدارته الاقتصادية والثقافية، وتنفيذ مشروع الهيمنة على دول العالم عامة والعالم العربي والإسلامي خاصة. هذا إذا راجعنا بعض الملفات الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة، وظهور الانتصار الأمريكي فيها، وأنهيار المعسكر الشيوعي الند لها.

ونذكر هنا فقط مفردة من تقرير وضعه البنتاغون عام 1992 حين كان وزير الدفاع ديك تشيني، والذي أصبح نائب الرئيس الأمريكي. جاء في هذا التقرير: (يجب على الولايات المتحدة أن تسيطر على العالم بقوة وحيدة القطب. عندها ستتحمي النظام الجديد، بينما تسمح للأخرin بمتابعة اهتماماتهم المشروعة، في حين تقوم واشنطن بالدفاع عنهم. ويجب أن تستعد الولايات المتحدة بشكل كاف للشؤون الصناعية المتقدمة وإحباطها في تحدي قيادتنا أن يسعوا في قلب ترتيبنا للنظام السياسي، أو حتى الطموح إلى دور عالمي أو إقليمي بارز).<sup>(1)</sup>

لهذا كان لا بد من صناعة حادث هام كحدث الحادي عشر من أيلول لانطلاق الامبراطورية الأمريكية أي روما الجديدة. وكان لا بد من متهم فتم تصنيع ما يسمى بالإرهاب الإسلامي. إضافة إلى بعض الدول التي استخدمت الحدث لتصفية حساباتها مع قوى داخلية أو خارجية معادية لها، من خلال توظيف الشعارات التي أطلقتها الإدارة الأمريكية بعد الحدث كالتحالف الدولي لمحاربة الإرهاب. ومع الأسف أن تصفيه الحسابات تمت ضد بلاد وحركات إسلامية، كانت تناضل من أجل حق تقرير المصير، أو لتحرير أرض من محتل، أو لتحسين شروط حياتهم، أو من أجل المساواة مع الآخرين من بقية أبناء الوطن الذي يعيشون

به، فاستخدم هؤلاء المصطلحات التي أطلقتها الإدارة الأمريكية حول ما يسمى بمحاربة الإرهاب، لقمع وتصفية الحسابات. علماً كان القسم الأعظم من تلك الحركات في العرف الأمريكي قبل أحداث أيلول 2001 أصحاب حق وقضية.

فاستخدمها الروس في حربهم الطاحنة مع الشيشان، والهند مع المنظمات الكشميرية المطالبة منذ نصف قرن بالاستقلال وتقرير المصير. والصين في قتل وسحق المطالبين ببعض الحقوق في ولاياتها الغربية، والفلبين مع جهة مورو، ودول أخرى استخدمتها أيضاً ضد تنظيمات أو جماعات معارضة لها بذرية محاربة الإرهاب.



## \* الفصل الأول المجرم من جنى أرباح الحدث!!!

المستفيد الأول كانت الولايات المتحدة من تلك الأحداث، وظهرت استفادتها منذ الساعة الأولى للأحداث، باعلانها الحرب على سين دولة في العالم تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، لفرضها هيمنتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على مناطق الثروة والنفط التي تتواجد في العالمين العربي والإسلامي.

أما الكيان الصهيوني فكان الرابع الثاني من الأحداث، ووظفها لصالحه في قمع الشعب العربي الفلسطيني وانتفاضته الباسلة، وتصفية الحساب مع ياسر عرفات وإدارته الناتجة عن اتفاقية أوسلو، ومع المنظمات الفلسطينية الأخرى المعارضة لأوسلو، التي جرّت مجموعة من الكوارث والمصائب للقضية الفلسطينية.

فتحت غطاء الأحداث وغياب الضمير العالمي وتخاذل وضعف وجبن الموقف العربي، أقدمت حكومة العدو الصهيوني برئاسة أرييل شارون على استخدام أشد أنواع الإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني كالذبح والقتل والتدمير، ونهب الأرضي، وهدم البيوت، وتخريب المزارع، وأتلاف المحاصيل، وزرع الخوف والرعب والدمار في كافة الأرضي الفلسطينية المحتلة، وحصد رجال المقاومة بين القتل والأسر، حيث اعتبرت المحكمة الصهيونية الأحداث الفرصة الذهبية في تحقيق المشروع الصهيوني بتهويد الأرضي العربية المحتلة.

وظهرت مشاريع أمريكية صهيونية جديدة بعد الأحداث، تدعى إلى إعادة تقسيم المنطقة العربية، وذلك ضمن البرامج التي تطرحها الإدارة الأمريكية من خلال التهديد بحرب ضد العراق، وبما يخدم مصالح الحليفين الأمريكي والصهيوني، قد صرخ علانية أمام الكونغرس الأمريكي كولن باول أن الحرب على العراق، ستؤدي إلى إعادة بناء المنطقة وفق المصالح الأمريكية، وقال البعض وافق شروط السلام الإسرائيلي.(1)

## البداية أفغانستان

فور انتهاء الأحداث التي جرت في نيويورك يوم الثلاثاء 11/9/2001 أطلقت الحكومة الأمريكية وعلى رأسها رئيس الجمهورية (جورج بوش الابن) شعاراً هو (الحرب على الإرهاب)، ليشمل كل أنحاء العالم. وقد حددت السلطات الأمريكية أكثر من ستين بلداً في العالم تدعم الإرهاب، إما من خلال التمويل أو التخطيط أو توفير الحماية لمنظمات إرهابية. وتجزأ من تلك البلدان دول سبع أسمتهم بالدول المارقة (إيران والعراق وكوريا الشمالية وليبيا وسوريا والسودان وكوبا)، كما سميت ثلات دول منهم بدول محور الشر (العراق وإيران وكوريا الشمالية).

أما حكومة طالبان فتعرضت منذ اللحظات الأولى إلى خيار فوري إما بتسليم أسامة بن لادن ومجموعته من عناصر القاعدة، أو تحمل نتائج الحرب التي ستتشكل عليهما؟ وذلك قبل أن يظهر أي تقرير مخابراتي أو أمريكي يؤكد بأدلة دامغة تورط أسامة بن لادن ومجموعته بتلك الأحداث.

وطالبت حكومة طالبان والولايات المتحدة تقديم الدليل على اتهامها لابن لادن وتنظيمه بما حدث في نيويورك وواشنطن، حتى تستجيب لمطالبها، وتقدمه للمحاكمة، إلا أن الولايات المتحدة رفضت تقديم أي دليل، سوى اتهامها، وأصرت على مطلبها. ورفضت حكومة طالبان ما تمليه الإدارة الأمريكية دون دليل أو حجة دامغة.

وفي 7 تشرين الثاني 2001 شنت الولايات المتحدة الحرب على حكومة طالبان في أفغانستان، وشاهد العالم أحداث تلك الحرب المأساوية، وما نتج عنها من مأساة وكوارث وويلات الحقت بالشعب الأفغاني الفقير المسكين. حيث أقيمت عليهم الطائرات الأمريكية الآف الأطنان من القنابل بمختلف الأوزان والأنواع ومنها ما يزيد على عشرة أطنان، والتي سقطت على أبنية طينية وكهوف ومزارع صغيرة وأسواق مات وقتل الآف من المدنيين العزل، وقتل المئات من الأسرى في قلعة جانجي قرب مزار الشريف، واعتقل مئات آخرين كأسرى في معقل غواتنامو، تم نقلهم مصفدي الأرجل والأيدي وعوملوا كالحيشات لا كالحيوانات وأقل من ذلك. حرب من الغريب أن تتم باسم الحضارة والرقي. ومن المضحك والمبكي معاً، في الوقت الذي كانت الطائرات الأمريكية تلقي بالقنابل التدميرية على الشعب الأفغاني، كانت في الوقت نفسه تقوم بإلقاء أغذية على هذا الشعب الجائع. لتدعى أمام العالم بأنها تقوم بعمل إنساني فتسخر وتستخف بالعقل البشري في كل أنحاء العالم.

## \* الفصل الثاني الإرهاب التلفيقي

والخطورة التي نتجت عن أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، هو ماتم طرحه من شعارات من قبل الإدارة الأمريكية والقوى الصهيونية حول ما سمي بالحملة ضد الإرهاب، حيث حصر الإرهاب بالعرب والمسلمين من قبل تلك القوى. وما أطلق عليه من قبل وسائل الإعلام الغربي والصهيوني بالإرهاب الإسلامي، فتم تغطية الإرهاب العالمي، الذي تمارسه قوى وتنظيمات وأفراد في كل أنحاء العالم، ومن مختلف الأعراق والأجناس والأديان، ليكون في رأي تلك الوسائل المشبوهة فقط عرباً وإسلامياً. وشنّت حملات مكثفة من عمليات غسيل للذهن العالمي بكل وسائل الدعاية التلفيقية والكاذبة لإقناع الناس بأن الإرهاب مصدره الإسلام والمسلمين.

### ما هو الإرهاب؟

الإرهاب يعني في اللغة العربية التروع والتخييف، وفي التعريف السياسي وفق تعريف نعوم تشومسكي: ( بأنه استعمال مدروس للعنف ضد المدنيين لإجبار وترهيب السكان المدنيين أو الحكومات من خلال زرع الرعب ).<sup>(2)</sup> والإرهاب ليس بالأمر الجديد على العالم، قد تمت صناعته مع أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، بل هو عمل قديم قدم التاريخ استخدمته أمم سابقة ولاحقة، ولم تنج منه أمة من الأمم، ولا يزال من البلدان في العالم. وكل حالة من حالات الإرهاب لها مسبباتها، وجذور لنشأتها، حيث تختلف كل حالة عن الأخرى، من حيث الأهداف والغايات والوسائل. كما تختلف نوعية الإرهاب من حقبة زمنية إلى حقبة أخرى، ومن بيئة إلى بيئة، ومن طرف زمني إلى طرف زمني آخر.

أما في العصور الحديثة فإن الإرهاب الحالي نشأ من سبب يكاد أن يكون وحيداً، أو سبباً رئيسياً في نشاته، ألا وهو

الاستعمار الغربي بأشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، غير ثلاثة قرون من النهب والقهر والاستعباد والتروع لشعوب العالم الثالث عامة والبلدان العربية والإسلامية خاصة.

يضاف إلى هذا السبب أسباب ثانوية، ومنها التخلف، والجوع، وتدني المستوى المعاشي، والأمية التعليمية والثقافية، وغياب الديمقراطية، وفرض أنظمة قمعية متخلفة مستبدة من قبل القوى الغربية خدمة لمصالحها في دول العالم الثالث، تستمد شرعيتها من تحالف مستغل من الداخل والخارج، المبني من مصالح القوى الإمبريالية ومصالح الطبقات الطفيلية والعشائرية والفاشدة.

كما أن الصراع والمنافسة على مصادر الطاقة والثروات والأسواق في العالم الثالث في القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، الذي أدى إلى نهب ثروات الشعوب، والتي كانت ستشكل حالة إنقاذ لتلك الشعوب من الفقر والتخلف، واستخدامها في تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية، تؤدي إلى تغيرات جذرية في نمط المعيشة المتدينة، والارتفاع بها إلى مصاف الأمم المتقدمة. هذا النهب لا عقلاني من قبل القوى الإمبريالية للثورة وبالتعاون مع قوى حاكمة مستبدة ومتخلفة، أدى إلى ظهور تنظيمات وجماعات إرهابية، إما ردًا على ذلك النهب، أو خدمة لمصالح الناهبين، لتخويف وتروع آية معارضة، أو لقمع آية حركة احتجاج شعبي، وأحياناً خدمة لمصالح قوى تزيد جزء من الثروة المنهوبة.

## \* الفصل الثالث

# أمريكا مؤسسة الإرهاب في العصر الحديث

لا نريد البحث عن تاريخ الإرهاب منذ أن تشكلت الدول في بداية التاريخ الإنساني، فهذا يحتاج إلى كتاب أو مجلد خاص، بل نريد فقط دراسة موجزة لتاريخ الممارسات الإرهابية، التي قادتها الولايات المتحدة في العالم كدولة ضد كل مناوئها من الدول أو التنظيمات أو الأشخاص المدافعين عن مصالح بلادهم. فسنجد أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المؤسس الرئيسي للإرهاب في العالم.

لقد مارست الولايات المتحدة الإرهاب منذ دخول مؤسسيها إلى أرض القارة الجديدة في نهاية القرن الخامس عشر، وبعد استقلالها مارست كل أشكال الإرهاب المنظم ضد شعوب دول العالم شرقاً وغرباً، مارسته من خلال جيوشها باحتلال أو تدخل، ومن خلال جهازها سبئ الصيت المخابرات المركبة (CIA) في صناعة المؤامرات والانقلابات وتخريب الدمم، ونشر الجواسيس والفساد، وحياكه الأضطرابات ضد الأنظمة الوطنية والمحترمة، كما قامت بتشكيل وتدريب وتمويل وتسليح مجموعات إرهابية على مستوى العالم خدمة لمصالحها ومصالح الشركات الإمبريالية المستغلة.

من يستطيع ممارسة ممارسات الإرهاب في العصر الحديث، يجد أن أقسى أشكال ممارسات الإرهاب قد ظهرت بعد اكتشاف القارة الأمريكية مباشرة، حين بدأ الغزو الجماعي الاستيطاني البري لارض القارة الجديدة. حيث بدأت عمليات مسح الشعب الأصلي للبلاد المكتشفة عن خارطة الوجود الكوني. فجرت على أرضهم، وأرض أجدادهم عمليات التطهير العرقي بابشع صوره، عبر عمليات إرهابية لا تزال تسود صفحات تاريخ القارة الأمريكية من شدة مأساتها الرهيبة.

لقد كان القسم الأعظم من المهاجرين الأوائل من الأوروبيين من عناة المجرمين وأصحاب السوابق، أخرج البعض منهم من

السجون التي كانوا يقضون فيها أحكاماً قضائية تصل البعض منهم إلى حكم المؤبد، وأرسلوا إلى استعمار القارة الجديدة، وممارسة الإرهاب ضد السكان الأصليين. ومن عجائب الدنيا أن يدعى هؤلاء كما تم إفهامهم من الذين أرسلوهم، بأنهم شعب الله المختار على تلك الأرض الجديدة، فمن واجبهم تطهيرها من أصحابها الحقيقيين. وهذا الرعم الكاذب نراه الآن في ادعاءات الصهاينة في فلسطين بأنهم شعب الله المختار، وعليهم تطهيرها من سكانها الأصليين.

هذا الشعب الأوروبي المختار من الله زيفاً، قام بمجازر تقشعر لها الأبدان بحق شعب أمن وسلام، لم يعتد يوماً على أي بلد أوروبي. حتى يمكن خلق المبررات الأخلاقية لتلك الأفادة، بل تمت إبادتهم، واستعبادهم، واسترقاقهم دون أي ذنب ارتكبوه. فكانت ثبات فراغهم وتجمعاتهم السكنية وتحرق بيوتهم ومزارعهم دون أي سبب ارتكبوه. لقد مورست تلك الأعمال الإرهابية ليس لحاجة المهاجر الأمريكي لأرض ومزارع تلك القرى والتجمعات فقط، بل لإشباع رغبات وحشية في داخل نفس هذا المستوطن، وإرضاء لشهواته الذاتية التوافقة للتلذذ بممارسة القتل من أجل القتل، والترويع لخلق حالة من الرعب والإرهاب ضد الآخر.

ووضع المستوطن الأمريكي الجديد، الذي يتنددق اليوم أحفاده بالديمقراطية وحقوق الإنسان قانوناً من أیشع القوانين الإرهابية الطالمة في التاريخ البشري، حيث سنت السلطات الأمريكية مكافآت مالية، لمن يقتل هندياً، ويسلخ فروته، ويقدمها للسلطات الأمريكية. وكانت المكافآت تتوزع على المجرمين وفق التعريفة التالية:

المستوطن الذي يأتي بقروة الرأس له (50) جنيهاً.  
والجندى (10) جنيهات، ورجل الحرس (20) جنيهاً، ثم ارتفعت فاتورة الشراء عام 1704 إلى (100) جنيه لكل فروة رأس هندية.

وكان الأمريكيون الأجداد الأوائل يتباھون بين بعضهم البعض بالملابس والأحذية المصنوعة من جلد الهند، بل كانت المباھاة الأكثر بين الطيقة النبيلة هي في أكياس التبغ المصنوعة من عظام الهند (٣).

لقد دمر الأوروبيون المؤسسوں لأمريكا حضارات الهند، التي كانت سائدة آنذاك في القارة الأمريكية. فقد كان الهند (الازتيك) أشادوا حضارة كبيرة لا تزال إلى يومنا هذا شاهدة على عظمة تلك الحضارة الراقية، ودللت من خلال أهراماتها ومعابدها وقبورها ومنحوتاتها وألابينية الصخمة، واستخدام الصناعة الفنية وأدوات البناء مثل السيراميك وغيرها على مدى التقدم الهندسي الراقي.

كانت الإيادة الكاملة لشعب الأزتيك من قبل المؤسسين الأمريكيين قتلاً وسلحاً وذبحاً وتدميراً عن وجه الأرض من

الجرائم التي تقشعر لها الأبدان، وما تم تدميره لشعب الأرتيك وحضارته، تكرر أيضاً من خلال تدمير حضارة هندية أخرى، هي حضارة دولة الانكا في بيرو.

تلك أولى ممارسات الإرهاب الأمريكي في العصر الحديث، بأبشع صوره وأشكاله، والمتمثل بالإيادة الجماعية، والتطهير العرقي، وطرد الناس سكان الأرض الأصليين من بيونهم ومزارعهم، وإحلال أناس غرباء جدد بدلاً عنهم، ليس لهم علاقة بالأرض والوطن.

وقد شعر بعض الكتاب الأمريكيين، ومن استيقظت ضمائرهم اليوم بالعار من هذه التصور الإرهابية البشعة، التي مارسها أجدادهم الغزاة بحق أناس مساملين متحضرين، فكتب هيلين جاكسون كتاباً عن تلك الممارسات الرهيبة أسمته (عصر العار)، كتب في مقدمة الكتاب أسقف مينيسوتا هـ. بـ. وايلـ (إن الكشف الحزين عن الوعود التي نكث بها، والعقود المنتهكة وأعمال العنف الإنسانية تسبب حمرة الخجل لدى الذين يحبون بلدتهم) (4).

ومن جرائم الإرهاب الأمريكي الأخرى، استرقاق عشرات الآلاف من الأفارقة بوسائل إرهابية شنيعة، حيث كانوا يصطادون الأفارقة في مزارعهم وبيوتهم وفي الغابات كالحيوانات، أو يشترونهم من تجار الرقيق بآخرين الآثمان، ويعذبون في سفن بريطانية وأمريكية من سواحل أفريقيا الغربية، ويكدسونهم في تلك السفن كالساردين، وبعض مكبلين بالحديد والحبال، يقضون أشهر في البحر إلى أن يصلوا الشواطئ الأمريكية، ولم يتبق إلا نصفهم إن لم يكن أقل من ذلك، في حين يكون الآخرون قد لاقوا حتفهم قبل أن يصلوا إلى الشاطئ، وتبدأ مأساة الأحياء من الأفارقة من خلال استعبادهم، واستخدامهم تحت ظروف قاسية بالعمل في مزارع القطن الأمريكية.

ومن إرهاب الولايات المتحدة الأمريكية العالمي، نذكر أنها أول دولة في العالم استخدمت القنابل النووية ضد مجموعات بشرية حين ألقى اليابانيين قبل نهاية الحرب العالمية الأولى من وناغازاكي اليابانيتين أقسى أشكال الإرهاب في تاريخ العالم. حيث حصدت مئات الآلوف من الناس المدنيين الأبرياء بدون تفريق بين رضع وشيخ وشاب، وكانت كل الدلائل تشير أنذاك إلى قرب قبول اليابان بوقف إطلاق النار.

ورغم كل الادعاءات الأمريكية بأن استخدام تلك القنابل، كان للضرورة، حتى تتوقف اليابان عن الحرب. إلا أن الحقيقة كان الهدف من إلقاء القنابل النووية، هو إشعار العالم بقدرات الولايات المتحدة التسليحية، التي لا تضاهى، وخلق حالة الرهبة والخوف عند دول العالم بعدم التصدي لإطمامها المستقبلية، ولزرع شعور آخر من الخوف في قلوب البشرية جماء، بأنها لا تروع باستخدام كل ما لديها من أسلحة تدميرية بحق من يقف

**أمام مصالحها وأهدافها في المستقبل، وأنها تدوس على كل شعاراتها التي تطلقها في السلام وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير وغيرها أمام أطماعها ورغباتها.**

\* صور من الإرهاب الأمريكي ضد العالم

نذكر فقط بعض العمليات الإرهابية، التي مارستها الولايات المتحدة في المنتصف الثاني من القرن العشرين، فمن أعمال الإرهاب الأمريكي في القرن العشرين، محاولة غزو كوبا، فقد شكلت المخابرات المركزية الأمريكية عصابات من المرتزقة الكوبيين، ودررتها على الأسلحة، وقدمن لها كل الدعم، ل تقوم بغزو كوبا، وإسقاط نظام كاسترو فيها. وفعلاً في 17 نيسان 1961، قامت تلك العصابات بغزو الجزيرة الكوبية، وخاضت مع القوات الكوبية المدافعة معركة كبيرة، سميت يومها معركة خليج الخنازير، حيث فشلت تلك المحاولة الإرهابية، وأسر فيها ما يقارب 1500 أسير.

كما قامت القوات الأمريكية بغزو جزيرة غرينادا في عام 1983، تحت ذريعة قيام حكومة موالية للسوفيت وكوبا فيها، بعد أن كانت الجماهير أفشلت الانقلاب، الذي أعدته المخابرات المركزية الأمريكية ضد رئيس حكومتها موريس بيشوب في 12/10/1983، وأطلقت الجماهير رئيسها من قبضة الانقلابين. فدخلت القوات الأمريكية المسلحة بعد فشل الانقلاب إلى الجزيرة لتغير حكومة منتخبة من الشعب بالرعب والارهاب، ومن ثم تقوم بإعدام زعماء السلطة التشريعية في عام 1985، لتنهي أيأمل للشعب بالحرية، ولتحكم قبضتها الإرهابية على هذه الدولة الصغيرة.

وعملت الولايات المتحدة بكل الوسائل التأmerية والتخربيّة من أجل إسقاط أنظمة ديمقراطية أو أنظمة اشتراكية في العالم عامة وأمريكا اللاتينية خاصة، من خلال مساندة ودعم انقلابات عسكرية، أو وحدت حكاماً ديمقراطيين، عاثوا في بلادهم فساداً وارهاباً وقتلوا. ومن الأمثلة على ذلك تدخلها العسكري في الدومينيكان في 28 نيسان عام 1965 لمنع القوى الاشتراكية من استلام السلطة. وساهمت بشكل فعال في إسقاط الحكومة الشعبية في تشيلي، وكانت وراء مقتل مئات المناضلين من التشيليين ومصرع الرئيس التشيلي المنتخب سلفادور اللنبي، ودمعت بقوة النظام العسكري الاستبدادي في ذلك البلد. وساندت ودررت وسلحت عصابات إرهابية في أمريكا الوسطى مثل عصابات الكووتيرا لإسقاط الحكومة الثورية في نيكاراغوا، وغزت بنما وألقت القبض على رئيسها نوريغا وأودعته في سجونها.

وفي حربها الشعية في فيتنام، والتي امتدت من أواسط السبعينيات في القرن العشرين وحتى نهاية السبعينيات منه، فقد مارست كل أشكال العنف والإرهاب بحق الشعب الفيتنامي، الذي قاتل من أجل الحرية وتوحيد البلاد، وتحرير جنوب البلاد

من الغزاة الأميركيين. فاستخدمت الولايات المتحدة كل ما تملك من أسلحة ضد هذا الشعب العظيم المكافح، لمنعه من تحقيق أهدافه المشروعة. وألقت قنابلها بمختلف أنواعها على كل حزء من فيتنام الشمالية، وقدرت كمية ما ألقي عليها بحوالي طن من القنابل على كل دونم من أرض فيتنام.

ولم تتورع من استخدام القنابل الكيماوية والجرثومية والنابالم وكل الأسلحة المحظورة في العالم في حربها ضد بلد صغير كفيتنام محدود الموارد، حين حرقت مئات الآلاف من الهكتارات المزروعة بالأرز والمواد الغذائية، وهو جمت قرى صغيرة وآمنة، وأبيدت على بكرة أيها دون ذنب يذكر، وتم ذلك من أجل خلق حالة من الإرهاب والرعب والخوف في قلوب الفيتนามيين المناضلين لتحرير بلادهم من سيطرتها.

وخلال حرب الخليج الأولى أسقطت قواتها البحرية طائرة إيرانية مدنية عام 1988 في مياه الخليج دون أي سبب يبرر تلك الجريمة، فقتلت العشرات من ركابها. وصفت بطائرتها الحربية القصر الرئاسي الليبي في بنغازي. وساندت ولا زالت حركة التمرد في السودان أمثلة لها كثيرة في العالم.

وردت الولايات المتحدة على أحداث نيويورك وواشنطن بحملة ضد العرب والمسلمين، أسمتها في البداية الحملة الصليبية على الإرهاب، كما ورد على لسان جورج بوش الابن، ثم تغيرت العدالة المطلقة أو غيرها من التسميات الأخرى، ولم يخف السيد كولن باول وزير الخارجية عن مخطط استعماري جديد للمنطقة، حين أعلن يوم الجمعة 7/2/2003 (أن بعد الحرب على العراق، سعيد ترتيب منطقة الشرق الأوسط وفق مصالحنا) (5).

ومن الإرهاب الممارس كانت ضروريات المصالح في أفغانستان تتطلب إزهاق أرواح مئات الأفغان الأبرياء ومن جنسيات أخرى، وفق العرف الأميركي، ومورس الإرهاب بشكل تعجز عنه عصابات المافيا، كما حدث في قلعة جانجي قرب مدينة مزار الشريف الأفغانية، فتم ذبح أكثر من خمسمائة أفغاني وعربي وباكستاني وشيشاني خلال ثلاثة أيام (26 و 27 و 28 تشرين الثاني 2001) من خلال القصف الجوي للطائرات الأمريكية، وقف أرضي مع وإدخال حيش الشمال المتحالف مع الولايات المتحدة وبريطانيا بقيادة إرهابي كبير الجنرال الأميركي دوستم.

والإرهاب الأكبر كان وما زال هو ما تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من دعم مطلق مادياً وعسكرياً وسياسياً للكيان الصهيوني، الذي يقود إرهاباً منظماً تحت أبصار العالم وأسماعه ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة، وهذا الدعم كان منذ أن تواجدت عصابات الصهاينة على أرض فلسطين. فإن صناعة ودعم الإرهاب الصهيوني يدعم الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة، وحده يحتاج إلى كتاب ذو مجلدات ضخمة.

الولايات المتحدة دولة الإرهاب المنظم، منذ النشأة الأولى وحتى تشكلها واستقلالها، ولأنزال منذ بداية القرن التاسع عشر، تنشر الخوف والتسلط في العالم، وتنهب وتسرق ثروات الشعوب، وتغتصب أراضيهم، وتصادر حرياتهم، وإرادتهم في تقرير مصيرهم، وتوجه قدراتهم. فهل هناك إرهاباً أشد من إرهاب أمريكا وأبشع؟.

كتب ستيفان فاخوفياك الكاتب البولوني في مجلة (بجاسك) البولونية: (الولايات المتحدة مافيا كبيرة تنفذ منذ قيامها، أي أكثر من قرنين خططها المتزايدة العدوانية والناجمة عن مذاهب مصممة بهدف غزو العالم: إمبراطورية عالمية يحكمها مختارون عمييون من (بناء العالم)(6).



## \* الفصل الرابع

# لماذا يصنع الإرهاب الإسلامي؟

ظاهرة ما يسمى بالإرهاب الإسلامي، التي اخترعَت منذ ما يزيد على عقد من الزمان، وأمست بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 مركز اهتمام الدوائر السياسية والأمنية والإعلامية في العالم، وتحتل تلك الظاهرة أبرز فقرات الخطاب الرئيسي لقادة دول العالم الغربي والشّرقي، وتکاد لا تخلو منه صحيفَة أو نشرة أخبار في أيّة وسيلة إعلامية في كل أنحاء المعمورة، وترتفع أطنان من أوراق البحث والدراسات عن تلك الظاهرة وخطورتها على تقدُّم وحضارَة العالم، كما تتواجدُ الكثير من الواقع على الانترنت المتعددَة عن تلك الظاهرة.

وبالعودة إلى حذورِ تكوين ظاهرة ما يسمى بالإرهاب الإسلامي، سيدِّد الباحث أو القارئ إن جذوره كانت صناعة غربية. وأن للولايات المتحدة الريادة في تصنيعه منذ أكثر من خمسين عاماً، لمواجهة حركة النهوض القومي العربي التحرري في بداية الخمسينيات من القرن الماضي وخاصة في منطقة وادي النيل والمشرق العربي، بغية إجهاضه، ومنعه من تحقيق أهدافه التي تتصادم مع المنشروعين الغربيين الأمريكي والصهيوني العالمي. ومن أجل خدمة مصالح الولايات المتحدة وعلى رأسها استمرارية الهيمنة على النفط والموافع الاستراتيجية في الشرق الأوسط، ومنع الخصم السوفيتي من الدخول إلى المنطقة، والهدف الرئيسي الثاني حماية الكيان الصهيوني، الذي يعتبر الولاية الأمريكية المدللة في الشرق الأوسط.

ففي عقد الخمسينيات من القرن الماضي تم من قبل الولايات المتحدة استخدام الإسلام شعاراً تصليلاً في مواجهة المدّ القومي التحرري للهيمنة الإمبريالية، والذي رفع شعار بناء وحدة الأمة العربية، وتحرير الشروة العربية من الاستغلال النهبي من الشركات الغربية، وبالعمل لبناء قوة عربية تواجه التحدي الصهيوني المدمر للنهوض والتحرر العربين. فشجعت تنظيمات وحركات ذات شعارات إسلامية،

ودعمت، وحمت أنظمة موالية لها، ترفع شعار الإسلام، وحرضت تلك التنظيمات والدول على الدخول في صراع مريء مع أنظمة وأحزاب قومية حاكمة، لأشغالها ومنعها من تحقيق أي من أهدافها، التي أشرنا إليها. ومع الأسف كانت بعض تلك الصراعات والمواجهات عدائية ودامية أحياناً مع قوى ودول وتنظيمات قومية وماركسيّة وعلمانية تحت شعارات التكفيري والإلحاد. حتى غداً الصراع مع العدو الصهيوني الرئيس ثانوياً أمام تلك الصراعات، التي استمرت ما يقارب من نصف قرن، ولم تدرك القوى الوطنية والقومية والإسلامية مدى المخطط الأمريكي في تأجيج هذا الصراع إلا في وقت متاخر مما أضع من العديد من الفرص لصالح الوطن والأمة.

ورفعت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية شعارات مضللة خدمة في صراعها مع المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي، ومنها التحالف من أجل مواجهة (الشيوعية أو المد القومي أو المد السوفييتي)، وغيرها من الشعارات التي تدعو إلى تحالف مع القوى الإسلامية ضد الشيوعية الملحدة في مرحلة الخمسينيات، أو التحالف أو التعاون لإسقاط الحكومات القومية كالناصرية والبعثية، واستمرت تلك الشعارات حتى بعد سقوط المد القومي التحرري بعد هزيمة 1967 حتى عام 1990. وإلى عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

ونتج عن ذلك الصراع أخفاقات كبيرة للمشروع القومي العربي الهضبي، وانتكاسات كبيرة في الخطط التنموية لمعظم البلدان المناوئة للولايات المتحدة، ونشر الثقافات التصارعية بين المذاهب والأديان، مما خلق خلخلة في النسيج القومي، الذي تشكل خلال النضال القومي، والوطني الشعبي من أجل الإسقاط القطري، أو النضال من أجل التوحد القومي في الصراع مع الصهيونية ومشروعها الاستيطاني في فلسطين، وما يشكله من خطر كبير على الأمة العربية ونسجها الاجتماعي.

#### \* خلفية صناعة الإرهاب الإسلامي

من ينظر اليوم إلى خارطة العالم، ويدقق في مناطق بؤر التوتر والحروب والدمار، يجد معظمها في المناطق التي يسكنها المسلمون بدءاً من الصحراء في المغرب العربي والجزائر غرباً، وانتهاءً بإندونيسيا شرقاً، مروراً طبعاً بالسودان وفلسطين والصومال والعراق والباكستان والبوسنة وكوسوفو وألبانيا والشيشان ومناطق الاتحاد السوفييتي السابق وأفغانستان وكشمير. ويتساءل لماذا؟

ومن يبحث من خلال الأبواب الخلفية عن أسباب وغاييات هذا التوتر، سيجد أولى تلك المسببات حرب اليمنية على ثروات تلك البلدان وفي مقدمتها النفط والغاز والموقع الاستراتيجي. ويعرف أن الأصوات الأمريكية، هي التي تحرك أدوات الصراع كدمى مسرح العرائس. وينخذ هذا الصراع آلواناً بين قوميات

مختلفة، أو ديانتين، أو نزاع حول حدود، أو نزاع بين قوى علمانية وقوى دينية، أو صراع عشائري، أو حركة ضد نظام حكم.. إلخ من أشكال الصراع.

لكن بعض مفكري الغرب المؤمنين بصدام الحضارات، يعانون أن تلك الصراعات هي في جوهر الإسلام، الذي يرفض الآخر ولا يستطيع العيش معه بسلام. يقول المفكر الغربي صموئيل هنتغتون مروج نظرية صدام الحضارات: (في كل هذه المناطق العلاقات بين جماعات المسلمين وشعوب حضارات أخرى - الكاثوليك، البروتستانت، الأرثوذكس، الهندوس، الصينيين، البوذية، اليهودية- كانت عامة علاقات عدائية معظم هذه العلاقات كانت علاقات عنفية إلى حد كبير في الماضي، والعديد منها كانت علاقات عنفية في التسعينيات. وعلى طول محيط الإسلام، المسلمين لديهم مشاكل للعيش بسلام مع غيرائهم<sup>(7)</sup>).

وقد برهنت الأحداث التي جرت في ساحات إسلامية وعربية أكدوا أن الصدام فقط بين الإسلام والمسيحية على أساس ثقافية دينية، فكثير من الصراعات كانت بين أبناء ديانة واحدة ومذهب واحد خدمة لمصالح الداخل والخارج معاً. فالصراع الدامي منذ عام 1991 في الجزائر، بين أبناء وطن واحد، وديانة واحدة، وحتى مذهب ديني واحد، هذا الصراع الذي أليس ليأساً إسلامياً من يراجع ملفاته وأسراره، سيجد خلفه الولايات المتحدة، التي سعت منذ استقلال الجزائر إلى طرد فرنسا من منابع الغاز الجزائري.

وتلعب المخابرات المركزية دوراً خطيراً في تحرير اللعبة الدامية في الجزائر، وليس غريباً إن وجدنا أصوات للموساد الصهيوني، يشارك في تلك اللعبة القدرة بهدف النيل من الكعكة النفطية الجزائرية، وإلى تصفية الحساب مع الجزائر، التي شكلت ثقلاماً في الصراع العربي / الصهيوني منذ استقلال الجزائر في السبعينيات والسبعينيات وحتى الثمانينيات مغرياً. ومثل بسيط نسوقه هو ما حدث في الجزائر بتغير سيارة مفخخة في حي شعبي في العاصمة الجزائرية قبل عبد الفطر السعيد، وذهب ضحيته العشرات من المدنيين البسطاء دون أي ذنب. لاليأس الإسلام حربة الحدث، فكيف يتبنى الحادث أنور هدام باسم جبهة الإنقاذ الإسلامية، في بيان يصدر من الولايات المتحدة، حيث هو يقيم لاجئاً؟ في حين تنفيه قيادة الجبهة في الجزائر. وحين تبحث عن شكل الانفجار وطريقة تنفيذه، لوجدته لا يختلف عن الانفجار الذي قام به المخابرات المركزية في بيروت في الحي الشعبي في بئر العبد في بيروت قبل شهر من الحادثة المذكورة!!<sup>(8)</sup>.

#### \* الصناعة والتدريب والتمويل للإرهاب.

لعبت المخابرات المركزية دوراً هاماً في تصنيع ما تسميه الإرهابيين المسلمين في أفغانستان، سواء من تنظيمات أمراء الحرب في الحقبة السوقية، أو في عهد الرئيس الأسبق نجيب

الله الشيوعي، وحتى بعد انتهاء الحكم الشيوعي، كان للولايات المتحدة وجهازها المخابرات سي. اي. اي له الدور في بناء تلك التنظيمات، وتدريبها وتسويتها، بما فيها ما يسمى بتنظيم القاعدة. ويقول نعوم تشومسكي عن التنظيمات التي تشكلت أثناء الاحتلال السوفييتي لافغانستان، والتي أطلق عليها (المجاهدون المسلمين) : (أني لم أشك لحظة، في أن هذه المجموعات نظمت بواسطة المخابرات المركزية والمخابرات الباسكتانية والمصرية وحلفاء آخرين للولايات المتحدة. وهم منظمون ومجتهدون ومدربون ومسلحون لخوض معركة مقدسة ضد الروس، والتي خاضوها بالفعل. ولكنهم بدؤوا مباشرة بأعمال إرهابية منذ 20 سنة، حين قاموا باغتيال الرئيس المصري. ومنذ ذلك الحين هم يقومون بأعمال إرهابية. وإن المجموعة التي نظمتها المخابرات المركزية، تم تشكيلها من المجموعات الإسلامية المتطرفة الراديكالية، والتي كان لديهم أعمال خاصة بهم. قاموا بما طلبه منهم وكالة المخابرات المركزية(9)).

ويذكر الصحفي الفرنسي تيري ميسان أن ضابطاً مصرياً يدعى (علي محمد) انضم إلى الجيش الأمريكي، كلف من قبل المخابرات الأمريكية بتدريب تنظيم القاعدة ما بين أعوام 1988 و 1998 . وكان في نفس الوقت يأتي إلى الولايات المتحدة، ويقوم بتدريب الأعضاء الأكثر سرية في شركات الظل، وضباط القوات الأمريكية الخاصة.. ويقول أن أسامة بن لادن كان مستمراً في العمل لحساب السي. اي. اي حتى العام 1998 (10).

ويذكر مايكل واينز أن المخابرات المركزية الأمريكية بقيت على علاقات مع بن لادن وتنظيمه تنظيم القاعدة حتى بعد أحداث 11 أيلول 2001، حين استخدم هذا التنظيم في مواجهة وتدمير الروح المعنوية للجيش الروسي من خلال إلقاء الخسائر به، وأهانته، حتى تشرين الثاني 2001 . كما أن تنظيم بن لادن (تنظيم القاعدة) استخدم من قبل المخابرات المركزية في عام 1999 في مساندة ثوار كوسوفو ضد دكتاتور الصرب (11).

وأسامة بن لادن ابن أكبر الأثرياء السعوديين، وهو من أصول يمنية، بعد مقتل والده بحادث طائرات عام 1988 توزيع ثروته على أولاده، فكان نصيب ابنه أسامة ما يقدر بـ (300) مليون دولار (12). وظفها في إنشاء عدة مصارف وشركات زراعية وأعمال مختلفة كالمقاولات وبعض الصناعات مثل مصنع الأدوية، الذي ضربته الطائرات الأمريكية في السودان. كما وظف مع أخوه أموالهم في شركات كمجموعة كارليل في الولايات المتحدة، والتي أُسست عام 1987 . ويبلغ رأسمالها (12) مليار دولار، وتدبر شركات سفن آب، وهي تحتل المرتبة الحادية عشرة بين شركات التسليح الأمريكية. وساندت حملة بوش الأب في عام 1990 في حملته الانتخابية الرئاسية.

ولها علاقات واسعة مع أسرة بوشن، التي تملك شركات نفطية في تكساس. وهذا يبين مدى العلاقات الحميمة السابقة بين الطرفين، قبل الانفصال الذي بدأ بعد الغزو العراقي للكويت في 2 آب عام 1990، كما تتحدث بعض المصادر.



## \* الفصل الخامس

# التصوير المشوه للإسلام

إن الهجوم الإعلامي الغربي والشرقي المكثف على الإسلام والمسلمين في كل أنحاء العالم وفي الغرب وخاصة، بغية خلق صورة مشوهة في أذهان العالم أنظمة وشعوب عن الإسلام على أنه فكر جامد، رافض للحضارة والتقدم التكنولوجي والتطور العلمي، يقوم على الاستبداد، ويعادي الديمقراطية، يحبذ الرق، واضطهاد المرأة، فيمنعها من المشاركة في الحياة المدنية والسياسية والإدارية، ويسلبها حرية القرار والاختيار. وإن الدين الإسلامي يحرض على القتل والإرهاب والتدمر، واستباحة دماء من يخالفونه. وبصور المسلمين على أنهم يشنّون في بيئات جاهلة عنيفة، تقوم على حب القتل، وتصدير الإرهاب، ومعاداة الحداثة والتطور. وكراهية الغرب لديمقراطيته، ولما وصل إليه من حضارة وازدهار اقتصادي واجتماعي.

تلك هي صورة الإسلام التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي الصهيوني للفرد الغربي في أمريكا وأوروبا من قبل أعداء الإسلام. ولا بد من سؤال يدور في ذهن كل عربي ومسلم، لماذا هذه الحرب التشويهية على الإسلام؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نتعرّف على أغراض وأهداف وغايات مطلقي هذا الافتزاء البشع على الإسلام. فنرى إن الغرب الصهيونية هما اللذان يقودان الحملة العدائية على الإسلام، والسبب أن لكل منهما تصفية حساب مع الإسلام والعروبة. فالمنشروعان الصهيوني والغربي الأميركي في المنطقة العربية، يلقيان مقاومة عنيفة من قبلعروبة، والإسلام، وصعوبة في نهب الثروة والأرض والحقوق من قبلهما، إذن لا بد من محاربتهم، وتشويه صورتهم في العالم، بغية خلق جبهة من قوى عالمية لها مصالح في المنطقة ضد العروبة والإسلام. والتشويه إحدى الأسلحة المضادة للعروبة والإسلام. فالتشويه بدأ منذ عام 1991 بصورة لا سابقة لها. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي مباشرة، حين ظهر ساسة ومفكرين

غريين وخاصة في الولايات المتحدة حين قال الرئيس جورج بوش بعد سقوط الاتحاد السوفيتي: (إن خطر الشيوعية سقط ولم يبق إلا الإسلام الخطر على الغرب). وتداعت بعد ذلك الأقلام الصهيونية والمتصهينة في حملة عنيفة على الإسلام كرمز للإرهاب ومستودع له.

والحرب على الإسلام هو حرب على العروبة وكل المتنمرين إليها مسلمين ومسيحيين، فالإسلام إلى جانب كونه دين سماوي توحيدى، فإنه للعرب كان مشروعاً نهضوياً لاستعادة الحرية وتحرير الأرض العربية من الاستعمار الرومانى والفارسى والجيشى، وبناء دولة عظمى لهم، امتدت من أسوار الصين إلى تخوم باريس في القرون الوسطى.

والإسلام يقى الوعاء الفكري والتراشى والتاريخي، الذي حفظ الأمة العربية من الاندثار والتلاشى أمام اندفاعات الاستعمارية العسكرية والسياسية والفكرية كالصلبيين والمغول والترك والبريطانيين والفرنسيين والإيطاليين والصهاينة. فحافظ على اللغة العربية أمام تلك المحن القاسية، وأيقى روح النضال والمقاومة في نفوس العرب لمواجهة الغزاة والطامعين، واستمر يحرض على العلم والمعرفة على مدى الزمن رغم التجهيل المقصود من قبل المستعمرين.

إن الحملة الراهنة التي تشن على الإسلام تشوبهاً وافتراءً، ضمن مخطط معاد للإسلام والعروبة معاً، يرسم هذه الخطط أعداء لكتلهم، سواء أكانت حكومات أو مؤسسات غربية وصهيونية. وأن كان لكل واحد أهدافه وغاياته، وأن كان هناك اختلافاً في الصور والأشكال، إلا أنها واحدة في المضمون. ويقاد بجمعهم سقف دائرة تأميرة واحد في المشاركة والتنفيذ.

مع العلم أن العداء وحملات الافتراء على الإسلام والعروبة، ليست وليدة هذه الأيام، بل بدأت منذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية. ومنذ أن بشر، ودعا إليها الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة، واستمرت إلى يومنا هذا. وسيبقى الحملات العدائية والمغرضة مستمرة، ما دام الإسلام قائماً، من قبل كل المتضررين من فكره وعقيدته ومنهجه، والسلوكيات التي يدعوا لها.

#### \* نظرية صدام الحضارات والإسلام.

منذ الصدام الأول في القرن السابع الميلادي بين الإسلام والإمبراطورية البيزنطية في البدايات الأولى لظهور الإسلام، يلاحظ استمرارية الحملات الفكرية والإعلامية والعسكرية الغربية على الإسلام حتى يومنا هذا. على الرغم من المحاولات المتكررة للحوار والتبادل الثقافي بين الإسلام والغرب، التي بدأت في عهد هارون الرشيد في رسالة الحوار مع الإمبراطور شارلمان، وأن كانت متقطعة في أثناء الوجود العربي في الأندلس، أو من خلال المبادرات الثقافية منذ القرن التاسع عشر

إلى يومنا هذا.

إلا أن عقلية العداء للإسلام لا زالت تبرز جلية عند أول اختلاف بين العرب والمسلمين من جهة، والغرب الأوروبي والأمريكي من جهة أخرى، أو ظهور تباين في المصالح والأهداف. حتى تقادم أن تشغل لدى العديد من المثقفين العرب والمسلمين قناعة، بأن الغرب وقادته على مر العصور، لا يمكنهم أن يروا الإسلام على حقيقته، كداعية للسلام والأمن والمساواة والتعاون بين الشعوب والأفراد، أو بوجهه الحضاري من خلال القيم والسلوكيات ينادي بها، ويفرضها على اتباعه.

ولا أريد في هذه الدراسة استعراض كافة الحملات المعادية للإسلام، بل نستعرض الشكل العدائي الجديد بما يسمى (صدام الحضارات). وتأتي في مقدمتها أطروحة (صدام الحضارات) لصموئيل هنتغتون المفكر اليهوديالأمريكي، الذي يحتل مكانة رفيعة في مجال العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية في أمريكا والغرب. حيث أحديت هذه الأطروحة صحة واسعة في الوسط الفكري العالمي، ومنها الوسط الفكري العربي والإسلامي. لما حملته من أفكار وأراء تجاه حضارات العالم، ومواقفها المستقبلية من الحضارة الغربية المتمثلة بوجهها الأمريكي.

حيث اعتبر هنتغتون في أطروحته، أن السياسة بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، ارتبطت بالثقافة. وإن الخلافات القادمة لن تكون إيديولوجية وأقتصادية بل ثقافية. لأن شعوب العالم بعد سقوط الإيديولوجيات حسب اعتقاده، ستبحث عن انتماها الحضاري التاريخي، كهوية لها.

وبسبب هذا الانتفاء للماضي الحضاري، يعتقد هنتغتون أن السياسة الدولية ستشهد صراعاً حضارياً، بين حضارات ثمان هي في اعتقاده ينقسم العالم حولها، وهي حضارات: الغربية والصينية والإسلامية والهندية واليابانية والسلافية الأرثوذك司ية والأمريكية اللاتينية والأفريقية.

وما يهمنا ما كتب عن الإسلام وحضارته واحتمالات الصراع معه، فيرى هنتغتون أن أسباب ظهور الصحوة الإسلامية، تعود إلى جملة من الأسباب الداخلية والخارجية. وأهمها هو تأكيد الذات، من خلالأخذ المسلمين بالحداثة، ورفض الثقافة الغربية، واعتبار الدين من خلال سلوكياته وقيمه هو الموجه للحياة.

ويرجع أسباب عودة المسلمين إلى دينهم إلى الفساد المنتشر في المؤسسات والركود الاقتصادي، وبروز الفقر فالذين من خلال ما يطرح من قيم سلوكية عالية، سيؤدي إلى معالجة تلك الأسباب.

ويبيّن في أطروحته أن الشعوب الإسلامية والآسيوية هي أكثر عداوة للغرب، طبعاً لا يتحدث عن جذور هذا العداء ومنتشره

التاريخي، وعن الظلم الذي حاصل المسلمين والآسيويين نتيجة القهر والاستبداد الاستعماري الأوروبي والأمريكي. ولا إلى التدمير الثقافي والاقتصادي، وزرع الكيان الصهيوني السرطاني، الذي يستنزف كل قواهم المادية والروحية، بل يعود به إلى الثقة بالنفس، والقيم لدى الشعوب الإسلامية والآسيوية. لهذا يحذر الغرب من خطر التنامي العسكري المتتطور لدى الصين والبلدان الإسلامية عليه، بل يحذر من تعاون أكيد بين الحضارات الإسلامية والكونفوشيسية ضد الحضارة الغربية.

وبعد أن يحذر من النمو الديمغرافي للمسلمين، الذي سيؤدي بالشباب إلى تكوين مجموعات عنيفة ومتطرفة، يقوم بتحذير الغرب من هذا الخطر الديمغرافي، الذي سيدفع بالشباب المسلم إلى الهجرة إلى بلاد الغرب الأوروبي والأمريكي، والخطورة على حضارة الغرب هنا، هو ما يحملونه من قيم حضارة إسلامية معادية لتلك الحضارة.

ويسوق هاتنعتون جملة من الأكاذيب والافتراءات، فيدعى أن الإسلام محرض للعنف وسفك الدماء. ومن هذه القاعدة الكاذبة، اعتبر المسلمين متورطين في أعمال العنف أكثر من كل شعوب الحضارات الأخرى. ويسوق تبريراً كاذباً لمسبيات وجود العنف والارهاب لدى المسلمين، هي صعوبة اندماجهم مع شعوب الحضارات الأخرى، وإلى التزايد السكاني الكبير. وعلى هذا يبني مقولته بأن الإسلام مصدر عدم الاستقرار في العالم.

ويشارك هاتنعتون في الزفة الإعلامية الكبرى المضادة للإسلام، عدد كبير من المفكرين وأساتذة المسلمين الغربيين، ويجري استخدام معظم وسائل الإعلام في الغرب والكيان الصهيوني، ترتكز على تخويف الغرب شعوباً وأنظمة من إرهاب إسلامي محتمل مستقبلاً. على اعتبار أن الإسلام دين عنيف، يصدر الإرهاب والرعب. لهذا لا يمكن التعايش معه، ومع المنتسبين إليه سواء كانوا في بلاد الإسلام، أو من هاجر منهم إلى الغرب.

ونستعرض آراء مفكر غربي آخر يدعى الدكتور جاك أتالي، وهو عالم اقتصاد ومفكر فرنسي معروف، حيث يرى أنه لا زالت أوروبا منغلقة على الإسلام، على اعتبارها نادياً مسيحياً يهودياً.

والسبب أن الأوروبيين لا يزالون يجدون صعوبة شاقة في معرفة الإسلام، على الرغم من وضوح الإسلام، وليس لديه أسرار كهنوتية، أو طلابيّم تقتصر معرفتها على حفنة من رجال الدين، كما هي بعض الأديان، فقرآن الإسلام، وأحاديث نبيه عليه الصلاة والسلام، واجتهادات فقهائه منتشرة، إلا أنها نرى هذا الباحث والمفكر يعتبر معرفة الإسلام كمن يكتشف قارة كأمريكا مثلاً. حيث يقول: (وما زلنا في أوروبا نحاول اكتشاف الإسلام، كما فعلنا مع أمريكا. وأكتشاف الإسلام يصاهمي اكتشاف أمريكا في صعيده).

بل ويؤكد أن اندماج المسلمين الفرنسيين والمهاجرين المسلمين ممن يحملون الجنسية الفرنسية بالفرنسيين من

المسيحيين وغيرهم، لا تزال صعبة وشبه مستحيلة فيقول: (.. هذا الاندماج مسألة صعبة للغاية.. بل شبه مستحيلة.. هذا واقع.. فعلى حد علمي لا يوجد مسلم واحد من الحكومة الفرنسية، ولا يوجد مسلم في البرلمان الفرنسي، ولا يوجد مدير شرطة مسلم، وأن كان هناك بعض المديرين من أبناء المهاجرين الجزائريين الذين انضموا إلى الجيش الفرنسي. كما لا يوجد في فرنسا مسلم رئيساً لجامعة أو مركز أبحاث كبير. وهكذا يتضح أن المدينة الفاضلة هي كذبة على النطاق الدولي)(11).

ولا يعالج السبب الحقيقي في عدم وصول مسلم فرنسي في الحكومة أو البرلمان، فهو يعلم أن حرباً ضروسًا ضد المسلمين سواء من كانوا من الفرنسيين أو المهاجرين المفترضين. رغم أن عددهم يسمح لهم بأن ينالوا ربع المقاعد، وأن يمثلوا في البرلمان. إلا أن الحرب المكشوفة ضد الإسلام والمسلمين تمنع ذلك، فما معنى محاولة سجن روجيه غارودي، ومضايقة وعزل المطران الفرنسي الذي ناصره.

ويبيّن جاك أتالي أكذوبة الادعاء الأوروبي عامه والفرنسي خاصة، بأن الغرب واحدة الديمocrاطية، فيوضح بأنه لا يزال المسلمون في فرنسا، يعيشون في ضواحي المدن، التي لا تتوفر فيها المدارس الكبيرة، ولهذا تقل فرص التعليم لأطفال العائلات المسلمة، التي تسكن الضواحي عن غيرهم في المدن 22 مرة. ويقول أيضاً أنه لا زالت هناك صعوبة كبيرة لاندماج المرأة المسلمة في فرنسا.

ويشير المفكر الفرنسي جاك أتالي إلى نظرية أنجلوساكسونية، التي تؤكد ما جاء به صموئيل هاتنغتون، وهذه النظرية: (تدعوا إلى رؤية العالم بعد نصف قرن من الزمان. إن أوروبا تشكل اليوم 4% من سكان الأرض، وعدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية لا يزيد عن ذلك. إذن فإن عدد سكان أوروبا وأمريكا معاً أقل من 10% من سكان كوكب الأرض. بينما يمثل عدد سكان الصين من 10 إلى 15% من سكان الكوكب. وطبقاً لحسابات التعداد يتراوح عدد المسلمين ما بين 20 إلى 45% أي حوالي ثلث سكان الأرض. وهذه النسبة ستكون خطرة على الغرب أن تمكناً من التحالف مع الصينيين ليشكلوا بعدها الغالبية السكانية في العالم).

لذلك يدعو علماء المستقبل في الولايات المتحدة وأوروبا إلى ضرورة التحالف اليهودي المسيحي، ويستذكر هؤلاء العلماء الوحدة السياسية الأوروبية، لأن الوحدة بالنسبة لهم، هي وحدة العالم الغربي كلها.

.. ويؤكد هؤلاء العلماء، على ضرورة أن يعمل الأوروبيون والأمريكيون معاً في هذا الإطار، من أجل التصدي لهذا التهديد الخارجي، ويصبح بذلك العدو هو تحالف الإسلام والصين كقوة عظمى..)(12).

هذه النظرية المعادية للإسلام في المحتوى والشكل مؤسسة على الكذب والتحريض، فصناعها يعلمون علم اليقين، أن الإسلام لا يشكل كتلة واحدة داخل دولة أو إمبراطورية واحدة كالأمة الصينية، والمسلمون يتواجدون في كل أنحاء العالم. وتختلف نسبة وجودهم في تلك الدول ما بين الغالبية المطلقة إلى مجموعة من الأقليات. والغالبية العظمى من الدول ذات الغالبية السكانية من المسلمين دول علمانية، لا تشرع دساتيرها وفق الشريعة الإسلامية، والنظام القائم فيها نظام علماني، بل دول تسير وفق التقليد المنهجي السياسي والقانوني الغربي.

فأين الخوف الذي يأتي من الإسلام على الغرب كما يدعى صناع صدام الحضارات؟

وما يطرونه من خطورة الإسلام على الغرب، ما هو في حقيقة الأمر لا يعدو إلا مخبل وهمي زرعته القوى المعادية للإسلام وفي مقدمتها الصهيونية، تستهدف منه نشر الخوف والرعب لدى الغربيين من عدو تم تحضيره من بطون تاريخ القرون الوسطى، ليسهل هضمه وتسويقه إلى الشعوب الغربية، بعد أن تمت صناعته في مطابخ دوائر مؤسسات بحثية غربية متصهينة، تعذيبها مادياً الصهيونية لأهداف معادية للإسلام وعقيدته.

#### \* من أين يأتي الخوف من الإسلام؟

يأتي الخوف من الإسلام كما تصوره الدوائر المتصهينة من ازدياد انتشاره في الغرب على أيدي المهاجرين المسلمين، والذين يحتكون بالشباب الغربي فيؤثرون عليهم بسلوكهم، مما يؤدي إلى اعتناق العديد منهم للدين الإسلامي. وفي ازدياد اتباع الديانة الإسلامية في الغرب، تحرض الصهيونية والمؤسسات المتصهينة الغرب بخطورة أسلمة العديد من الشباب الغربي. وهذا ما يقرأ من خلال الابحاث التي يطرحها صناع صدام الحضارات، لنرى ما يقوله هنفتغتون من الخوف على الغرب من الإسلام من خلال المهاجرين من أتباعه: (الثقافة الغربية تتجدها جماعات في المجتمعات الغربية، ومن أحد هذه التحديات يأتي من المهاجرين من حضارات أخرى، والذين يرفضون ومستمرون في الارتباط مع قيم وعادات وثقافات مجتمعاتهم، هذه الظاهرة أكثر وضوحاً بين المسلمين في أوروبا، وكذلك تظهر بدرجة أقل بين الآسيان في الولايات المتحدة والذين يشكلون أقلية واسعة، إذا فشل الاحتواء، في هذه الحالة الولايات المتحدة ستصبح دولة متصدعة، بكل أمكانية الحرب الأهلية والذي سيتوالى فيما بعد. في أوروبا الحضارة الغربية يمكن أن تقوض بإضعاف مكونها الرئيسي المسيحية) (13).

#### \* لماذا التحريض على الإسلام والمهاجرين المسلمين؟ يأتي من التغيير المحتمل، فالغرب الذي أفلس روحياً،

وانتشرت فيه ثقافة السوق والديمقراطية ذات النمط الرأسمالي، التي تعتمد على الاحتكار، والغني الفاحش لطبقات رأسمالية محدودة العدد تملك ثروات هائلة، مع ازيد من ١٠٠ مليون فقراء والمتشردين، وارتفاع أعداد العاطلين عن العمل نتيجة لسماح للقوى الرأسمالية بتراكم الثروة لديها، من خلال السلوك الاستغلالي لشعوبهم تحت ذريعة الحرية الفردية المطلقة، وعبر نهب الشعوب في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

فماذا كانت نتائج تلك الثقافة المبنية على الاستغلال سوى ثقافة اللهو، والغناء والرقص، والإباحية والشذوذ، والانتحار وغيرها؟ والتي أنتجت فراغاً روحيًا. بدأ الشباب الأوروبي يبحث عن إملائه، ووهد الكثير منهم في الإسلام ضالته، فبدأت حركة وأن كانت بطيئة من اعتناق الدين الإسلامي، فظهرت في مدن غربية عدة المساجد والمراكز الإسلامية، وبدأ تتشكل المجتمعات الإسلامية في لوريا وأمريكا، وأن كان اعتناق الإسلام من قبل الأوروبيين قليل جداً، إلا أنه بدأ يؤرق مفكري وسياسي الولايات المتحدة وأوروبا. فبدأت أجراس التحريريين اليومي للمؤسسات المتصرّفة لمنع انتشار الإسلام.

لهذا تشكل نوع من التحالف بين اليساريين واليمينيين، ونوع آخر من التحالف بين مفكري الغرب المتصلحين على معاوقة الإسلام، إضافة إلى أنصار من أتباع المذهب الإنجليزي المتصلحين والمؤسسة السياسية والعسكرية اليمنية الأمريكية، والتي تمثلها اليوم إدارة الرئيس جو بايدن وديك تشيني وكوندليزا رايس ورامسفيلد وغيرهم من مالكي القرار السياسي الأمريكي.

كما أن خلق عدو جديد للغرب هو الإسلام، في تصور المؤسسة اليمنية في الولايات المتحدة، يؤدي إلى استمرارية قيادة أمريكا للعالم الغربي، ويبقى هيمنتها على شعوب العالم، وأنفراها كالدولة الأعظم في العالم، الذي تُرضخ السياسة الدولية وفق نهجها وإرادتها.

فيعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومعسكره، الذي كان يوحد قوى الغرب خلف الولايات المتحدة، وحدت الولايات المتحدة نفسها بحاجة ماسة لعدو يدلي للمعسكر السوفييتي، يبقى الغرب موحداً خلفها. لهذا خلقوا كذباً وافتراءً فكرة الخطر الإسلامي على الغرب، فلا بد من استمرارية التوحد لمواجحته. وجاء هذا الاختيار متوافقاً مع أهداف المشروع الصهيوني العنصري الاستيطاني، الذي يرى في العروبة والإسلام القوة الحقيقة في التصدي له وإجهاضه. فتوحد الصهاينة والمؤسسات الغربية فكرية وسياسية في صناعة ما يسمى بالإرهاب الإسلامي كل حسب ما يخدم أهدافه.

وهذا ما عبر عنه جورج بوش الأب في عام 1991 وكلا من المستشار الألماني ورئيس الوزراء الفرنسي مع سكرتير حلف شمال الأطلسي في عام 1995 بان الأصولية الإسلامية خطيرة

مثلاً كانت الشيوعية للغرب. وعضو في إدارة كلينتون أشار للإسلام بأنه خصم عالمي للغرب (14).



## \* الفصل السادس الصهيونية وحملة الافتراء.

ليس غريباً على اليهود بشكل عام، والحركة الصهيونية بشكل خاص أن يعادياً العربة والإسلام، وذلك مصادفة لقوله تعالى: ﴿لِتَجْدُنَ أَشَدُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِيَهُودٍ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾. بل الغرابة ستكون أن كان العكس من ذلك، فحينها لا بد من مراجعة. فإن مدح الصهاينة لهما يعني أنهم في وضع خاطئ، ولا بد من التصحيح. أما استمرارية حالة العداء، وشن حملات التشهير ضد الإسلام والعروبة من قبل اليهود والصهاينة، يعني أن الإسلام والعروبة هما في خير وعلى صواب.

وتعود أسباب الحالة العدائية إلى اختلاف وتصادم الأهداف والغايات بين الإسلام والعروبة من جهة، وبين اليهودية والم مشروع الصهيوني من جهة أخرى.

فالشريعة اليهودية من خلال توراتها وتلמודها، تعتبر كل البشر عدا اليهود هم بمستوى الحيوانات، إن لم يكن أقل. لهذا اباحت تلك الشريعة استباحة أموال غير اليهود وأراضيهم وأجسادهم وأرواحهم. بل من الواجب تنفيذ الاستباحة، بموجب قانون الاصطفاء الإلهي لهم من دون البشر، الذين اصطنعوه لأنفسهم من قبل إلههم، حين اختارهم شعراً خاصاً له من دون مخلوقاته.

وتم البناء السلوكي والإيديولوجي للمكون الثقافي والسيكولوجي للفرد اليهودي على مر التاريخ على قاعدة الاصطفاء والاختيار الإلهي. وجاءت الصهيونية كحركة عنصرية، لتترجم هذه القاعدة عسكرياً وسياسياً وثقافياً، في أربع أشكال العنصرية المقيمة في حق الأمة العربية عامة والشعب العربي الفلسطيني خاصة.

وليس العالم اليوم بحاجة إلى إبراد الشواهد على هذا القول، فكل يوماً تنقل وسائل الإعلام شواهد حية من تلك الممارسات العنصرية الإرهابية، التي تعطي أبيشع الصور للحقد والتسلط والتعالي والسحق المادي والمعنوي للإنسان

الفلسطيني، دون أي رادع أخلاقي وقانوني وإنساني. في حين أن الإسلام مغاير لهذه العقائد والسلوكيات، فهو يدعو إلى المساواة المطلقة بين البشر، دون النظر إلى الجنس أو العرق أو القومية على قاعدة القانون الإسلامي (الفرق بين عربي وعجمي ولا أبيض ولا أسود ولا أحمر إلا بالتقوى). ومن مقولته خالدة لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام: [الناس سواسية كأسنان المشط]. وبهدف إلى بناء عالم يشري أرضي، يسوده الحق والعدل والسلام، وعدم الإكراه في الاعتقاد الديني والمذهبي، وإلى التعايش المشترك وفق أداء الحقوق والواجبات على الفرد.

\* بنيامين نتنياهو يكتب عن الإرهاب الإسلامي!!!  
نورد هنا نموذجاً من الحملات التي شنتها الحركة الصهيونية على الإسلام، هو ما كتبه زعيم إرهابي ورئيس وزراء للكيان الصهيوني الأسبق بنيامين نتنياهو، وهو صاحب المجازر المعروفة عمّا اسماه الإرهاب الإسلامي، حيث ألف ثلاث كتب حول هذا الموضوع وهي:

- **الإرهاب الدولي:** تحد واستجابة، وقائع مؤتمر القدس حول الإرهاب الدولي. والذي صدر في عام 1981.
- **الإرهاب:** كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟. وصدر عام 1986.

- **محاربة الإرهاب:** كيف تستطيع الديمقراطيات هزيمة الإرهابيين المحليين والدوليين؟ وصدر عام 1995.  
ومعظم ما جاء في تلك الكتب كان تحريراً واضحاً للحكومات الغربية على الإسلام والعروبة، من خطر الإرهاب الإسلامي على أنظمتها الديمقراطية، وشعوبها، ومصالحها، لما يحمل من وسائل دمار وسلوكيات عدوائية وحقد حضاري.  
ويقدم نتنياهو في كتابه مجموعة من النصائح والوسائل لمواجهة ما زعمه من خطر الإرهاب الإسلامي. فهو يدعوه الولايات المتحدة الأمريكية إلى قيادة العالم الغربي، لشن حرب ضارية ضد المسلمين، ودعاه إلى استخدام قوتها العسكرية والاقتصادية والسياسية ضد المسلمين، إلى أن يرضخوا ويستسلموا لاتباع النمط السلوكي والثقافي والاجتماعي الأمريكي الصهيوني.

ودعا نتنياهو الولايات المتحدة والدول الغربية إلى أن تشمل تلك الحرب المسلمين في أوروبا وأمريكا. فهم في رأيه بؤرة خطرة لنمو الإرهاب ضد حضارة الغرب وأمريكا، وأن تركوا سيفسدون تلك الحضارة والديمقراطية التي انتجهما يزرعهم في داخلها مبادئ الإسلام وأفكاره الرافضة والمعادية لتلك الحضارة والديمقراطية.

ولا حاجة أن نقول أن ما أورده نتنياهو في كتابه من أكاذيب

وتزوير وقلب للحقيقة، بغية خداع العقل الفردي للإنسان الغربي مهما كانت مواقعيه، قالياً للحقائق، بحيث يغدو الضحية قاتلاً، وال مجرم الإرهابي الحقيقي ضحية، فبنيامين نتنياهو من زعماء التطرف اليمني الصهيوني ومن أشد زعماء الليكود عداءً للعرب والمسلمين وجرائمه معروفة ضد الفلسطينيين، حتى أن الشارع الصهيوني أسقطه في انتخابات 1999 نتيجة عدم القدرة على تحمل الرأي العام الدولي لسلوكيه ضد السلام والفلسطينيين.

وما كتب نتنياهو إلا جزء صغير من الحرب الصهيونية ضد العرب والإسلام، لطمس حريمة اغتصاب فلسطين، واقتلاع شعب من وطنه وأرضه، واستبداله بمحرم من صهاينة يهود من كل أنحاء العالم. وخلق ثكنة في المنطقة العربية مدحجة بالمرتزقة والقتلة والسفاحين والمزودين بأحدث الأسلحة والمدعومين من النظام الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، لتحقيق مصالح المشوّعين الصهيوني والغربي.

وفي العودة إلى كتب نتنياهو نجد فيها أيضاً تحريراً خلياً للكامن التاريخي في عقل الفرد الغربي من الموروث المعادي للإسلام، وتقديم الإسلام بصورة العدو الدائم للغرب وحضارته. وأن عدم اجتنائه من خلال توجيه ضربة قاصمة له، سيكون الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة في دائرة الخطر المميت، وسيكون الخطر الداهم أيضاً على مصالحه في منطقة الشرق الأوسط والعالم. ولا ينسى أن يلعب بمشاعره في الخطورة على مصالحه الحيوية، وخاصة النفط الذي يعتبر عصب الحياة للصناعة في الغرب.

ومن الكذب والتزوير الذي أورد نتنياهو ضد الإسلام في كتبه، ادعاؤه أن الإسلام يحمل إيديولوجية غير عقلانية، كالشيوعية التي تحمل إيديولوجية غير عقلانية. ولكن الاختلاف بينهما، أن الشيوعية ذات أسلوب عقلاً، في حين الإسلام ذات أسلوب غير عقلاً.

ولا بد من يتساءل لماذا التشبيه بين الإسلام والشيوعية؟ وكيف يكون أسلوب الشيوعية عقلاً، في حين ، الإسلام ذو أسلوب غير عقلاً؟

إنه الخبث الصهيوني التحريري المضاد للإسلام، حيث يعلم أن الغرب الرأسمالي وخاصة الولايات المتحدة، لا زال يحمل ثقافة العداء للشيوعية، التي خاض معها صراعاً عنيفاً امتد ثمانين عاماً في القرن العشرين، وانتهى الصراع بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومعسكره الاشتراكي، وبما سمي بنهاية الحرب الباردة عام 1991.

فالشيوعية خطر على النظام الرأسمالي، لما تحمله من عقيدة تغييرية شاملة لهذا النظام، فهي تدعو إلى إسقاطه وإيداله بالنظام الاشتراكي، الذي ينزع الملكية الخاصة لتحول إلى ملكية عامة. وتخالف الأساليب في التغيير لدى المنظومات الشيوعية من واحدة إلى أخرى. فمنها من يدعو إلى التغيير عن

**طريق الثورة أو الانقلاب المسلح العسكري أم المدني أو البرلمان أو التحالف.. إلى آخره من الأساليب والوسائل التغييرية المختلفة.**

فالشيوعية نظام وعقيدة مادية دنيوية، في حين الإسلام دين توحيد سماوي، يحمل عقيدة شمولية روحية ومادية، من قاعدة قوله تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ ومن قانون: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً).

عقيدة حملت في طياتها العدل والحق والتسامح والإنصاف، ونصرة المظلوم، وإشباع الجائع، ورد المظالم، والإحسان، وتحمية زوال الإنسان عن الدنيا والمال والجاه والبدن والنعمة، لهذا قرن بين الأيمان والعمل الصالح في معظم آيات القرآن الكريم، وسيكون هناك الحساب والجزاء في الآخرة، فلا يضيع عند الله عز وجل مثقال ذرة كانت خيراً أم شراً.

وفي الإسلام مبدأ السواسية بين كل البشر في العمل والتعامل مبدأ أساسى ورئيسى، إضافة إلى المودة والرحمة، وإغاثة الملهوف، واحترام الجار وتكريمه، دون النظر إلى انتتماه الدينى أو القومى أو العرقى. وأقر الإسلام الملكية الفردية، وحضر على كل معانى الخير والصلاح في الدنيا والآخرة. ونقبس هنا قولـاً للقائد الخالد حافظ الأسد: (الإسلام دين الحق والعدالة والمساواة بين البشر، وهو تكميل للدينـات السماوية، ونبراس للفلسـفات الكـبرى المطلـبة بالـعدالة للـبشر جـمـعـاءـ).

أما ما يقوله بنiamين نتنياهو، بأن الإسلام ذو أسلوب غير عقلاني فهو الكذب بعينه، وأفتراء بين لا يحتاج إلى دلائل. ويقصد في هذا القول، إن الإسلام يتبع وسائل الإرهاب والتروع والتخويف في نشر عقيدته، أو في مواجهته بما اسمـاهـ الـديمقـراـطـيـةـ الغـرـبـيـةـ على اعتبارـ الإسلامـ غيرـ دـيمـقـراـطـيـ.

فالـردـ علىـهـ إنـ الإـسـلـامـ هوـ الدـينـ وـالـعـقـيـدـةـ الـرافـضـةـ لـالـإـكـرـاهـ، وـفـرـضـ الـقـبـولـ بـالـدـعـوـةـ لـهـاـ، وـهـنـاكـ العـدـيدـ مـنـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ الـتـيـ تـبـيـنـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ، وـنـذـكـرـ مـنـهـاـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿لـاـ إـكـرـاهـ فـيـ الـدـيـنـ لـقـدـ تـبـيـنـ الرـشـدـ مـنـ الـعـيـ﴾ـ. وـيـقـولـ الـرـحـمـنـ عـزـ وـحـلـ: ﴿أـنـكـ لـاـ تـهـدـيـ مـنـ أـحـبـتـ إـنـ اللـهـ يـهـدـيـ مـنـ يـشـاءـ﴾ـ. وـعـدـيـدـ هـيـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ الـتـيـ تـرـفـضـ الـإـكـرـاهـ فـيـ دـخـولـ الـإـسـلـامـ.

فـالـأـسـلـوبـ الـذـيـ يـرـتـصـيـهـ الـإـسـلـامـ، وـيـؤـكـدـ عـلـيـهـ هـوـ الـإـقـنـاعـ وـالـحـوارـ الـدـيمـقـراـطـيـ مـنـ قـاعـدـةـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وـادـعـ إـلـىـ سـبـيلـ رـبـكـ بـالـحـكـمـةـ وـالـمـوـعـظـةـ الـحـسـنـةـ﴾ـ.

وـيـدـعـوـ إـلـىـ أـسـلـوبـ الـلـطـفـ وـالـسـمـاـحةـ وـالـتـسـامـحـ مـنـ قـاعـدـةـ ﴿وـلـاـ تـسـتـوـيـ الـحـسـنـةـ وـالـسـيـئـةـ﴾ـ. اـدـعـ بـالـتـيـ هـيـ أـحـسـنـ. فـإـذـاـ الـذـيـ بـيـنـكـ وـبـيـنـهـ عـدـاـوـةـ كـانـهـ وـلـيـ حـمـيمـ(15)).

ويرفض الإسلام بشدة قتل إنسان وزهق روحه، بدون سبب موجب له وهو المحدد في النص القرآني، فقتل إنسان مهما

كانت ديانته وعقيدته جريمة عظيمة عند الله عز وجل، كما ورد في التنزيل الكريم: ﴿.. من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً. ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً..﴾(١٦).

الدين السماوي الذي يرفض أن يقتل حيوان بدون مبرر، أو صيد حيوانات دون الحاجة لها، ويعلن رسوله عليه الصلاة والسلام عن امرأة دخلت النار بسبب هرة، فقط لأنها حبسها وماتت. وعن رجل دخل الجنة لسعادته كلياً عطشاناً. كيف يكون دين قتل وإرهاب وسفك دماء؟.

ونعود إلى كتب نتنياهو التي لاقت ترحيباً من السلطة الأمريكية، فيذكر في كتابه أنه استطاع بقناع الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان بخطورة الإرهاب الإسلامي على الولايات المتحدة الأمريكية والغرب الأوروبي. وبذكر إن الرئيس رونالد ريغان قرأ كتابه الإرهاب: كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟. عندما كان في طريقه لحضور قمة طوكيو حول الإرهاب. وبناء على توصياته تم اتخاذ إجراءات عسكرية ضد الدول الإرهابية، ومنها ضرب ليبيا عام

1986. وكانت حسرة نتنياهو جاءت من انفلات سوريا وإيران من العقاب الأمريكي بسبب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠.

ويقدم نتنياهو للغرب وصايا عشرة لمواجهة الإرهاب الإسلامي والحكومات الإسلامية الإرهابية. كما رسمت في عقل نتنياهو الصهيوني الحاقد وطبعاً هي سوريا وإيران ولibia والسودان، ولا غرابة أن تورد سنوياً هذه الدول في لائحة الأمريكية تحت اسم دول داعمة للإرهاب. - وتم تطبيقها حرفيًا من قبل إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠١- أما الوصايا العشر التي قدمها نتنياهو للغرب فهي:

- 1-فرض عقوبات على الدول التي تزود الدول الإرهابية الإسلامية بالأسلحة والتقنية النووية.
- 2-فرض عقوبات اقتصادية وعسكرية دبلوماسية على الدول الإرهابية.
- 3-تحديد معاقل الإرهاب.
- 4-تجميد الأرصدة المالية الموجودة في الغرب للمنظمات والأنظمة الإرهابية.
- 5-تبادل المعلومات الاستخبارية.
- 6-مراجعة التشريعات لإتاحة حرية أكبر للعمل ضد المنظمات الإرهابية.
- 7-المتابعة النشطة للإرهابيين.
- 8-عدم إطلاق سراح هؤلاء الإرهابيين.
- 9-تدريب قوات خاصة لمحاربة الإرهاب.

١٠- تدريب وتنوير وتوعية المواطنين بهذا الخصوص (١٧).



## \* الفصل السابع

### نظرية بوش على ما يسمى بالإرهاب (الحرب الاستباقية)

من يستمع إلى الخطاب التي يرددتها الرئيس الأمريكي جورج بوش وأعضاء حكومته اليمنية على ما يسمى بالإرهاب، والذي يكاد يقتصر على المسلمين وبلدانهم، وحتى في أماكن تواجدهم شرقاً أو غرباً. تلك الجملة التي انطلقت في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 قد شملت بلداناً إسلامية مثل العراق وسوريا ولibia والسودان وأفغانستان وإيران ومنظمات إسلامية تتواجد في بلدان إسلامية وغيرها. ومن تحليلات أهداف تلك الجملة وفق الرؤية الأمريكية التي اعتمدت على ما سمي بنظرية الرئيس جورج بوش الابن وأطلق عليها نظرية (الحرب الاستباقية) نرى:

- إن الرئيس جورج بوش يرى أن على الولايات المتحدة، أن تشن حرباً على بلدان تشكل تهديداً لأمن الولايات المتحدة، فهي تأوي، وتدعم ما أسماه بالإرهابيين، أو تقوم بتطوير أسلحة ذرية أو كيماوية أو بيولوجية تهدد بها الولايات المتحدة أو أنها سوف تقدمها لـ الإرهابيين قد يستخدمونها ضدها كحالة العراق، وأفغانستان أيام حكم طالبان.

-ويرى أن تستيق الولايات وقوع الحدث سواء ستحدث أو لن يحدث، من خلال حرب تسيطر فيه على هذا البلد الإرهابي وفق منطق بوش، وتقوم بدمير أسلحته، ومنعه من التهديد، ثم تقوم الولايات المتحدة من خلال جنودها بإعادة ترتيب هيكل البلد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بما يوافق المزاج والنمط الأمريكي، ليكون التابع المخلص لها.

يقول الرئيس بوش الابن: (لقسم كبير في الماضي كان الدفاع عن أمريكا يعتمد على مبدأ الردع والاحتواء في الحرب الباردة، وفي بعض الحالات يستطيع هذه الاستراتيجيات. لكن أخطاراً جديدة تستطلب تفكيراً جديداً، فالردع - أي الوعود بانتقام شامل ضد دول - لا يعني شيئاً ضد شبكات إرهابية مبهمة

حيث لا دول أو مواطنين للدفاع عنهمٍ والاحتواء غير ممكن، حينما يمتلك طفاة غير متوازنين عقلياً أسلحة للتدمير الشامل، يمكنهم إطلاقها بواسطة صواريخ، أو أن يزودوا بها سراً حلفاء إرهابيين لهم.. فإذا ما انتظرنا حتى تتحقق هذه الأخطار مادياً، فإننا سنكون قد أطلنا انتظارنا أكثر مما يلزم..(18).

وقد قدم الرئيس بوش توضيحاً لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديد، التي تعمد على نظرية (الحرب الاستباقية) في خطابه في 17/أيلول/2002. حيث أبرز خطورة التنظيمات الإرهابية على الولايات المتحدة من حيث سهولة الاختراق وأحداث الفوضى وتحقيق الهدف باقل التكاليف، فقال: (.. إن مهمة الدفاع عن وطننا قد تغيرت تغييراً كبيراً، فإن أعداء الماضي كانوا لا يحتاجون إلى حيوش كبيرة وأمكانيات صناعية هائلة لتهديد أمريكا. أما الان فإن الشبكات المشبوهة من الأفراد بإمكانها إحداث الفوضى والمعاناة في عقر دارنا وبتكلفة تقل عن تكلفة شراء دبابة. فقد تم تنظيم الإرهابيين لاختراق المجتمعات المفتوحة وتحويل قوى التكنولوجيا الحديثة ضدنا).

ثم وضع في نفس الخطاب استراتيجية الحرب الوقائية بقوله: (سنعمل على إحداث الفوضى لدى المنظمات الإرهابية وتدميرها من خلال الدفاع عن الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي ومصالحنا داخل البلاد وفي الخارج. وذلك من خلال تحديد التهديد وتدميره قبل أن يصل إلى حدودنا. وبينما سنعمل باستمرار على حث مساندة المجتمع الدولي، إلا أنها لن تتردد مطلقاً في العمل بشكل منفرد، لو استلزم الأمر لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس من خلال العمل بشكل وقائي ضد هؤلاء الإرهابيين لمنعهم من إحداث أي ضرر ضد شعبنا ولبنان).

تلك النظرية الاستراتيجية الجديدة التي تعطي للولايات المتحدة الحق أن تعمل منفردة بضرب أي بلد ما في العالم عسكرياً أو محاصره وتهديده باستخدام القوة تحت ذريعة دعم أو إيواء منظمات الإرهاب، أو اتخاذ أي إجراء عسكري أو سياسي أو اقتصادي ضد أية منظمة إقليمية أو دولية تتهمها بالإرهاب.

والخطورة في هذه الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي حسب نظرية الرئيس جورج بوش الابن، تكمن في إنها لا تغير للقانون الدولي أي اعتبار، بل تنسف كل الشرائع الدولية التي تكفل سيادة الدول وأمنها واستقلالها، كما أصبحت المنظمة الدولية التي تحمي الأمم الضعيفة من الاحتياج والاحتلال والهيمنة مهمشة وضعيفة وفي كثير من الأحيان مغيبة إن لم تتخذ القرارات التي تخدم مصالح الولايات المتحدة وهيمنتها على العالم.

•

## \* الفصل الثامن

# الحرب الإرهابية الخبيثة على الإسلام

من أشكال الحرب الخبيثة على الإسلام:

- حملة ثقافية فكرية يقودها مجموعة من المفكرين الغربيين المتطرفين، أو من اليهود أو من المنتسبين للكنيسة الأصولية الصهيونية المعادية للعرب والمسلمين، تصدر هذه المجموعة عدة نظريات، التي تطرح حتمية الصدام بين الإسلام والغرب. وتاتي حتمية الصدام والصراع من اختلاف الثقافات والحضارات بين الطرفين. ويقول أبرز كتاب هذه الحملة صموئيل هنتغتون أن الاختلاف سيكون في العديد من القضايا ومنها أن (الصراع بين الغرب والإسلام ركز على القضايا الحضارية المتداخلة مثل انتشار أسلحة النووية والديمقراطية وحقوق الإنسان والسيطرة على النفط والهجرة والإرهاب الإسلامي والتدخل الغربي أكثر من التركيز على الأرضي)(19).

- حملة إعلامية عنيفة على مستوى العالم، تستخدم فيها كل وسائل الإعلام المرئي والمسموع والإنترنت وغيرها. يقدم من خلالها الإسلام للعالم بأنه مستودع الإرهاب، تخرج منه قوى ظلامية حقدة جاهلة رافضة لكل أشكال الحضارة الغربية الحالية، تهاجم الديمقراطية، ونظمها، وتقتل دعاتها، تزعزع السلم العالمي، تهدد الاستقرار الدولي، تکفر كل من ليس معها في الفكر والممارسة. وكل فرد في العالم مهدد بالويلات من عناصر هذا المستودع.

- استغلال إعلامي لمفاسيل قوى إسلامية متطرفة، ومنها من تدعى وصايتها على الإسلام والمسلمين، ومنها من يکفر من لا يقبل باجتهاده، وارائه وطريقه، وتفکيره، ويصل حد الغلو بهذه القوى لما تحمل من أفكار متطرفة، من استخدام العنف والقتل لمعارضيها، وحتى بمن يرفض بالانضمام إلى مجموعتها.

- تغذية الصراعات العنيفة بين بعض القوى الإسلامية، كما كان

يحدث في أفغانستان قبل الاحتلال الأمريكي الأخير، مثلاً بالسلاح والتمويل، لظهور صورة مشوهة للإسلام في وسائل الإعلام الغربي. علمًا أن تلك القوى قد نشأت، وترعرعت في أحصان المخابرات المركزية الأمريكية، لتكون أداتها في صراعها مع النظام الشيوعي السابق في أفغانستان.

- استغلال أوضاع سياسية واجتماعية لتشويه صورة الإسلام وخاصة في قضية المرأة من حيث التعليم والتشغيل، وتولي المناصب الإدارية والسياسية، والافتراء بأن الإسلام ينظر إليها نظرته الدونية. علمًا أن علماء الغرب وباحثيه، يعلمون أن الإسلام، كان ولا يزال يحترم المرأة، ويساويها مع الرجل في كل أمور الحياة، وخاصة في التعليم والعمل. بل رفع المرأة في الإسلام إلى مرتبة القدسية العليا كما جاء في قول رسول الله: [الجنة تحت أقدام الأمهات].

- صناعة مجموعات عملاقة للموساد الصهيوني وللمخابرات المركزية الأمريكية والأجهزة الأمنية الغربية الأخرى، تليس لبوس الإسلام المتشدد والمتطمر، وتنفذ مخططات أعداء العربية والإسلام. وهذا ما نراه في الجرائم البشعة التي تمارسها تلك التنظيمات باسم الإسلام، كما في الجزائر، حيث تقتل عائلات بكمالها أطفالاً ونساءً وشيوخاً، وتنقتب الفتيات المسلمات الطاهرات، حيث يؤخذن أسيارات إلى مقراتهن البعيدة. ويفارسون أبشع وأشنع الجرائم التي ترفضها حتى برابرة القرون الوسطى، حين يؤخذ الطفل من ثدي أمه، ويذبح أمامها، ثم يقطع ثديها. وتصور تلك الجرائم أمام عدسات التلفاز، لتنقل تلك الصور البشعة إلى كل أنحاء العالم، لتقول هذا هو الإسلام.

وليس غريباً أن يحضر اثنا عشر ضابطاً من الموساد الصهيوني مؤتمراً للحركات الإسلامية في لندن آب 1994، وهم يرتدون الثياب ويطلقون اللهى، ثم يختلون بجلسه على هامش المؤتمر. وليس غريباً أن يلتحم البعض منهم إلى الكيان الصهيوني، أو وجود ما يزيد على مائة عائلة لمتطرفين تعيش في الكيان الصهيوني وتحت حمايتهم.

- خلق حالة وهمية مُعيبة، بعد أن يتم نفخها كالبالون لتغدو الصفدة ديناصوراً من عباد يزحف على العالم كله، يزرع الرعب والخوف والدمار، ويصور وهميًا قوة عظمى تناطح الدول الكبرى وتهز أنظمتها وأمنها القومي ومصالحها في كل أنحاء العالم، كما في حالة صدام حسين وأسامي بن لادن، فالأخير يملك أسلحة ستدمر الغرب والولايات المتحدة، والثاني لا يقع انفجار في روسيا وتركيا وكينيا وبريطانيا وأمريكا واليمن والأردن والكويت واستراليا وحتى في القمر، إلا وكان وراءه ابن لادن. فهل يعقل هذا؟ ولو كان يملك ثورات أمريكا والغرب، فهو زيف ما بعده زيف.

- اعتبار كل نضال ومقاومة عربية وإسلامية ضد الاحتلال

الصهيوني عمل إرهابي، ومحاربة ومحاصرة كل دولة عربية وإسلامية تساند المقاومة عمل إرهابي ومساند له. فتعتبر سورية العربية الحاملة للهم القومي والمتصدية للمخططات الصهيونية والغربية المضادة للمشروع القومي الوحدوي النهضوي، والتي رعت المقاومة الفلسطينية لاستعادة الحق العربي الفلسطيني المشروع في الدولة والاستقلال، ودعم المقاومة اللبنانية عمل مساند للإرهاب، وتصويرها دولة تهدد السلم العالمي، وهذا بالطبع يعرفه الغربيون قبل غيرهم أنه كذب.

وكم سعى القائد الراحل حافظ الأسد طيلة عقد من الزمان، لتضع الأمم المتحدة تعريفاً بين النضال الوطني والإرهاب. فالنضال الوطني لتحرير الأرض عمل مشروع، تقره كل الشعائر والقانونين الدولية والسماوية. في حين الإرهاب ضد الآباء عمل ترافقه سوريا وتحاربه. إلا أن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة حاربت هذه دعوة التعريف، ولا زالت لأنهما يعرفان أن الحق إلى جانب سورية.

- تزيف وتشويه صورة العربي والمسلم في وسائل الإعلام العالمية، فيصور المسلم وحش قادم من مجاهل التاريخ، وليس ثياباً فضفاضة وبطريق لحية كثة وطويلة، وحاجياً كثيفاً، وأنفاً كمنقار الطير، يحمل أسلحة، شره بالأكل وبالنساء، مفترض قاتل جاهل. وصورة العربي لا تقل عن ذلك فقط يرتدي عقالاً، ولا هدف له سوى النساء والمال وليس لديه مبادئ وأخلاق.

من هنا نقول أن محاولات تصوير الإسلام بالمستودع، الذي يخرج من خيال الإرهابيين، إلا شكل من أشكال تسويق مؤامرة تكشفت بعد الحرب على أفغانستان، وصدرور اللوائح الممتالية من قبل الإدارة الأمريكية بمقدمة وتحميد أرصدة جمعيات إسلامية خيرية، وفي حربها على العراق، وبتهديدها المستمر لسوريا وإيران ولبنان وغيرها من الدول العربية والإسلامية. ورأات كل مقاومة للهيمنة الأمريكية وللمشروع الصهيوني السرطاني إرهاباً يتطلب مكافحته، حتى لمن يتصدى للدولة الصهيونية بالحجارة أو بالفداء الروحي إرهاباً ضد أمريكا والغرب. ويبقى شارون ومحازره التي لا تعد ولا تحصى بطلأً في نظر الولايات المتحدة، ورجل سلام يدافع عن ديمقراطية زائفة. والحقيقة كل الحقيقة أن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يزرعان الإرهاب والخوف والرعب في العالم، وما أشلاء الأطفال والنساء في فلسطين وأفغانستان وصبرا وشاتيلا وفيتنام وجنارات الأطفال في العراق إلا شواهد على الإرهابي الحقيقي.

## \* المصادر:

- (1)-نعموم تشومسكي-أحاديث وحوارات قيل وبعد 11 أيلول 2001-دار الرضا للنشر-دمشق-تشرين الأول 2002-ص 48.
- (1)-وكالات الأنباء العالمية-الجامعة 7/2/2003.
- (2)-نعموم تشومسكي-أحاديث وحوارات-دار الرضا للنشر-تشرين الأول 2002-ص 89.
- (3)-دبي علي حسن-الارهاب الامريكي من حصاد الرؤوس إلى نهب الشعوب-جريدة الثورة-العدد 11984-العدد 28/12/2002.
- (4)-إمبراطورية الشيش-ستيفان فاخوفياك-ترجمة ميشيل منير-البعث-العدد 11989-2/2/2003-ص 10-نقلًا عن مجلة بحاسك البولونية.
- (5)-وكالات الأنباء 7/2/2003.
- (6)-صحيفة البعث السورية-العدد 11989-11989-2/2/2003-ص 10.
- (7)-صموئيل هنتغتون-صدام الحضارات-الدار الجماهيرية الليبية-1999-ص 440-مصراته-
- (8)-عصام محفوظ-العلاقة الأمريكية بالإرهاب بين التشجيع والردع-السفير اللبناني-العدد 94606-العدد 94606-1/2003-ص 21.
- (9)-نعموم تشومسكي-المصدر السابق-ص 57.
- (10)-تيري ميسان-التضليل الشيطاني-الدار الوطنية الجديدة-دمشق-2002-ص 99.
- (11)-السياسة الدولية-مصر-مؤسسة الأهرام-العدد 144-أبريل 2001-ص 120) مايكل وايت-الحرب ضد الإرهاب تسلط أضواء جديدة على النزاع في الشيشان-نيويورك تايمز-9/12/2001.
- (12)-تيري ميسان-مصدر سابق-ص 94..المصدر السابق.
- (13)-صموئيل هنتغتون-صدام الحضارات -مصدر سابق-ص 508.
- (14)-صموئيل هنتغتون-صدام الحضارات-الدار الجماهيرية-ليبيا-مصراته-1999 ص 379.
- (15)-سورة فصلت.
- (16)-سورة المائدة-32.
- (17)-سعد الشلهومي-تنباهو ونظرية الإرهاب الإسلامي-مجلة المستقبل-بيروت-العدد 262-2000-12/2000-ص 20.
- (18)-خطبة ألقاها الرئيس جورج بوش في أكاديمية "وست بوينت" 1/6/2002.
- (19)-هنتغتون-صدام الحضارات-مصدر سابق-ص 275.



## **الباب الرابع**

## **الإسلام والحرية**



برزت بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 دعوات مشبوهة من دوائر غربية متصهينة، تدعى إلى ضرورة اجراء تغيير شمولي في البلاد العربية والإسلامية، تشمل كافة أنماطها السياسية والثقافية والاجتماعية، وفق ما ترسمه الإدارة الأمريكية. لارسae الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، التي تفتقد لها الدول العربية والإسلامية، مدعية إن سبب فقدان الحرية والديمقراطية في تلك يعود إلى الإسلام. فهو وفق رؤيتها دين يرتكز على الاستبداد والقهر، وبما أنه المصدر الرئيسي والشرعى لتلك الأنظمة، لهذا تتصف بالاستبداد وقمع الحريات.

ومن تلك الدعوات الأمريكية، ما ذكرته مستشارة الأمن القومي الأمريكي كونداليسا رايس عن مخطط الإدارة الأمريكية، الذي يسعى إلى فرض الحرية والديمقراطية على تلك الأنظمة في العالمين العربي والإسلامي. وقالت أن واشنطن ستعمل على: (وضع العالم الإسلامي على طريق الديمقراطية ومسيرة الحرية). معتبرة أن القيم الأمريكية من الحرية والديمقراطية، يمكن أن تسرى على الإسلام أيضاً(1).

ونذكر من الافتراضات والأكاذيب، التي صدرها مجموعة من المفكرين والسياسيين والإعلاميين في الغرب عبر وسائل الإعلام المختلفة، بغية تشويه رسالة الإسلام السامية للبشرية جماء، واتهامه باتهامات باطلة وكاذبة، ومنها الطالامية أي معاداة الحرية والديمقراطية. وهذا ما كتبه صموئيل هنتغتون فقال: (إن الإسلام قوة الطalam في العالم، بسبب نزوع المسلمين نحو الصراع العنيف)(2).

وما قاله الروائي الفرنسي ميشال فيليبيك ضد الإسلام في حديث له لمحللة (لير) الشهرية الصادر في أيلول 2001: (إن أكثر الأديان غباء هو الدين الإسلامي) وأضاف: (لقد أصبحت بانهيار حقيقي عندما قرأت القرآن) وخلص إلى القول: (إن الإسلام ديانة خطيرة منذ ظهورها). وحين اعترض عليه المسلمون في فرنسا، وأقاموا دعوة قضائية ضده بسبب الإهانة العنصرية والتحريض الديني، كرر قوله المعادي للإسلام أمام محكمة الجنح في باريس يوم الثلاثاء 18/9/2002 بقوله: (أنا لا أكره الإسلام بل أزدريه).

إن الحرية أهم أهداف رسالة الإسلام إلى البشرية على مر العصور والدهور، ولكن الحرية بمفهومها القيمي، فالإسلام يعني بالحرية (تحرير الإنسان من الرق الخارجي)، المتمثل في

عبداته للطاغوت كالإنسان المؤله، والحجر ومكونات الطبيعة وغيرها من مخلوقات الله عز وجل، التي تجعله مستبعداً ذليلاً مسلوب العقل والإرادة، خاضع لنزوات وإرادة الطاغوت.

والحرية أيضاً بتحرير الإنسان من (الرق الداخلي)، المتمثل بأهواء النفس الطامنة بكل ما حولها من ماديات، والمندفعة نحو شهوة الغرائز، التي ليس لها حدود، والتي تنزع من الإنسان إنسانيته ومُثله، والقيم الأخلاقية الاجتماعية التي فطر عليها. والتي تحوله إلى وحش كاسر، يفسد في الأرض بلا حدود، دون أي رادع قيمي أو أخلاقي، يبعد له فطرته وإنسانيته والسلوك العالى القيم التي دعا إليها الله عز وجل في كتبه المقدسة.

كما يهدف الإسلام إلى نقل الإنسان من واقع الذل والخنوع للقوى الطالمة، وانتشاله من قاع الفساد والتغافل والظلم إلى رحاب جنة الحرية الحقيقة المتمثلة في مجتمع النور، الذي يسوده العدل والإنصاف والحياة الكريمة، وحرية العقل في الاختيار في مجتمع الشورى. مصداقية لقوله تعالى: ﴿الله ولهم الذين آمنوا بخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا ولهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾<sup>(3)</sup>.

أي نقل الإنسان إلى الحرية الحقيقة، التي تطلق الإنسان إلى الإبداع، من خلال توفر أهم عامل للإبداع الأمان الداخلي والخارجي. فالأمن الداخلي يبرز جلياً بالطمأنينة الذاتية من خلال التجربة من عبودية الطاغوت إلى عبادة الخالق عز وجل الواحد الأحد المتصف بالرحمة والعدل والإنصاف والقدرة والحكمة والعلم والمعرفة المطلقة، وعيادته وحده فقط دون أي شريك كان، وإسقاط كل الآلهة المصطنعة، التي تتسم بالظلم والقهر والجور. هذا الأمان الداخلي لا يعرفه إلا المؤمن المستسلم لله عز وجل، وهذا ما يوفره الإسلام. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله لا بدّر الله تطمئن القلوب﴾<sup>(4)</sup>.

يسعى الإسلام لتحرير الإنسان من عبودية الدنيا، التي يسودها الطمع المادي والمعنوي، والصراع الدامي على ماديتها الفانية، وتحريره من أجواء الفساد الذي تعيش في أحواضه الآسنة كل قوى الشر، لينقله إلى رحاب نور الروح الظاهرة والمادة النظيفة وال العلاقات الاجتماعية والثقافية، التي تتسم بالمحبة والرحمة والإخاء والتعاضد والإحسان والبر والتعاون والأرض قالوا إنما نحن مصلحون (11) إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (12).

فالطاغيت من البشر المؤله لنفسها، تسعى لاحتلال الإنسان روحًا وعقلاً، ليكون عبداً لها ولمصالحها الدنيوية، فتسلب منه الإرادة والتفكير، وتوجهه بأنها تملك قدرات خارقة، ليظل تحت سلطانها ورهبنتها والخشية منها، مستفيدة من

استخدام ما تملك من سلطان الجah والمال والمنصب في زرع الرعب والخوف في نفسه، فيبقى أسير هواها ومشيئتها، التي تعارض قدرته الإنسانية المنفطرة على الحرية والمجتمع.

وفي حقيقتها غير قادرة على دفع الضرر عن نفسها، إذا أراد الله عز وجل شيئاً، قال تعالى: ﴿وَاتْخِذُوا مِنْ دُونِهِ أَهْلَهُ لَا يَحْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يَحْلُقُونَ وَلَا يَمْلُكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلُكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾<sup>(6)</sup>. وما يملك الطاغية المؤله في الحقيقة إلا وسائل التهديد والترهيب والوعيد بالقتل والتعذيب، كيما جاء في قول فرعون لموسى عليه السلام، حسب ما أوردته الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا تَخْذِلُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلْنُكَ مِنَ الْمَسْجُونِ﴾<sup>(7)</sup>.

فالله عز وجل الذي خلق الإنسان ضعيفاً، يتحول إلى طاغية متجر على الأرض، حين يتولى ويتحكم بشؤون الآخرين من خلال يرزقهم ومعيشتهم، وتزداد حالة الطغيان لديه، إذا أصبح حاكماً مطلقاً. فتحتفظ حوله حاشية تزييف له أعماله، وتزيين له أعماله، فتحتحول كلماته المبهمة إلى كتاب مقدس، وأفعاله إلى منهج، وكل ما يقوم به ويفعله نبراس يحتذى به. فيتمكن منه الغرور حتى يصدق كل أكاذيبه. ومع الأيام يصبح إليها على الرعية أن تقوم بعبادته.

وشهدت الأرض نماذج من هذا النوع في الماضي والحاضر. فرئيس كان في هايتي في الستينيات من القرن الماضي، يقول لشعبه: أحكم مريم العذراء وأنا أبوكم. وفي تركمانستان الرئيس صابر مراد نيازوف يدعى أن الوحي يأتيه، وكتب كتاباً اسماه (روناما) قال عنه: (أنه يعيش أوجه القصور في كل من القرآن والإنجيل) ومن سخريات القدر أنه فرض ليكون الكتاب حجر الزاوية في النظام التعليمي في كافة البلاد، وجواهر التعليم في حد ذاته<sup>(8)</sup> فتدهر التعليم بكل درجاته حتى الجامعي.

وأمثال هذا الطاغية وغيره كثُر في عالمنا اليوم، ويدرك هو وغيره أنه أضعف مخلوقات الأرض، لا يقدر على خلق بعوضة، أو منعها إن أذته أو سلبت منه شيئاً، كما جاء في المثل الذي ضربه الله عز وجل عن زيف قدرات الحاكم المؤله لنفسه الخارقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّنَفْسِهِ الْخَارِقَةِ، تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذِيَابًا وَلَا جَمِيعًا لَهُ وَلَا يَسْلِبُهُمْ الذِيابَ شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾<sup>(9)</sup>.



## \* الفصل الأول

# أولى حرية الإنسان في الإسلام كرامته.

كرم الله عز وجل الإنسان علىسائر مخلوقاته في الأرض، ورفعه إلى مكانة عالمة رفيعة، حين جعله خليفة في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (10)، وزيادة في التكريم أمر الملائكة في السجود له. هذه المكانة العالية المعطاة من الله عز وجل دليل على تكريم الإنسان من قبله عز وجل، وإلى الاحترام الذي يحمله الإسلام لإنسانية الإنسان، بما تحمل من قيم وسلوكيات يجب احترامها وتعزيزها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بْنَ آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ مَنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (11).

واحترم الإسلام العقل، واعتبر التفكير والعمل هي الأداة الأساسية لمعرفة الخالق عز وجل ومخلوقاته في السماوات والأرض، حيث قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَبْلَابِ﴾ (12).

فالعلم الذي غرسه الرحمن عز وجل في الإنسان سواء في بداية خلقه لأدم، كما قال تعالى: ﴿وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا﴾ (13). أو في الأحياء المتلاحقة من البشر، حيث علم الإنسان من بعد ذلك العلوم والمعارف، وهداه لتعلم الكتابة، التي تعتبر أهم تحول تاريخي في حياة البشرية، قال تعالى: ﴿اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربك الأكرم (3) الذي علم بالقلم (4) علم الإنسان ما لم يعلم (5) (14).

فالعلم والتفكير العقلي من أهم الميزات التي ميز الرحمن عز وجل الإنسان علىسائر مخلوقاته، وقد روى الإسلام المعرفة وأصحابها، ووضع لها احتراماً خاصاً في سلوكيات اتباعه، الذين حصهم على المعرفة والبحث العلمي والفكري وسائل فنون المعرفة، حتى أنه رفض المساواة بين العلم والجهل رفضاً مطلقاً، قال الله عز وجل: ﴿... قُلْ هُلْ يَسْتَوِي

الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب<sup>(15)</sup>).  
ومن خلال امتحانات الإنسان للعقل والتفكير، ترك الإسلام  
للإنسان حرية الاختيار بين الإيمان بوحدانية الله عز وجل واتباع  
تعاليمه، أو اختيار طريق الكفر والالحاد، ولكنه وضع نتائج لذلك  
الاختيار، بين الفوز بالجنة أو الدخول إلى جهنم وبأياس المصير،  
قال تعالى: ﴿قُلَّا إِنَّ اللَّهَ أَعْبُدُ مَحْلِصًا لِهِ دِينِي﴾<sup>(14)</sup> فاعبدوا ما  
شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم  
يوم القيمة إلا ذلك هو الخساران المبين<sup>(16)</sup>.



## \* الفصل الثاني

# الإسلام

## أعطى الإنسان حرية الاعتقاد والاختيار

الحرية في الاعتقاد والاختيار هي الأساس الأول الذي قامت عليه رسالة الإسلام، فرفض الإسلام الإكراه والقسر في دخول الناس في الدين. بل وضع مبدأ الاختيار الإرادي أساساً في الدخول فيه، بعد أن يتم تبيان دعوته ورسالته، والأسس التي تقوم عليها لكافة الناس.

وأوضحت عدة آيات في القرآن الكريم مبدأ حرية الاعتقاد، وعدم إكراه الناس ليؤمنوا بالإسلام، نذكر منها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعَرْوَةِ الْوُثْقَى لَا يَنْفَضِّمُ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ (١٧). فامر الله عز وجل واضح في هذه الآية الكريمة، فبعد أن اتضح مفهوم الإسلام وأهدافه للبشرية أجمع على مَرِّ الدهور والعصور، دعا الرحمن عز وجل أن يترك للإنسان حرية الاختيار بين طريق السلامة والأمن والاستقامة والراحة المادية والمعنوية في الدنيا والآخرة، وبين طريق الهلاك والألام والندامة والحسنة والذلة والضلالة، وبذلك تقع على الإنسان عاقبة هذا الاختيار ونتائجها، فإن أحسن نجا، وإن أساء هلك. وتعددت الآيات الكريمة، التي تحصن على ترك حرية الاختيار الإرادي للإنسان في الدخول في الإسلام أو عدمه، ومن الآيات الكريمة التي بينت حرية الاختيار الإرادي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٨).

أمر الله عز وجل رسوله الكريم محمدًا، أن يبلغ الناس كافة حقيقة الدعوة الإسلامية وأهدافها السامية العليا. ومن ثم ترك الأمر للإنسان بحرية قبولها أو رفضها، فهو حر في اختيار الهدى أو الضلال، وليس الرسول مسؤولاً عن هذا الاختيار، بل تقع

نتيجة الاختيار على الإنسان نفسه. قال تعالى: ﴿وَمَا أُرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
كَافِةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون﴾(١٩).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ أَنْتُمْ تُلقِيُّونَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدِي فَإِنَّمَا يَهْتَدِي  
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾(٢٠). وهذه الآية  
تطلب من الرسول ﷺ، أن يقرأ على الناس القرآن، ويفسره،  
ويبيّن ما فيه من أحكام وسلوكيات، ووحدانية الله عز وجل،  
وبيوم الحساب وغيرها من العقائد المختلفة، التي جاءت بها  
الرسالة المحمدية للبشرية جموعاً، وتترك بعد ذلك للإنسان  
حرية الاعتقاد والاختيار.

وما مهمة الرسول إلا التبليغ والتذكير والتنبيه والإذار من  
عواقب الشرك والفساد وعدم الإيمان بوحدانية الله عز وجل  
وبيوم الحساب، كما كلفه بها الله عز وجل، وهذه مهمة كافية  
للرسل الذين أرسلهم الله عز وجل لكافة البشر، قال تعالى:  
﴿وَمَا نَرْسَلُ مُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٢١). يبشرها  
بضرورة الخلاص من الشرك والإلحاد، وبالرسالة السماوية  
المتسمرة بالعدل والحق، وبالاليوم الآخر الذي ينصف فيه الإيغار  
من المؤمنين وذوي السلوك الحسن، وينال فيه كل حق حقه،  
وتترد فيه المظلوم، وبعاقب الظالم والمتجبر والفاسد والملحد  
وغيرهم، ممن زرعوا الأرض فساداً.

إن الله عز وجل أرسل الرسول عليهم الصلاة والسلام إلى  
الناس كافة، حتى يكون حجة عليهم، ويدحض أي ادعاء بأنهم لم  
يبلغوا، وأنهم لا يعلمون، قال تعالى: ﴿رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ  
لَتَلِا يَكُونُ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ  
رَبِّكُمْ فَامْنُوا بِهِ إِنَّمَا مَنْ كَفَرَ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةً﴾(٢٣).

وهكذا يظهر لنا الإسلام دين آمن بحرية اختيارات العقل  
للإنسان، مما يكذب كل ادعاء المستشرقين، الذين حاولوا أن  
يصوروا الفتوحات الإسلامية على أنها كانت لإكراه الناس  
بالدخول بالإسلام بحد السيف، ومن يراجع تاريخ الفتوحات  
الإسلامية شرقاً وغرباً، سيجد أن المسلمين لم يرغموا مسيحيّاً  
ويهودياً على الدخول بالإسلام، والشواهد على محافظتهم على  
أماكن العبادة لليهود والنصاري، وسيجد حتى الوثنيين من  
البوديين والهندوس والشيخ وغيرهم، تركت معبودتهم وهي  
شاهدتهم على ذلك رغم السيادة الإسلامية على تلك البلاد.  
وهذا ما يكذب ادعاء من قال عن الإكراه في دخول الإسلام،  
ويثبت على محافظة الإسلام على تطبيق مبدأ حرية الاختيار.

•

# \* الفصل الثالث الإسلام جاء لتحرير الإنسان من أغلال العبودية.

جاء الدين الإسلامي كما قلنا سلبياً من أجل تحرير الإنسان من رق العبودية للطاغوت البشري أو الحجري وغيره، وإطلاقه إلى أفق متحتم العدل والمساواة، الذي يتساوى فيه الغني والفقير في الحقوق والواجبات، وتكون فيه التكاليف على حسب القدرة والاستطاعة، وتحفظ للإنسان الكرامة والأمن على نفسه وما له وعرضه ودينه، ويرفض الإسلام من أين كان المسار بها إلا بالحق. وما قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشدي الثاني: (متنى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمها THEM أحرا راما) إلا انعكاساً لتعاليم الإسلام بضرورة صون حرية الإنسان، وواجب الدولة والمجتمع المحافظة عليها وحمايتها.

حاءت رسالة الإسلام لتحطم الأغلال التي قيدت بها العديد من المجتمعات، ومنها أغلال الرذيلة والفساد والعدوان وكافة الخبائث التي تعثي فساداً في الأرض. وليدعوا إلى مجتمع إنساني يتحلى بالقيم الإنسانية الرفيعة العالمية. وقد أوضحت الآية الكريمة التالية معنى تلك الحرية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَعَوَّنُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَيَحرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَصْعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾ [٢٤].

وتوجهت رسالة الإسلام من الجزيرة العربية إلى بقاع العالم شرقاً وغرباً، تحمل أهم مضمون لها، وأولى أهدافها الدعوة إلى التوحيد في عبادة الله عز وجل، ورفض عبادة البشر والأصنام وغيرها، التي تناهى مع العقل البشري.

والهدف الثاني هو تحرير الإنسان من العبودية، التي فرضها الطغاة من حكامه عليه، تلك رسالة الإسلام في شقيها التوحيد والتحريري، التي كانت مهمة الفتح تبليغها للناس كافة.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك، ما قاله رُهْرَةُ بْنُ عِبْدِ اللَّهِ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ الْحَوَيْبَ لِلْقَائِدِ الْفَارَسِيِّ الشَّهِيرِ رَسْتَمَ، وَهُوَ يَنْقُلُ إِلَيْهِ رِسَالَةً إِلَيْهِ إِسْلَامًا وَغَايَةَ الْفَتْحِ، فَحِينَ سَأَلَهُ رَسْتَمُ عَنْ هَذَا إِلَسْلَامِ الَّذِي يَقْاتِلُ الْعَرَبَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَالَ: (هُوَ دِينُ الْحَقِّ لَا يَرْغِبُ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلِيلٌ، وَلَا يَعْتَصِمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَزِيزٌ) فَقَالَ رَسْتَمُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: أَمَا عَمُودُهُ الَّذِي لَا يَصْلَحُ إِلَّا بِهِ فَشَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: وَأَيْ شَيْءٍ أَيْضًا؟ قَالَ رُهْرَةُ: وَإِخْرَاجُ الْعِبَادِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَالنَّاسُ بْنُو آدَمَ وَحْوَاءُ وَأَخْوَاءُ لَابْ وَأَمَّ. قَالَ رَسْتَمُ: مَا أَحْسَنَ هَذَا؟ (25).

ولزيادة المعرفة برسالة الإسلام طلب ستم من قائد الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص مبعوثاً من قبله، فارسل إليه ربعي عامر وكان جندياً يسيطراً فحين سأله رستم: ما جاء بكم؟ قال ربعي: الله جاء بنا، وهو بعثنا، لنجرب من يشاء من عباده من صيق الدنيا إلى سعتها، ومن حور الأديان إلى عدل الإسلام. فارسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبله، قيلنا منه، ورجعنا عنه، وتركنا أرضه دوننا، ومن أبي قاتلناه حتى نُفْضي إلى الجنة أو الطفر(26).

\* تحرير الإنسان من رق الدين  
حارب الإسلام الرّبّا حرّباً ضاربةً كونها تضع الأغلال في أيدي  
العديد من الفقراء والمحتاجين، وكان الناس يسترقون بسبب  
عدم القدرة على دفع الدين المتراكם من الرّبّا، حيث يتحولون  
من أحرار إلى عبيد، بسبب عسرتهم عن دفع ما ترتب عليهم من  
أموال الرّبّا.

وكانت لهذه الحرب التي شنها الإسلام ولما زال على الْرِّبَا، لها الأثر الفعال في تحطيم قيود عبودية الْرِّبَا، وفك رقاب العديد من الناس من الرق والتسول والإذلال، الذي يلاقونه من المرابي بسبب عدم قدرتهم على دفع المبالغ المدانيين بها، أو الاقساط الواجب دفعها، أو الفائدة التي تتضاعف بسبب عدم القدرة على السداد.

وكم من أعراض انتهكت بسبب الرّيا؟ وكم من جريمة ارتكبت بسببها؟ وقصص العالم لا تزال تروي لهذا اليوم مأساة الرّيا، الذي حطمت بيوت كرماء، وأذلت أعزاء في قومهم، وخربت بيوت أغنياء، وأستباحت دم الفقراء.

وكانت الرّيا ولا زالت من أهم الخبائث، التي تقيد العديد من المجتمعات في العالم.

أغلال دين مال الرّبا، وإطلاقه من قيوده، وأعاد له كرامته ووجوده في عزٍّ وكراهة، وفرض على الأغنياء كفاية القراء من خلال أموال الزكاة المفروضة والصدقات، وحصن الإسلام على الإنفاق، وآيات الزكاة والصدقات والإنفاق على الفقراء كثيرة هي القرآن الكريم، والتي وعدت المنفق دون منهٍةٍ أو رباء الناس بالفوز بالجنة. وتعتبر الزكاة ركناً أساسياً من أركان الإسلام، ومن قرآن التاريخ يعرف السبب الرئيسي لحرب الردة، وهي إلى الامتناع عن دفع الزكاة، حين شن الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق حرباً ضروسًا على الممتنعين عن دفع الزكاة.

#### \* التحرير من أغلال الهوى القاتل والعدوان والأعراف والعادات السيئة.

جاء الإسلام أيضاً ليحرر الإنسان من قيود الشهوات المادية والعدوانية، ومن الأعراف السيئة التي فرضتها القبائل البدوية المختلفة على ابنائها. فالإسلام رفض اغتصاب أموال الناس بدون حق، وحرم الرشوة للحكام لأكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوْهَا إِلَى الْحَكَامِ لَتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِنْتِمَادِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(28).

ووضع قواعد للتعامل المالي برفض أكل الأموال عن طريق الخداع والنصب والسرقة والاغتصاب، وحب التعامل في التجارة على قاعدة التراضي، وحرر الإنسان من قتل نفسه بانصرافه الكلي خلال حياته على جمع المال، وعدم الالتفاف إلى نفسه وصحته وأسirته، بل كرس حياته فقط لجمع المال من أي طريق كان، دون أن يعطي لنفسه حقها الاجتماعي والثقافي والروحي، أو قتل النفس كالانتحار وغيرها من الطرق الأخرى المؤدية إلى قتل النفس. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِيَنْكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(29).

وحرر الإسلام أموال اليتامي والفقراء من الاغتصاب والنهب والسرقة من قبل الأغنياء والأوصياء، حيث كانت أموالهم مستباحة من قبل الأقوياء لمعرفتهم بضعف اليتيم، وعدم قدرته عن انتزاع حقه منهم، فشدد الإسلام على ضرورة إعادة أموال اليتامي إليهم، وحرم تحريماً مطلقاً أكل أموالهم بالباطل، وأنذرهم عذاباً شديداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ سَعِيرًا﴾(30).

وطالب الأوصياء عليهم بإعادة أموالهم إليهم، وعدم اقتطاع أي مال منه إلا للضرورات في رعاية اليتيم، ومنع أخذ المال كاملاً، قال تعالى: ﴿وَاتُّوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْخَيْثَرَ بِالْطَّيْبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوَيْبًا كَبِيرًا﴾(31).

•

## \* الفصل الرابع

# تحرير المرأة الحقيقى في الإسلام

أسقط الإسلام القيود التي كانت تفرضها بعض العادات القبلية السيئة مثل زواج الولد لامرأة أبيه، وحرمه لما فيه من إساءة الولد لأبيه الميت، وفيه تقرز للنفس البشرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا مَا نَحْنُ أَبْأَبُوكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمُقْتَنِيَّا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (32). وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كانوا إذا مات الرجل كان أولياً وله أحق بامراهه؛ إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ امْنَوْا لَا يَحْلُّ لَكُمْ أَنْ ترثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ (33).

ووضع قواعد أخلاقية عليا في مسألة الزواج، حين حرم، ومنع الزواج من الأقارب الأصول قال تعالى: ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخْ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأَمْهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَا عَوْنَادَهُ وَأَمْهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرِبَائِنَكُمُ الَّتِي فِي جُحُورِكُمْ مِّنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنِّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنِّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَالَ أَنْتُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَإِنْ تَجْمِعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (34).

وأسقط عادة أخذ مال المهر من الزوجة بعد طلاقها، وبذلك فك القيد الاستغلالي من الحاجة إلى تسديد المهر من امرأة لم يعد لها أي وارد مالي إلا ما يحسن فيه إليها ذويها، وكانت رهينة لقيد سداد المهر، الذي أعطى لها حين تزوجت، وقد تكون قد تصرفت به، ولم يبق منه شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرْدَتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجَ مَكَانٍ زَوْجٌ وَّأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوهُنَّ مِّنْهُ شَيْئًا إِنَّمَا تَأْخُذُوهُنَّ بِهَتَّانًا وَإِنَّمَا مُبَيَّنًا﴾ (20) كييف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميتاً غليطاً (21).

وحرر الإسلام المرأة من أغلال أعراف سيئة، كان يمارسها العرب في الجاهلية، وهي دونية المرأة في مجتمعها، الذي كان

برى السيادة والعز والفحار فقط في الذكرية، وأن للعار المستقبلي والمحتمل في المرأة. ولهذا أوجدوا عرفا، يقوم على واد البناء، الذي يعتبر من أبشع الأعراف القبلية، التي عرفها تاريخ الجزيرة العربية ما قبل الإسلام. وصور القرآن الكريم حالة الرجل الذي يبشر بمولودة له ائش، وكيف يشعر بالخرج والخجل بتلقي النبا في مجلس وبين أصحابه؟ وكيفية ردة فعله تجاه هذا النبا؟ فيقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَئْشِ طَلَّ وَجْهُهُ مَسُودًا﴾ وهو كظيم (58) يتوارى من القوم من سوء ما يبشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون (59).

لو تمعنا في هذه الصورة القرآنية الكريمة، لظهر لنا مشهد الرجل، وكيف يتلقي نباً ولادة زوجته بتنا له؟ فتصوره غاصباً وقد اسود وجهه من هذا النبا، وكيف يحاول التخفى من الإحراج والتهمم والسخرية من قبل قومه لمولودته الائش، ومن ثم يزداد إرجاجاً في القرار الذي يتطلب منه اتخاذه، فهو حائم بين امررين، يجب أن يقرر أحدهما، هل يتركها تعيش مع عائلته، أم يقتلها حية وذلك يدفنه في التراب؟

وقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن جرائم وأد البناء في الجاهلية، ومنها القصة الذي ذكرها سيدنا عمر بن الخطاب حين ضحك وبكي مرة فسئل من قبل الحاضرين لماذا فعل ذلك؟ ذكر أنه ضحك حين كان يعبد صنماً من التمر، ويطلب منه المساعدة والعون، ولكنه حين يجوع يقوم بأكله، فيقول أنه ضحك كيف يعبد إليها ثم يقوم بأكله، ويرى إلى أي مدى وصل عقل الإنسان من الانحدار، بعدمية الإدراك والتمييز العقلي.

وذكر أنه بكى حين أخذ ابنته الصغيرة لوأدتها إلى الصحراء، وأنه قام بحفر حفرة لدفنها فيها، وكيف كانت الطفلة الصغيرة تنفض الغبار المتطاير من الحفرة عن لحيته؟ ورغم هذا الفعل النبيل من تلك الطفلة، لم يرق لها قلبها، الذي كان جافاً بسبب جاهليته، بل دفنتها وهي تسأله لماذا؟ لهذا بكى عمر بحرقة لقلب القاسي في الجاهلية، وكيف استطاع الإسلام أن يحوله إلى أرق القلوب الإنسانية التي عرفها تاريخ البشرية.

وهكذا كان حال البناء الصغيرات ما قبل الإسلام، يقتلن بدون ذنب ارتكب، ويذبحن أحياء دون أي رادع خلقي وإنساني، فجاء الإسلام ليسقط هذا العرف القبلي الجائر، ويحرر البت من جريمة لم ترتكبها، ويعيد لها مكانتها الاجتماعية والثقافية أسوة بالرجل. وشدد القرآن الكريم على عقوبة من يقوم بهذه الفعل الشنيع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةَ سُئِلتَ﴾ بـأـي ذـنـب قـتـلتـ (37).

جاء الإسلام ليعيد المرأة إلى مكانتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مَا اكتسبوا ولِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مَا اكتسبنَّ﴾. وحتى في الحروب كان للمرأة

المشاركة فيها جنباً إلى جنب مع الرجل، ويدرك التاريخ العديد من النساء في هذا المجال بدءاً من أم عمارة مروأة بصفية عمة رسول الله ﷺ وحتى الخنساء وخولة بنت الأزور وغيرها.

هذه المرأة المسلمة التي حررت من خلال تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، كانت المرأة في الغرب حتى قرون قريبة في وضع مزدري ودوني عن الرجل، ونذكر قول لعباس محمود العقاد قال فيه: (ولقد تقدم الزمن في الغرب من العصور المظلمة إلى عصور الفروسية إلى ما بعدها من طلائع العصر الحديث، ولما تبرح المرأة في منزلة مسفهة لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة في الجاهلية).

ففي سنة 1790، بيعت امرأة في أسواق إنجلترا بـ 1790 شلن لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها.. وبقيت المرأة إلى سنة 1882، محرومة من حقها الكامل في ملك العقار، وحرية المقاضة.

وكان تعلم المرأة سبيلاً، تشمئز منها النساء قبل الرجال، فلما كانت اليسابات بلا كوييل تتعلم في جامعة جنيف سنة 1849- وهي أول طبيبة في العالم- كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها، ويأبىنه أن يكلمنها، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها، كأنهن متحرزات من نجاسة يتلقين مساسها..

ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلاطليفييا الأمريكية، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة، أنها تتصادر كل طبيب يقبل التعليم بالمعهد، وتتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء.

وهكذا تقدم الغرب إلى أوائل عصرنا الحديث، ولم تتقدم المرأة فيه تقدماً يرقعها من مراوغة الاستعباد، التي استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية..

فماذا صنع محمد؟ وماذا صنعت رسالة محمد؟ حكم واحد من أحكام القرآن أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (39).

## \* الفصل الخامس الإسلام وتحرير العبيد من الرّق.

كثيرة هي الاتهامات ضد الإسلام من قيل كتاب وباحثي الغرب، ومنها أن الإسلام يؤيد استمرارية الرّق، ويشجعه. وهذا كذب وافتراء وتزوير ضد الإسلام، الذي جاء ليحرر الإنسان من الظلم والعبودية على مختلف أشكالها، كما بَيَّنا في بدايات هذا الفصل.

الإسلام ظهر ومجتمع الرّق يسود العالم قانوناً وعرفاً، فجاءت رسالة الإسلام حينئذ لتنظر مسألة المساواة بين مختلف أبناء البشر، على اعتبارهم يعودون جميعاً إلى أصل واحد، وأب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء عليهما السلام. كما قال تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ نَارٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٤٠)، وما جاء على لسان رسول الله محمد: ﴿كُلُّكُمْ لَادِمٌ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ﴾.

واعتبرت رسالة الإسلام، أن التفاوت بين البشر ليس بألوانهم وأصولهم وانتتماءاتهم الطيفي، بل من خلال ما يقدم المرأة من عمل صالح لنفسه ولمجتمعه ولدينه وللبشرية جموعاً. كما جاء في الحديث الشريف: ﴿إِنَّ النَّاسَ سُوَاسِيَّةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطٍ، لَا فَرْقٌ بَيْنَ عَرَبٍ وَأَعْجَمٍ، وَلَا سَوْدٌ وَلَا أَبْيَضٌ إِلَّا بِالْتَّقْوَى﴾.

لهذا كان الإقبال الأول على اعتناق الدعوة الإسلامية غالبيتهم من العبيد والضعفاء والمساكين، في نفس الوقت كانت تلاقي الرفض والعداء من أغنياء قريش وساداتها، لرفضهم المساواة بينهم وبين هذه الطبقية الضعيفة، وذكر القرآن الكريم أن المقاومة للدعوة السماوية دائماً تكون من قبل الأغنياء والساسة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتَنَا كَافِرُونَ﴾ (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالاً وما نحن بمعذبين﴾ (٤١).

ودللت القصص الواردة في القرآن الكريم، أن معظم الرسل والأنبياء يكون أتباعهم من الفقراء والعبيد. لأن في دعوة

السماء الخلاص والتحرر من كل الأغلال، التي فرضتها قوانين الاستغلال والرق والعبودية. وخير مثل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ولقد أرسلنا إلى نوحًا إلى قومه، كما أورده (25) أن لا تبعدوا إِلَّا اللَّهُ أَنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ (26) فقال الملا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ وَمَا نَرَاكُ إِلَّا يُشَرِّأُ مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بِإِدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظَنْكُمْ كَاذِبِينَ (27) قال يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّيْ وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِّنْ عَنْدِهِ فَعَمِّيْتُ عَلَيْكُمْ أَتَلَزِّمُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِيْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بَطَارِدُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْهُمْ مُلَاقُوا رِبِّهِمْ وَلَكُنِيْ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِيْ مِنْ يَنْصُرِنِي مِنَ اللَّهِ أَنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30)﴾ (42).

حاول أغنياء قريش ووجهائهم من المناهضين للدعوة الإسلامية، أن يبعدوا هؤلاء الفقراء والعيال من حول الرسول ﷺ، ففاوضوه على طردتهم، ليتسنى لهم التفكير بقبول الدعوة. فجاءت الآية القرآنية محذرة من هذه المؤامرة الخبيثة، التي حاكها قادة الكفر في قريش، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رِبِّهِمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مِّنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَنَطَرُهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الطَّالِمِينَ (52) وَكَذَلِكَ فَتَنَا بِعِصْمِهِمْ بِعَصْمٍ لِيَقُولُوا أَهُوَلَاءُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَلْيَسِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالشَاكِرِينَ (53)﴾ (43).

وفيشلت تلك المحاولات، لهذا لقي أتباع الرسول محمد عليه وعلى الله أفضل الصلاة والسلام الظلم الشديد من أسيادهم. وتذكر كتب التاريخ العديد من أشكال تلك المعاناة، التي لقيها العبيد وقراء المسلمين في بدايات الدعوة، وشكل البعض منهم أمثال بلال الحبشي رضي الله عنه وصهيب الرومي وياسر وزوجته سمية وابنه عمارة نماذج في التضحية والبقاء في سبيل الإسلام. وليس صدفة أن يكون أول من استشهد في سبيل الدعوة الإسلامية من الرقيق هي سمية أم عمارة بن ياسر على يدي الطاغة من قريش.

فالدعوة الإسلامية كانت تحريراً لهؤلاء الفقراء والعيال من الظلم والقهر، وليس فقط رفع الظلم الاجتماعي والاقتصادي عليهم، وإلى نقلهم من الطبقة الدنيا المحسوسة إلى السيادة والقيادة، قال تعالى: ﴿وَنَرِيدُ أَنْ نَمَنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (44)﴾.

لذلك حظي هؤلاء الضعفاء المتحررين من العبودية مكانة متقدمة في المجتمع الإسلامي، سواء كان في عهد الرسول ﷺ في المدينة أو في الخلافتين الراشدية والأموية. وقد تولى سلمان الفارسي إمامرة خراسان تقديمًا لمكانته الرفيعة في الإسلام. وارتقت مكانته سالم مولى أبي حنيفة، فعن ابن عمر

رضي الله عنهمَا قال: كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمِّن المهاجرين الأولين أصحاب النبي ﷺ في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعمر بن ربيعة (45).

وكان زيد بن حارثة مكانة عالية في الإسلام، ولم يعامله رسول الله ﷺ معاملة العبد، بل عامله كولد له وبناته، وأشهر رسول الله ﷺ تبنيه لزيد لقريش. لهذا كان أهل مكة يطلقوه عليه اسم زيد بن محمد، ويقيّي يحمل هذا الاسم، حتى نزلت آية من الله عز وجل، تطلب أن ينسب العبد أو المتبني إلى والده الحقيقي، قال تعالى: ﴿مَا جعل اللَّهُ لرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ لِزَوَاجِكُمُ الَّذِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُمْ أَمْهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمُ الَّذِي قَوْلَكُمْ يَأْفُوا هُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (4) أدعوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ فَإِنَّمَا جَعَلَ لِأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْالِيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَلَهُمْ وَلَكُنْ مَا تَعْمَدْتُ قَلْوَبَكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (5) (45)﴾ (6). فأعادَ الرَّسُولُ نَسْبَهُ إِلَى أَبِيهِ حَارِثَةَ، وَكَانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ لَهُ، حَتَّى أَنَّهُ رَوَّجَهُ مِنْ أَبْنَةِ عَمِّهِ زَيْنَبِ بَنْتِ حَحْشَ، وَهِيَ مِنْ حَرَائِرِ قَرْبَيشِ، دَلَالَةً عَلَى عَدَمِ التَّفَرِيقِ بَيْنِ الْعَبْدِ وَالْحَرَفِ فِي الإِسْلَامِ. وَقَدْ نَصَّتِ الْآيَةُ سَابِقَةً عَلَى الْمَسَاوَةِ، حِينَ قَالَتِ أَخْوَانُ فِي الدِّينِ.

وقَدْ الرَّسُولُ زَيْدًا قِيَادَةَ الْجَيْشِ فِي غَزْوَةِ مَؤْتَةٍ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ يَتَنَافَسُ عَلَيْهَا قَادِيُّو الْمُسْلِمِينَ. كَمَا حَظِيَّ وَلَدُهُ أَسَامَةُ مَكَانَةً عَالِيَّةً فِي جَهَازِ الدُّولَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ بَعْدِ اسْتِشَاهَادِ أَبِيهِ، وَقَدْ لَدَهُ الرَّسُولُ قَبْلَ وَفَاتَهُ قِيَادَةَ جَيْشٍ مَعْدُّ لِلزَّحْفِ عَلَى تَبُوكَ، وَكَانَ فِيهِ شِيُوخُ الإِسْلَامِ وَرَمُوزُهُ مُثْلِّيْ أَبِيهِ بَكْرٍ وَعَمِّهِ بَنْتِ حَحْشَ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْخُطَابِ.

كثِيرًا ما ظهرت العديد من الدراسات والأبحاث والمقالات الغربية، التي تتهم الإسلام كذباً وافتراءً بأنه يقف مع العبودية، ويحذِّر الاسترقاق. بل وصلت الدعاية الغربية في تزييرها وكذبها، بأن اتهمت المسلمين بأنهم كانوا وراء تجارة الرقيق في أفريقيا في القرن السادس عشر وبعده.

في حين كل الدلائل التاريخية الموثقة تثبت أن تلك التجارة، كان يقوم بها الأوروبيون والأمريكيون، وكانوا يستخدمون وسائل قدرة في عملية الاستعباد، من خلال السرقة واصطياد الأفارقة، وتحويلهم إلى عبيد، ثم إرسالهم إلى أمريكا، وهناك يستخدمونهم في مزارع القطن في جنوب الولايات المتحدة. إنما استهداف الإسلام كان للتشويه ولخلق حالة من العداء والكراهية بين الإسلام والأفارقة سواء في القارة أو في الولايات المتحدة وبقية القارة الأمريكية، خاصة بعد أن رأى الحاقدون على الإسلام من الغربيين الأقباط الكبير على الدخول بالإسلام من قبل هؤلاء. فظهرت حملات تشويه الإسلام، وتبرئة الغرب من هذه الجريمة الإنسانية، وإلصاقها بالإسلام والمسلمين. إن الإسلام كما أشرنا سابقاً، ظهر في عَرَّ مرحلة الرقّ، التي

كان تاريخ البشرية يمر بها. لهذا عمل على التخلص التدريجي من حالة الاسترقاق، حيث بدأ في فك مسألة التحرير من العبودية على أشكال مختلفة منها:

- 1- التشجيع على تحرير العبيد الذين أسلموا.
- 2- فرض عملية تصحيح الأخطاء في الحقوق الشخصية والاجتماعية والدين، وغيرها من الخطايا والاثام والذنوب، في عتق العبد وتحريره.
- 3- جعل على رأس أعمال البر والصدقات والتقرب إلى الله عز وجل، تحرير العبيد وتكريمه.
- 4- منع استرقاق الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين من رعايا الدولة الإسلامية، وأيضاً من رعايا دول أخرى إلا من كانت في حالة حرب مع الدولة الإسلامية، حيث كان رقّ الأسرى بحالة الحرب في تلك المرحلة الزمنية (القرون الوسطى) قانون دولي متعارف عليه بين الدول، فعلى الدولة الإسلامية في حالة الحرب عليها أن تعامل الدولة التي تحاربها بالمثل في استرقاق رعاياها. حيث يتم تبادل الأسرى بعد انتهاء الحرب، والفاء عنهم بالمال وتحريرهم. إلا أن الإسلام دعا إلى إطلاق سراحهم، حتى لو لم يتم التبادل مع الدولة المحاربة على قاعدة إسلامية تقول: (فاما منا وإنما فداء).
- 5- وسن قانوناً جديداً يعطي للرقيق تحرير نفسه بالمقاضاة مع سيده، إذا تمكّن من ذلك.

لهذا نرى منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية، تم تشجيع الأغنياء من المسلمين للقيام بعملية تحرير العبيد، وخاصة من الذين أسلموا من باب التقرب إلى الله، ولرفع الظلم الشديد الذي يلاقونه من قبل سادتهم من كفار قريش. وبين الله عز وجل الإيمان الحقيقي وأوجه البر في أمور عديدة ومنها عتق العبيد وتحريرهم من العبودية قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تَوْلُوا وَجْهَكُمْ قَبْلَ الْمِشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ الْبَرُّ مَنْ أَمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَاتَّى الْمَالَ عَلَى جَهَنَّمَ ذُوِّي الْقَرْبَى وَإِلْيَاتِمِي وَالْمَسَاكِينِ وَأَنِّي السَّبِيلُ وَالسَّائِلُينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَاتَّى الزَّكَاةَ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَإِلَصَابِرِينَ فِي الْبَاسِاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَاسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(47).

حيث حثّ الله عز وجل على عتق العبيد، بقوله ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، واعتبره بمરتبة واحدة مع الصدقات والزكاة والصلوة، ومن أفضل الأعمال قربى إلى الله عز وجل، والتي يسعى الإنسان المسلم لأدائها.

وحضر رسول الله ﷺ على عتق العبيد المسلمين، ورغب فيه، واعتبره عملاً هاماً من أعمال نيل رضي الله عز وجل. بل فيه الكثير من الحسنات، التي تنجي صاحبها من عذاب يوم القيمة.

قال رسول الله ﷺ: [إِيمَانُ رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللَّهَ بِكُلِّ عَضُوٍّ مِنْهُ عَضُوًّا مِنْهُ مِنَ النَّارِ] (48).  
وكانت تعاليم الإسلام تطلب من مالكي العبيد، أن يعاملوا العبيد المعاملة الحسنة، ويقدموا لهم الرعاية السليمة، التي تحفظ لهم كرامتهم وإنسانيتهم. وشدد الإسلام على المساواة بين العبد وسيده في المأكل والملبس قال رسول الله ﷺ: [أطعموهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون] (49).

ودعا رسول الله ﷺ إلى التعامل الندي بين السيد والرقيق، واعتباره أح له، لا عبدا مملوكا فقط وحرمانه من إنسانيته، حيث قال عليه الصلاة والسلام: [هُمْ إِخْرَانُكُمْ وَخَوْلُكُمْ جَعَلْنَاهُمُ الَّذِينَ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلِيَطْعَمْهُمْ مَا يَأْكُلُ، وَلِيَلْبِسْهُمْ مَا يَلْبِسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُونَ، فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعْنِيهُمْ] (50).

من ينظر إلى حديث رسول الله ﷺ هذا، يجد السلوك الإنساني السامي في معاملة الرقيق، حيث ليست المساواة في الأكل والمليس فقط، بل حتى في عدم التكليف بالعمل الصعب وغير المطاق من قبل الرقيق. فإن كان العمل من الصعوبة لا طاقة للعبد القيام به، ومن الضرورة تنفيذه، فعلى المالك تقديم المساعدة والمساندة له في التنفيذ.

من يقرأ هذا من العلماء والمهتمين في التاريخ، ويقارنون ما حاصل بهذه الطبقة من تعسف وظلم، وإنهاك لإنسانيتها عبر مراحل التاريخ، ومنذ ظهور الرق، حتىما كان يملك ضميرًا ووجودنا، سيقول: إن الإسلام أول من قام بتحرير الرقيق، وأول من سعى إلى رفع القيود عنهم، وإلى إعادة إنسانية الرقيق له. وليس غريبا أن يوصي رسول الله ﷺ بالرقيق حين يقول: (اتقوا الله في الضعيفين النساء والرقيق) (51).

وشهد بداية الدعوة الإسلامية في مكة، أولى عملية التحرير من قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حيث قام بشراء عدد من العبيد، وحررهم من العبودية. وقلده العديد من أغنياء المسلمين في عتق رقاب الكثير من العبيد المسلمين، وتحريرهم تقربا إلى الله عز وجل، وتنفيذًا لرغبات الإسلام في عتق الرقاب المؤمنة.

وأمر رسول ﷺ بأن يتم تغيير اسم العبيد إلى اسم (فتیان وفتیات)، لهذا أصبح يقال: فتیانکم وفتیاتکم. وهذا التغيير في الاسم والمعاملة كان له الاثر الكبير في إحداث نقلة نوعية في تحطيم كثير من القيود، التي كانت يكتب بها العبيد.

ولكن الأهم في عملية كسر أغلال العبودية، كان في المساواة السريعة بين السادة والعبيد المحررين في الحقوق والواجبات والتكاليف تجاه الدين والمجتمع والدولة. ولم تذكر كتب التاريخ أي حالة من نقص في تلك المساواة، بل وردت حادثة أثناء فتح مكة، أن بعض سادة قريش حاول النيل من بعض الأرقاء السابقين مثل بلال وصهيب، فغضب رسول الله ﷺ.

وزجرهم حين اعتبرهم أفضل منهم، لأسبقيتهم، وأنهم في مكانة متقدمة عليهم في الإسلام.

ونذكر من الأعمال التدريجية التي استخدمها الإسلام لتحرير العبيد، اعتبار تحرير العبد من الأعمال التي تنحي العبد من نار جهنم، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ (11) وما أدرك ما العقبة (2) فك رقبة (13) (سورة البلد).

ووضع الإسلام أحدى مصارف الزكاة، هي تحرير العبيد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَاللَّهُ حَكِيمٌ﴾ (52).

كما وضع الإسلام من كفارات بعض الخطايا والذنوب تحرير العبيد، وعتقهم، ومنها كفارة القتل بالخطا، قال تعالى: ﴿أَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُقْتَلُ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتُحرِّرُ رِقْبَةً مُؤْمِنَةً وَدِيَةً مُسْلِمَةً إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصْدِقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوَّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتُحرِّرُ رِقْبَةً مُؤْمِنَةً وَأَنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيَانِقٌ فَدِيَةً مُسْلِمَةً إِلَى أَهْلِهِ وَتُحرِّرُ رِقْبَةً مُؤْمِنَةً فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصَامَ شَهْرِيْنَ مُتَابِعِيْنَ تُوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمًا حَكِيمًا﴾ (53).

وفرض الإسلام عتق العبد وتحريره من العبودية في مسألة (الظهور)، وهي عادة جاهلية يقوم بها الرجال، لفك العلاقة الزوجية بين الزوج وزوجته. حيث يقول لها (أنت على كظهر أمي)، فترحم عليه، كما حرمت عليه أمه الحقيقة، فابتطل الإسلام هذه العادة السيئة، مؤكداً أن الأم هي الأم الحقيقة، التي ولدته، ولن تكون زوجته مهمماً قال. لهذا فرض على الزوج، الذي استخدم مسألة الظهور قبل أن يراجع زوجته، أن يقوم بعتق عبده، وتحريره من العبودية قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتُحرِّرُ رِقْبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسُ ذَلِكُمْ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ (54).

ومن المشجعات ما أمر النبي ﷺ المسلمين بتحرير العبيد حين كسوف الشمس قالـت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (أمر النبي ﷺ بالعناقـة في كسوف الشمس) (55).

ودعا النبي ﷺ إلى تشجيع الزواج من العبيد، وعتقهن. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قالـ: قال رسول الله ﷺ (أيما رجل كانت له جارية فأدبهـا فأحسنـا تأدبيـها واعتقـها وتزوجـها فـله أجران) (56).

فالإسلام إذن كان منذ بدايات دعوته في مكة المكرمة، يدعو إلى تحرير العبيد، ولكن استخدم عمليات التدرج في التحرير كما بينا، حيث كانت الظروف الدولية آنذاك، وما صاحب الدعوة من عمليات حربية دفاعـاً عن نفسها، في مواجهـة أكبر دولـتين في العالم آنذاك الفرس والروم إضافة إلى العرب المناوئـين لهاـ، كانت تتطلب التدرج.

•

## \* الفصل السادس الشوري جوهر النظام الإسلامي

كثيراً ما اتهم الإسلام ظلماً وزوراً برفضه للديمقراطية، واتصافه بالاستبداد من قبل الكثير من كتاب الغرب والشرق معاً، علماً أن الإسلام جاء لينهي أنظمة الاستعباد والمؤلهة لنفسها، والتي تترفع على رعيتها، وتقسم مجتمعها إلى طبقات هرمية، تكون الطبقة الحاكمة أعلىها، وتليها طبقة النبلاء ثم التجار فالفلاحين وبقية الرعية، وأدنىها طبقة العبيد التي لا تملك حتى قرار نفسها. ولا تقرب الطبقة الحاكمة إلا حاشية تتكون من النبلاء والأثرياء من علية القوم، الذين يكونون مؤسسات الحكم والمنشورة. وحتى البرلمانات التي تشكلت في روما، كانت مقصورة فقط على النبلاء والأثرياء. أما بقية الطبقات في المجتمع كانت معدومة الرأي والاختيار لتنظيمها ولحكمها، فالمؤسسات الديمقراطية المزعومة أثناء ظهور الإسلام سواء في بيزنطة وروما وفارس كانت فقط لحاشية الحاكم والطبقة النبلية.

في حين أحدث الإسلام نظام الشوري كأول أسلوب ديمقراطي في القرون الوسطى، وفق ما طلب الله عز وجل من الرسول ﷺ: [.. وشاورهم في الأمر..] (57). وأحدث قانون البيعة العامة لل الخليفة بعد ذلك، والتي تشارك فيها كافة طبقات المجتمع دون استثناء ولا تخصيص، وأحدث مجلساً مصغراً لأهل العقد والحل، ليتمثلوا عاملاً الناس في ترشيح الخليفة.

أما الشوري في الإسلام فلا تمييز بين غني وفقير، فهي لعامة المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورٰيٰ بَيْنَهُمْ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ (58). فلم تستثن الآية الكريمة أحد من المسلمين في مسألة الشوري بل هي للجميع. وهنا تتجلّى الحرية في أجمل صورها في الاختيار الإرادي للمسلم عبر الشوري.

والشوري هي كما وردت في الآيات الكريمة هي فريضة واجبة، وليس فقط حقاً من حقوق الأمة، ويقول الدكتور محمد

عمارة: (لم يقف الإسلام من الشورى عند حد اعتبارها "حقاً" من حقوق الإنسان.. وإنما ذهب فيها كما هي عادته مع ما اعتبر في الحضارات الأخرى مجرد حقوق - ذهب فيها إلى حد جعلها "فريضة شرعية واجبة" على كافة الأمة وفي كل مناحي السلوك الإنساني)(59).

ويرى الدكتور محمد عمارة، أن الشورى الإسلامية تقوم على الأسس التالية:

\* الأمة فيها وبها، هي مصدر السلطات وصاحبة السلطان في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران.

\* وهذه الأمة تختار ممثليها العارفين بالواقع وبالشريعة معاً... وهم أهل الاختيار، الذين يختارون رأس الدولة الإسلامية... وكذلك أهل العقد والحل، الذين يحافظون على اتساق الواقع مع "الشريعة" ويتطورون "التشريع" ليلائم الواقع الجديد.

\* وهذه الأمة، من وراء ممثليها، عليها وعليهم فريضة مراقبة حكومتها.. ومحاسبتها.. والأخذ على يديها.. ولها كل عليها.. فريضة تغيير هذه الحكومة، إن هي فسقت، أو جارت، أو ضعفت عن النهوض، بما فوضت إليها من مهام! - تصنع ذلك بالسلم إن أمكن.. وبالثورة إن لم يكن بد من ذلك!..

أما حدود الشريعة والأطر التي حددها الدين ورسمها. فإنها لا تمثل انتقاداً من حق الأمة في أن تكون، في بُشّرها. مصدر للسلطة والسلطان.. لأن هذه الحدود والأطر هي الثوابت الكافية لتحقيق مصالح مجموع الأمة وأفرادها.. ومن ثم فإن حرية الأمة -بواسطة ممثليها- في التشريع عندما تقف عند الحدود التي لا يجوز تجاوزها.

وهي إبقاء الحرام حراماً والحلال حلالاً، فليس في ذلك انتقاد من حرية الأمة. وإنما هو التزام بالأطر الدينية المحققة لمصلحة الأمة كما رأها الشارع سبحانه وتعالى..(60).

ويرى رجاء (روجيه) غارودي في السلطة السياسية التي أقيمت في المدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ وسلم وخلفائه الراشدين: (أنه بفضل مبدأين أساسيين وهما: المبدأ القائل بأن السلطة لله وحده، وكل سلطة اجتماعية يجب أن يعاد فيها النظر. ومبدأ (الشورى) الذي ينفي كل واسطة بين الله والشعب. بفضل هذين المبدأين، تم إبعاد كل طغيان مطلق يخلع سلطاته صفة القدسية، ويجعل من الحاكم إليها على الأرض. كما تم استبعاد أية (ديمقراطية) من طراز غربي، أي تلك التي تتصف بالفردية، وتغلب الكم على الكيف، وبالجمود والوصاية واستلاب الإنسان، فالحرية ليست سلبية واعتزلًا بل هي إتمام لمشيئة الله)(61).

## \* النظام الراشدي أنموذجًا

لقد أوجد الرسول ﷺ أنموذجًا فريداً في الحكم، في زمن كان يسود العالم القهر والظلم على يدي أباطرة وملوك وحكام، حيث كان البعض منهم يعتبر نفسه أنه إله في الأرض، لا يمكن مسأله أو محاسبيه من أي سلطة كانت، فهو صانع السلطات التنفيذية والتشريعية، وهو فوقها جميعاً، بحسبها متى شاء، ويقيها ويزيلها متى شاء، مجرد دمية يحركها كما يريد، والرعاية في مفهومه هم جزء من ممتلكاته.

فأقام الرسول عليه الصلاة والسلام أول دولة في العالم، مؤسسة على المساواة بين الحاكم والرعيية، ينصف فيها الجميع دون استثناء. وقد يقول قائل كان في أثينا دولة ديمقراطية، نقول نعم، ولكن كانت فقط لرجال أثينا من طبقة الأحرار، أما بقية الناس ليس لهم آية حقوق. في حين الإسلام ساوي بين الحر والعبد والرجل والمرأة، والكل تحت قاعدة قانونية حددها رسول الله ﷺ (الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى).

وكذلك كافة الرعية أمام القضاء متساوون لا فرق بين الجميع حاكم ومحكوم، يقف أمام القاضي الشاكِي والمشتكِي مهما كانت مرتبته الحكومية حتى وإن كان رئيس الدولة. ولا يفرق قانون الشريعة الإسلامية بين العبد وسيده. فالحقوق القانونية مضمونة لكافة الناس.

وتعتبر خزينة الدولة (بيت مال المسلمين) هي ملكية عامة لكافحة المسلمين دون استثناء، لا يستطيع الحاكم التصرف بها، إلا وفق قواعد محددة في الشريعة، وللحجيم حصة في تلك الخزينة.

وأهم ما اتسمت به الدولة العدل، والذي يعتبر أساس الحرية وضمان الحقوق، فسيادة القانون على كافة أفراد المجتمع، تطبق على الجميع، فكثيراً ما وقف بعض الخلفاء أمام القاضي في قضية مثارة عليهم من أحد الرعية سواء أكان مسلماً أو من أهل الكتاب، وعوْنَالِ الحاكم المدعى عليه مع المدعى من الرعية على قدم المساواة أمام القضاة.

وضمنت الدولة الحرية الاقتصادية، واعتبرت قانون التراضي شرطاً في البيع قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ (62). ووضع على التجارة سواء البيع الفردي أو الإجمالي رقابة تموينية سميت (بالحسنة) تمنعها من الاستغلال والفساد والغش، ووضعت الدولة على الناتج الاقتصادي الزراعي والتجاري والرعيوي رسوماً سواء في الزكاة أو غيرها من الرسوم، ليصرف مع بقية ما يأخذ من زكوة من رؤوس الأموال على كافة أفراد الشعب واحتياجات الدولة العسكرية والإدارية.

وفي النظام السياسي تم تأسيس أول دولة رئاسية جمهورية في التاريخ، لا تعتمد اختيارات حكامها على النسب

والعشيرة والمال والوراثة والقوة العسكرية، بل اعتمدت على التقوى، والحكمة، والاسبقية في الإسلام، وصلاحية سيرة الحاكم الذاتية، والقدرة على إدارة الأزمات، وعلى ملكته الشخصية في الإمساك بزمام الأمور، وعلى ما يملك من إمكانات معرفية عالية في الدين والشريعة، وهذا ما تم فعلاً في العهد الراشدي.

فالاختيارات التي تمت للخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على قاعدة ما أشرنا إليه. وقد يدعى بعض أعداء الإسلام من الذين يحاولون الولوج إلى ثغرة من التغرات لنقد النطام الإسلامي ومنها الخلافة الراشدية، فيدعى أنها لم تكن نظاماً تشاوريَاً وباختيارات ديمقراطية، ويضرب مثلاً على اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لخلافته. فجتما أنه سيكون جاهلاً بالواقع التاريخي لعملية الاختيار. فأبو بكر رضي الله عنه قد أشار أهل العقد والحل في عملية الاستخلاف، فالحقيقة التاريخية تقول: (فجمع إليه نخبة من أهل الرأي وقال لهم فيما قال: " .. قد أطلق الله إيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فامرروا عليكم من أحبيتم، فإنكم إن أمررتם في حياة مني كان أجدر لا تختلفوا بعدى" .

فلم يستقم لهم أمر، كما جاء في رواية الحسن البصري، ورجعوا إليه يقولون "إن الرأي يا خليفة رسول الله رأيك" فاستمهم لهم حتى ينظر لله ولدينه ولعباده". ثم استقر رأيه على استخلاف عمر بعد مشاورته عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وأسید بن الخضير وسأل عليه فقال: "عمر عند ظنك به، ورأيك فيه، إن ولتيه -مع أنه كان والياً معك- نحظى برأيه ونأخذ منه، فامض لما ت يريد، ودع مخاطبة الرجل، فإن يكن ما طنبت إن شاء الله فله عمدت، وإن يكن ما لا تظن لم ترد إلا الخير".

وأمل أبو بكر كتاب العهد على عثمان بن عفان، فكتبه، وختمه، وخرج به مختوماً، ونادى الناس: "أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟". وقيل أن أبياً بكر أشرف على الملا من كوة في غرفته، فقال: "يا أبا الناس! أني عهدت عهداً أفترضونه؟" فقالوا "رضينا يا خليفة رسول الله". وقام على كرم الله وجهه فقال "لا نرضى إلا أن يكون عمر". ثم كانت البيعة التي أجمع عليها المسلمين (63).

لهذا يعتبر فترة الرسول ﷺ وال فترة الراشدية النموذج الحقيقي للنظام الإسلامي.

\* شكل الحكومة الراشدية الأولى  
كتب محمود عباس العقاد حول الحكومة الراشدية يقول:  
(فأي حكومة هي حكومة الصديق أو حكومة الإسلام في عهده؟).

وأي عناوين الحكم في هذا العصر الحديث؟

الديمقراطية - ولا ريب - هي أقرب النظم إلى نظام الحكم في عهد الصديق، ولكن الديمقراطية أشكال تختلف في العصر الواحد بين أمة وأمة، ولها قواعد دستورية ومقدمات تاريخية من العسير، أن نوحذ بينها وبين قواعد الخلافة ومقدماتها، ومن السهل جداً مع هذا نصّف عن هذا التوحيد دون بعض من نوع الحكومة في صدر الإسلام.

فليس من المحقق أن حكومة الإسلام يومئذ توصف بالديمقراطية على المعنى الذي نفهمه من هذه الكلمة هذه الأيام.

ولكن من المحقق أن الحكومة الإسلامية على النحو الذي جاء به القرآن الكريم، وانفق عليه المسلمون كانت بعيدة كل البعد عن جميع أنواع الحكومات المعيبة أو جميع المبادئ التي تستند في تقرير حكم الشعوب على أساس معيب.

فإذا كانت حكومة الخلافة لم تقرر الديمقراطية على أساسها العصري المعروف بينما فهي - بلا ريب - قد أبعدت مبادئ الأوتوقراطية، ومبادئ الثيوقراطية ومبادئ الأليجارية، ومبادئ حكومة الغوغاء، وسائل المبادئ التي لا تستقيم مع حرية الفرد ومع الفطرة السليمة).

وعدد عباس محمود العقاد أشكال تلك النماذج من الحكومات وبين أن الإسلام يرفضها قائلاً: (فالأوتوقراطية وهي حكومة الفرد المستبد ممنوعة في الإسلام، لأن القرآن الكريم يأمر النبي ﷺ أن يشاورهم في الأمر، وينص على أن (أمرهم شوري بينهم). وإذا كان النبي ﷺ الذي يتلقى الوحي الإلهي لا يَحل عن مشاورة أتباعه، والرجوع إلى رأيهم في سياساته، فغيره من ولاة الأمر أولى أن يتقييد بالشوري، ويتجنب حكومة الطغيان. والثيوقراطية وهي حكومة التي يدعى فيها الحاكمون صفة الـهـيـةـ ممنوعة كذلك في الإسلام. لأن القرآن الكريم يعلم المسلمين أن النبي ﷺ بشر مثلهم، ويبطل الكـاهـةـ والـوـاسـطةـ بين الإنسان وربه، وقد نهى النبي ﷺ ولاته وأمراء جيشه، أن يبرموا العهود باسم الله أو باسم رسوله...).

والـأـلـيـجـارـكـيـةـ وهي حـكـومـةـ الفـئـةـ القـلـيلـةـ من الأـعـيـانـ والـشـروـاتـ ممنوعة كذلك من المسلمين، لأن بـيـعـةـ الـخـاصـةـ في إـسـلـامـ لا تـغـيـرـ عن بـيـعـةـ الـعـامـةـ، وليـسـ في إـسـلـامـ سـادـةـ نـسـبـ كـمـاـ جاءـ فيـ الـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ: "أـسـمـعـواـ وـأـطـيـعـواـ وـإـنـ اـسـتـعـمـلـ عـلـيـكـمـ عـبـدـ حـبـشـيـ كـانـ رـأـسـهـ زـيـبـةـ".

وـحـكـومـةـ الـأـهـوـاءـ سـوـاءـ كـانـ أـهـوـاءـ الـوـجـوهـ أوـ أـهـوـاءـ السـوـادـ مـمـنـوـعـةـ كـمـاـ منـعـتـ الـحـكـومـاتـ الـتـيـ أـسـلـفـنـاـهاـ، فـلـيـسـتـ أـهـوـاءـ الـمـحـكـومـينـ مـعـنـيـةـ عـنـ أـصـوـلـ الـحـقـ وـالـعـدـلـ، وـدـسـتـورـ الشـرـيعـةـ وـالـنـظـامـ، وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ: "فـاحـكـمـ بـيـنـهـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ وـلـاـ تـبـعـ أـهـوـاءـهـ عـمـاـ جـاءـكـ مـنـ الـحـقـ، لـكـ جـعـلـنـاـ مـنـكـ".

شروعه ومنها جاً (٦٤) .

#### \* النص العقدي بين الأمة وال الخليفة

ومن يقرأ خطبة الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يجد فيها العلاقة العقدية، التي تفرض إقامتها بين الحاكم والأمة، والمبنية على أساس البناء العادل في النظام الإسلامي، وهي الطاعة للحاكم ما دام ملتزمًا بالشريعة الإسلامية ونصوص هذا التعاقد، فإن تمت المخالفة لهذه الأسس العقدية، طلب من الأمة إجراء التقويم المطلوب للحاكم عما خالف وشدّ عنه. فال الخليفة في بداية البيان السلطوي الأول، يذكر أن الاختيار الذي تم له من قبل الأمة ليس لكونه أفضalem، ولكنه جاء باختيارات الأمة ومبايعته له (فإني وليت عليكم، ولست بخيركم). ولهذا وضع ميثاقاً عقدياً بين الأمة والحاكم، ويعتبر هذا العقد هو من صلب روح الإسلام في تحديد سلطات الأمة والحاكم.

ولهذا نرى ما جاء في هذا الميثاق الذي طرحته الخليفة الأول، ووافقت عليه الأمة التالي:

- 1- القرآن الكريم والسنّة مصدر التشريع والدستور الناظم للدولة، وتحري محاسبة الخليفة عند مخالفتهما أو تجاوزهما من قبل الأمة أو ممثليها من أهل الحل والعقد، حيث يفقد الطاعة الشرعية، وهذا ما نص عليه البيان: (أطیعونی ما أطعut الله ورسوله، فإذا عصیت الله ورسوله فلا طاعة لی علیکم..)
- 2- ممثلو الأمة هم الذين يختارون الخليفة وهم أهل الاختيار وهم من فقهاء الأمة وعلمائها.
- 3- الأمة مصدر السلطة وتملك سلطة المحاسبة والعزل، وتنص الإشارة إليها في الكلمة بقوله: (إإن أحسنـت فاعینونـی، وـإن أـسـات فـقـومـونـی).
- 4- أن يكون الحاكم صادقاً مع أمته، وإن كذب عليها فقد خانها (الصدق أمانة، والكذب خيانة).
- 5- المساواة والإنصاف بين الجميع دون النظر للضعف والقوة (الضعف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله).
- 6- الحاكم يشركي أي فرد من أفراد الأمة، وليس معصوماً عن الخطأ، لذا لا بد من التصحيح له في حال وقوعه في الخطأ (أيها الناس أنا مثلكم، وأني لا أدرى لعلكم ستتكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطبق، إن الله أصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني) فكم نرى اليوم بعد مرور ألف واثي عشرة عام من حكام على الأرض، يدعون أنهم أنصاف الله، لا

**يخطئون أبداً، بل كل ما يقولون ويعملون له مرتبة القدسية؟**

**7- الحاكم كونه من البشر، فإنه يصاب في الغرور، وتنزيل العمل من قبل وساوس الشيطان وهو النفس (الآن وإنما لي شيطان يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبني) (النص في الملحق).**

**\* الصفات المطلوبة في الحاكم المسلم**  
يعتبر وجود حاكم يرأس الدولة ضرورة أساسية في هيكلية الدولة الإسلامية، وهي فرض كفائية. ويتم اختياره من أهل الاجتهد الذين توفر فيهم ثلات شروط هي:

**1- العدالة.**  
2- العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة.  
3- أن يكونوا من أهل الرأي والتدبر، المؤديين إلى اختيار من هو للإمامية أصلح (65).  
وجاء في حديث لرسول الله ﷺ شروطاً للحاكم المسلم ومنها:

**1- أن يكون من قريش.**  
**2- أن يتصف بالعدل والرحمة والوفاء بالعهد.** قال رسول الله ﷺ: (الملك في قريش لهم عليكم، ولكن عليهم مثله، ما حكمو فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (66)

وجاء في فقه أحمد بن حنبل صفات الإمام ما يلي:  
- بالغاً عاقلاً، لأن غير البالغ يحتاج إلى ما يلي أمره، فلا يلي أمره غيره.

- سميغاً بصيراً ناطقاً، لأن غير المتصل بهذه الصفات لا يصلح للسياسة.

- حرراً لا عبداً، لأن الإمام ذات الولاية العامة لا يكون ولينا عليه غيره.  
- ذكرأ.

- عدلاً وقال هنا ابن حنبل حول موضوع العدالة، تشترط في ولادة القضاء، ولكنها لا تشترط في رأيه في الحاكم وأن اعتصب السلطة، بل واقر في إمامية مغتصب السلطة، وعدم مخالفته، فهو يقول: (وهي دون الإمامة العظمى فإن قهر الناس غير عدل فهو إمام) (67).

ولكن في رأيي المتواضع والله أعلم، أن اعتصاف السلطة، وقهر الناس على مباعنته، فهي إكراه، ومباعدة المكره كما أرى باطلة، ومن هنا تبطل ولادة المغتصب والله أعلم.

-غير عاجز (معاق). وذهب اليدين والرجلين يمنع ابتداءها واستدامتها.

ومن الصفات التي يراها ابن حنبل أن لا يعزل الحاكم لفسقه، بل يعزل فيها القاضي تحت تبرير (لما فيه من المفسدة) ويستند لحديث (...إلا تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان) (68).

وأرى والله أعلم، أن الفاسق لا يمكن أن ظهر فسقه الاستمرارية في الحكم، لما فيه المفسدة للأمة والدين. والحديث الذي يورده الإمام أحمد جاء من رواية عبادة بن الصامت حول مبايعة الرسول ﷺ، وهي بيعة للرسول عليه الصلاة والسلام، والبيعة لمن أمر بإقامة العدل والإنصاف. وكان خير حكام الأرض جميعاً في تطبيق العدالة والمساواة، والمثل الأعلى في السلوك الإنساني المبني على قيم العدالة. أرى ليس من الأنصاف مساواة رسول الله ﷺ ببقية الحكام المسلمين وغيرهم. واعتبارهم واحداً من حيث الطاعة. فكم من حاكم على مرور الأربعين عشر قرناً على ظهور الإسلام كاد ظلمه وجوره، يتجاوز فرعون المثل في الظفريان والظلم؟ وكم حاكم مستبد ضيع الأمة والدين، بإعلان فسقه وجوره، فدمر الأمة، وشوه صورة الدين؟

إن البيعة على عدم المنازعه والسمع والطاعة، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ، كانت على ما اوتى به من ربه، وما سنن من الشرائع، وعدم المعارضه والتغيير بالقوة لنظام فاسد تحت ذريعة السمع والطاعة خوفاً من مفسدة وفتنة، سيكون كما الساكت عن الحق أي شيطان آخرس كما ورد في الحديث الشريف.

بل الرسول الأعظم ﷺ أبطل صلاة الإمام المكره من المأمومين، وبين عباس العقاد أن (قوام الرئاسة والإمامية عنده (ويقصد هنا رسول الله) شرطان هما: جماع الشروط في كل رئاسة، وهذا الكفاءة والحب: "أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل من استعمل فقد عشر الله وعش رسوله وعش المسلمين" وقال "أيما رجل أمّ قوماً وهم كارهون لم تجز صلاته أذنيه" (69).

فالقرآن الكريم الذي حذر من خطورة الفاسق، من أن يأتي بناءً كاذب، فيه هلاك إنسان أو أمة أو فيه هلاك للمال والعرض والنفس، وطلب أن يتم تدقيق أقواله والتأكد منها قبل اتخاذ القرار، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءً فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصْبِيَوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾ (0). فكيف يكون إذا كان الفاسق هو صاحب القرار في مصير الأمة والعباد؟

وتلك مصيبة كبرى حين يتولى هذا الفاسق أمر الأمة،

وال تاريخ مليء بال تبريرات لمستبدين اغتصبوا السلطة من قبل فقهاء السلطة . وبرروا جورهم وظلمتهم وفسادهم . يقول الدكتور محمد عماره : ( .. لكن مطالم التفرد والفردية والاستبداد التي جنحت بعيداً عن هذه الفلسفة للحكم ، قد أثمرت عصورها المظلمة وتطبيقاتها الطالمة فكراً هزلاً ، حاول أصحابه تزوير نسبه إلى الإسلام ، ليصيغوا عليه شرعية الدين ومشروعيته .. فزعموا أن الشوري غير ملزم للحاكم .. فعليه أن يستشير ، ثم بعد ذلك يمضي ما رأه ، حتى لو خالف الأمة جماعاً .. ولقد تجاهل هذا النفر من فقهاء الملوك والأمراء والسلطانين ما عنده ويعنيه قول الرسول ﷺ : " إن أمتي لا تجتمع على ضلاله " . ما يعنيه هذا الحديث من " عصمة الأمة " التي يتجسد اجتهادها ، ويتمثل في الصفوة الجامعة لقدرات المنشورة وأمكانات الاجتهداد .. فرأيناهم يرجحون كفة " الفرد الحاكم " على كفة " المشيرين " .

ولقد حاول هذا النفر من فقهاء السلطانين تزوير نسب هذا الفكر الشائئ إلى الإسلام . فقالوا : إن هذا هو ما يعنيه قول الله سبحانه في هذه الآية ﴿فَإِذَا عَزَّمْتُ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ .. فإذا استشار الحاكم كان قد أدى ما عليه .. وله بعد ذلك أن يعزّم ، أي يقرر ما يشاء .. ونسوا أن هذا " العزم " - القرار - هو - في سياق الآية - ثمرة الشوري ..

فالشوري إذا جردت من ثمرةها ، وهو القرار - العزم - كانت عقيماً .. بل مسرحية عبئية يحب أن يتنزه عنها الفكر الذي يعرض لآيات الله ، سبحانه بالنظر والتفسير .. (71).

وقد رفض عدد من خيرة صحابة رسول الله ﷺ الظلم والجور والاستبداد للحاكم ، ومنهم من تخرج من مدرسته الجليلة الشربة بعلوم الدين والمعرفة مثل الحسين بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما الذي عاش في بيت خالتة عائشة رضي الله عنها . وغيرهم من تبعوهم من خيرة الصحابة والتابعين لهي دلالات على ضرورة مواجهة الاستبداد والظلم والجور ، الذي يمارسه الحكام من الطغاة . وقد قال

رسول الله ﷺ عن هؤلاء ( عن حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال : إنها ستكون عليكم أمراء يظلمون ويذبحون فمن صدقهم يذبحهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ، ولست منه ، ولن يرث على الحوض : ومن لم يصدقهم يذبحهم ، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه ، وسيرد على الحوض ) (72).

وقيادة الحكم مسؤولية خطيرة في الإسلام ، فهي الخط المستقيم في العدل والإنصاف والرحمة والمساواة بين الرعية ، والحفظ على حدود الدولة وأمن الأمة . وبهذا قال رسول الله ﷺ : (السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر - وكان - يعني على الرعية الشكر . وإن

جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر، وكان على الرعية الصبر، وإن جار الولاة / قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة، هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة. وإذا خرفت الذمة أو بل أكفار أو كلمة نحوه (73).

والإمامية ليست مكسيماً، بل هي مفرماً لأن فيها وزر الأمة كلها، يحمله الحاكم يوم القيمة. عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (إن شئتم أنباتكم عن الإمارة وما هي؟) فناديت بأعلى صوتي ثلاث مرات ما هي يا رسول الله؟ قال: أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها: عذاب يوم القيمة إلا من عدل، وكيف يعدل مع أقربيه (74). لهذا كان الاتياء من المسلمين يتبعدون عنها لما فيها من حمل ثقيل تجاه أمته وربه ودينه.

من مواصفات الحاكم المسلم التواضع والمشاركة والحب المتبادل بينه وبين رعيته، فإذا كان الإمام في الصلاة تتطلّصاته، إن كان أمّ أناس كارهون له، فكيف بالحاكم؟ والمطلوب منه التبادل في مشاعر الحب بينه وبين شعبه.

ونذكر حادثة من السيرة النبوية الشريفة هنا، أن الرسول ﷺ كان يشارك أصحابه في السفر في الأعمال واحتياجات السفر، ونذكر قوله لأصحابه الذين توزعوا العمل: (وعليّ جمع الحطب). وحين قالوا له: يا رسول الله نكفيك العمل، قال: (علمت أنكم تكفووني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه).

وشارك رسول الله ﷺ في حفر الخندق بيديه الشريفتين أثناء غزوة الخندق المشهورة. وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى للحاكم المتواضع والمحبوب من قبل رعيته. وكان كذلك أصحابه من بعده أثناء خلافته أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم.

\* **المؤتمر الشعبي الأول في الإسلام (اجتماع السقيفة)**  
مؤتمر السقيفة الذي عقد بعد وفاة الرسول ﷺ، على الرغم من كثیر من الملاحظات عليه، والدراسات التي تناولته من إيجابيات وسلبيات، إلا أنه يشكل أولى مقدمات البحث عن دور الأمة في اختيار السلطة. وإن كانت ممثلة في شريحة معينة. ومن خلال المناقشات التي جرت في هذا المؤتمر أو الاجتماع تبرز ظاهر الديمقراطية والحرية في أجمل صورها، من خلال الحوار حول مواصفات الحاكم المطلوبة الذي يخلف رسول الله ﷺ.

كما ظهرت المعارضة وشرعيتها في المؤتمر، ولم تشر كتب التاريخ إنها حوسبت على اعتراضها واعتبار أنها، بعد أن أصبحت أهلية وتمت المبايعة للخليفة الأول من قبل أكثرية الأمة. وقد استمرت المعارضة ممثلة بسعدي بن عبادة للخليفة أبي بكر الصديق ومن بعده عمر بن الخطاب وحتى وفاته، ولم تجر له

أية مساعلة على رفضه للبيعة، بل بقيت له مكانته في الدولة من الاحترام والمكانة الرفيعة فيها، كونه من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أوائل الانصار. كما لم تقم السلطة بمحاسبة من اعترض على البيعة في المؤتمر.

ومن يقرأ ما أعقب مؤتمر السقيفه من معارضات لكتاب الصحابة، ومنهم العشرة المبشرين في الجنة، يدرك أن الإسلام قبل المعارضة للحاكم، ولكن ليست المعارضة التي تؤدي لتدمير الوطن، والأمن القومي والاجتماعي إلى الخطر الذي يهدد بناء الدولة. لهذا رأينا امتناع سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن المبايعة أشهرًا حتى وفاة سيدتنا فاطمة رضي الله عنها، وكانت مبايعته حين رأى اشتداد أزمة المرتدين، التي أصبحت تهدد وجود الإسلام والدولة الإسلامية. فتوحد الجميع في وجه الخطر.

كما امتنع في البدايات نفر من الأمويين على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه، والتقووا حول عثمان بن عفان، وأخرون حول سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف منبني زهرة. وهذه دلالة على أن المعارضة والرأي الآخر موجود في البذور الأولى للدولة الإسلامية. ولم يُكفر هؤلاء، بل لأن المعارضين هم أكثر علماء الأرض بعد الرسول ﷺ، وبينوا للأجيال القادمة أن عملهم هذا، ليس خروجاً عن تعاليم الإسلام، كما يدعى البعض من كتاب وفقاء السلطة (75).

وحول ما يقوله بعض العلماء: من مات، ولم تكن في عنقه بيعة للإمام، مات ميتة الجاهلية، يقول الدكتور محمد عمارة: (في المأثورات النبوية الشريفة أحاديث يرددوها ويدفعها كثير من "أمراه" الجماعات الإسلامية الجديدة، تحكم بالجاهلية على من فارق الجماعة، وعلى من مات وليس في عنقه بيعة للإمام.. وهم يتزددهم هذه الأحاديث يوجبون الطاعة (للأمراه) على الكافة، ويحرمون "المعارضة، و يجعلونها إثماً دينياً وخطيئة ترتد ب أصحابها إلى الجاهلية بعد الإسلام؟!

فأين يقف الإسلام الحق في هذه القضية؟ وما قوله الفصل في هذا الإشكال؟! إنه صحيح، وحق، وصدق أن رسول الله ﷺ قد قال -فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "من خلع بدأ من طاعة، لقي الله يوم القيمة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية".

لكن الأمر الذي يغفله -أو يتجاهله- هو لاء "الأمراء" أن هذه البيعة، التي يتحدث عنها الحديث النبوي الشريف كانت بيعة الذين أمنوا للرسول ﷺ، الذي دعاهم إلى الإيمان.. فهي البيعة له بالنبيه، وموضوعها التوحيد والإسلام.. إنها البيعة التي خرجوا بها من الجاهلية إلى الإسلام، ومن ثم فإن خلعها والخروج من طاعتها، هي -بالقطع- عودة إلى الجاهلية مرة أخرى.. فهي لم تكن بيعة من "الرعاية السياسية" لـمحمد ﷺ برئاسة "الدولة"، لأن هذه الرئاسة قد جاءت تبعاً، كضرورة اقتضتها "الدولة" التي

تأسست لسياسة الرعية وحماية الدين، وإنما كانت بيعة من "المؤمنين" للنبي الرسول عليه الصلاة والسلام.. فبيعة الرسول، هذه وحدها، دون أية بيعة أخرى لأي خليفة أو حاكم أو أمير، هي التي توصف بأنها هي "الإسلام"، وهي الدين بالدين الإسلامي.. إنها في الحقيقة: بيعة الله سبحانه وتعالى. التي قال عنها نبيه ﷺ أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله [الفتح-10] كما قال أيضاً [من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً] (النساء-80) ..

وليس كذلك بيعة أمراء السياسة والبولة والخلفاء والرؤساء في دولة الإسلام... فمعارضة هؤلاء الأمراء، ورفض البيعة لهم، لا خلاف منهجهم السياسي وسيبلهم في سياسة المجتمع وحكم الأمة عن منهج المعارضين لهم. لا يعني الانتقال بالمعارضين من معسكر الإسلام والإيمان إلى معسكر الجاهلية بأي حال من الأحوال.

إن الذين يرددون هذه المأثورات النبوية، موظفين لها في غير موضعها وإطارها، إنما يرتكبون خطأ سياسياً فاحشاً عندما يجتهدون لإسلام قيادة الأمة -كل الأمة- للأمراء، كل الأمراء.. ويرتكبون خطيئة دينية، عندما يذهبون فيسخرون المأثورات الدينية والأحاديث النبوية الشريفة في غير السياق الذي قيلت ورويت فيه.. وذلك ياب واسع لشـر مستطير شـاع ويـشـيع في كتابات العـدـيد من الإـسـلامـيـن (76).

### مساءلة الحاكم

كما ظهر في فترة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين مسألة (مساءلة الحاكم)، ليس فقط من قبل أهل العقد والحل، بل من قبل عامة الناس. فقد تمت مساءلة الرسول من إعرابي في توزيع الغنائم بعد غزوة حنين، ورفضت امرأة تحديد المهر، الذي أشار إليه الخليفة عمر بن الخطاب. واحتج إعرابي على توزيع الشاب حين وجد أن ثوب الخليفة عمر أطول من ثوبه، وهناك الكثير من كتب السير وتاريخ الفترة الراشدية تظهر قانون المساءلة، وحتى في حضور الخليفة شخصياً أمام القاضي من شكوى لمواطن أقام عليه دعوة في القضاة.

وكان الإسلام لكتير من الشعوب والطبقات الفقيرة المخلص المنتظر من الظلم والجيف والقهـر والعبودية، فحرر الإسلام الفلاحـين (الاقنان) عـبـدـ الأرضـ فـيـ الـأنـدـلـسـ (ـإـسـبـانـيـاـ) حـينـ دـخـلـوهـاـ، وـحـرـرـواـ مـلـيـنـ الـمـسـتـضـعـفـينـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ وـفـارـسـ وـآسـيـاـ. وـبـشـاهـدـةـ كـافـةـ الـمـؤـرـخـينـ إـنـ الـفـاتـحـيـنـ الـعـربـ كـانـواـ مـبـاـشـرـةـ يـتـسـلـوـونـ فـيـ الـحـقـوقـ وـالـواـحـدـيـاتـ بـعـدـ فـتـحـ أيـ مـدـيـنـةـ وـبـلـدـ بـعـدـ إـسـلـامـهـاـ، أـوـ دـفـعـهـاـ لـلـجـزـيـةـ. وـمـنـ هـنـاـ كـانـ قـوـلـ الـمـؤـرـخـ الـأـورـبـيـ (ـلـمـ يـعـرـفـ الـتـارـيخـ فـاتـحـ أـرـحـمـ مـنـ الـعـربـ) وـالـرـحـمـةـ كـانـتـ لـيـسـ مـنـ اـنـتـمـاءـ الـقـوـمـ لـلـعـرـوـيـةـ، بـلـ الـسـلـوكـ فـيـ الـذـيـ فـرـضـهـ إـسـلـامـ عـلـىـ أـتـبـاعـهـ.

\* المساواة أساس الحرية في الإسلام  
الحرية أساسها المساواة بين الرعية جميعاً دون أي تفريق بين غني وفقير وعبد وسيد وحاكم ومحكوم، وانفاء الظلم والقهقر من أي مصدر مالي أو سلطوي، لهذا كانت أولى توجهات الرسالة الإسلامية هي، تحقيق المساواة بين الناس أمام قوانين الشريعة، قال رسول الله : (الناس سواسية كأسنان المشط، ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتفوى).

ولا فروق في الإسلام بين المستويات الاجتماعية والاقتصادية في الرغبة، وحتى بين البشر جمياً من سكان الأرض، إنما الفرق الوحيد بينهم هو في التقوى، والتي تتضمن كل أشكال الطهر والاستقامة والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَقَبَائلٌ لَتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرِكُمْ﴾ (77).

وفي الختام أورد عن الحرية في الإسلام ما قاله المغيرة بن شعبة لرسوله قائد جيش فارس: (إتنا معيشة العرب لا نستعيد بعضنا بعضاً، فطننت أنكم تداسوون قوتكم كما نتواسي، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب لبعض) فقال الدهاقين: ﴿وَاللَّهُ لَقَدْ رَمَى بِكُلِّمَ لَا تَزَالْ عَيْدَنَا يَنْتَزِعُونَ إِلَيْهِ، قَاتِلُ أَوْلَيْنَا حِينَ كَانَ يَصْغِرُونَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ﴾ (78).



- (1)-صحيفة الفاييتشال تايمز - 24/9/2002  
(2)-Samuel P. Huntington, *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* (New York: Simon and Schuster, 1998) p. 125

3-البقرة-257

4-الرعد-8

5-البقرة

3-الفرقان-

6-الشعراء-29

7-الشعراء-

8-السفير اللبناني - العدد 9303 / 17/9 / 2002

9-الحج-73

10-البقرة-40

11-الإسراء-70

12-آل عمران-190

13-البقرة-31

- 14-سورة العلق  
 15-الزمر - 9  
 16-الزمر  
 17-البقرة 256  
 18-يونس - 108  
 19-سبأ - 28  
 20-النمل - 92  
 21-الكهف - 56  
 22-النساء 165  
 23-النساء 170  
 24-الأعراف - 157  
 25-ابن الأثير - الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت - 1979 - المجلد الثاني  
 ص 462  
 26-المصدر السابق - 463  
 27-البقرة  
 28-البقرة - 188  
 29-البقرة 29  
 30-النساء - 10  
 31-النساء 2  
 32-النساء - 22  
 33-صحيح البخاري - دار العلوم الإنسانية - دمشق 1993 - ص 2389  
 34-النساء - 23  
 35-البقرة  
 36-النمل  
 37-التكوير  
 38-النساء - 32  
 39-عباس العقاد - مجموعة العquerيات الإسلامية - دار الكتاب العربي -  
 بيروت 1992 - ط I - ص 106  
 40-الزمر - 6  
 41-سبأ -  
 42-هود  
 43-الأنعام  
 44-القصص - 5  
 45-صحيح البخاري - مصدر سابق - ص 6755  
 46-الأحزاب  
 47-البقرة - 177  
 48-صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 2 - ص 833  
 49-الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - تحقيق حبيب الأعظمي -  
 كشف الأسرار عن زوائد النزار على الكتب الستة - مؤسسة الرسالة  
 بيروت 1979 - ط I - ج 2 - ص 145.

- 50- عباس محمود العقاد - مجموعة العقارات الإسلامية - مصدر سابق -  
ص 142
- 142-المصدر السابق - ص 142
- 60-النوبة - 52
- 93-النساء - 53
- 3-المجادلة - 54
- 834- صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 2 - ص 159
- 843-المصدر السابق - ج 2 - ص 56
- 38-الشورى - 58
- 34-د. محمد عمارة - الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق المجلس  
الوطني للثقافة والأدب - الكويت - مايو / أيار 1985 - ص 57
- 54-المصدر السابق - ص 53 و 54
- 57-آل عمران - 59
- 29-النساء - 62
- 287-288- عباس محمود العقاد - مجموعة العقارات الإسلامية - مصدر سابق -  
ص 287
- 280-المصدر السابق - ص 279 م
- 519-1996- الدكتور علي أبو الخير - الواضح في فقه الإمام أحمد - دار الخير -  
بيروت - 65
- 228-الهيثمي - كشف الأسرار - مصدر سابق - 66
- 520-د. علي أبو الخير - الواضح في فقه الإمام أحمد - ص 521
- 68-المصدر السابق - ص 79
- 6-الحجرات - 70
- 71-د. محمد عمارة - الإسلام وحقوق الإنسان - مصدر سابق - ص 35 و 36
- 240/239-72-الهيثمي - كشف الأسرار - مصدر سابق - ج 2 - ص 73
- 233-المصدر السابق ص 74
- 238-المصدر السابق ص 75-ابن قتيبة - الإمامة والسياسة - القاهرة 1331هـ - ج 1 - ص 116
- 92/91-76-محمد عمارة - الإسلام وحقوق الإنسان - مصدر سابق - ص 13-الحجرات - 77
- .465-78-ابن الأثير - الكامل في التاريخ - مصدر سابق - ج 2 - ص 465.

## **الباب الخامس**

## **الإسلام والعدل**



## مقدمة

مما تضمنته الحملة الطالمة على الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، اتهمه زوراً وبهتاناً بأنه يدعو إلى الظلم، ويشجع على الاستبداد، ويرى لا يتنسم بالعدل بل بالتلخف والجهل. وإن كانت الحملة الغربية الصهيونية علىعروبة والإسلام اليوم، ليست بالجديدة. إنما جزء من حملات بذات من البيعة المحمدية، وسوف تتلون باشكال مختلفة وفق أزمنتها. لها هدف واحد هو نشر الأضاليل الكاذبة والمشوهة لحقيقة رسالة الإسلام العنيف، الذي يدعو لخلق مجتمع بشري يسوده العدل والمساواة، ينتهي منه الظلم والاستبداد والطغيان.

ومن أهداف الحملة إقناع الشارع الأوروبي والأمريكي، بأن الحضارة الإسلامية متدينة عن الحضارة الغربية كما عبر عن ذلك رئيس وزراء إيطاليا سيلفيو برلسكوني. وتطاول البعض على رسالة الإسلام، حين كتبت الكاتبة الإيطالية أورينا بلاتشي تقول: (إذا كان القرآن عادلاً، لماذا يعد العين بالعين والسن بالسن؟) ودعت الشباب الغربي لحرب دينية ضد الإسلام قائلة: (انهضوا أيها الشباب.. أنكم أمام حرب دينية) (1) ووصف المسلمين بالفتران التي تحيطهم الفاذورات.

وفي الحملة الطالمة التي يقودها بعض أعضاء الكنيسة الصهيونية أمثال القيس حيري فالويل والقس بات روبرتسون ضد الإسلاماتهموا رسوله الكريم في التطرف والإرهاب فيقول القيس حيري فالويل في مقابلة تلفزيونية مع محطة /سي. بي. آس / يوم الأحد 6/10/2003: (أنا أعتقد أن محمد كان إرهابياً. لقد قرأت كتابات مسلمين وغير مسلمين، لكنني أقرر أنه كان رجلاً عنيفاً، رجل حرب). أما القيس روبرتسون گان قد سبقه بالتناول من شخصية النبي ۮ في مقابلة تلفزيونية قال فيها: كان مجرد متطرف، لقد كان سارقاً وقاطع طريق) (2).

هكذا هي بعض الصور القليلة التي يبيتها الحاقدون من الغربيين المتصهينين إضافة إلى الصهاينة أنفسهم، الذين لم يتركوا وسيلة إلا وحاولوا تزوير حقيقة الإسلام الباحث عن السلام ونشر العدل في العالم كله، له وكل البشرية جموعه. حتى في فتوحاته التي قام بها لنشر العدل والمساواة، قال مؤرخ غربي (لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب). والحقيقة لم تر البشرية ديناً كالإسلام، يشدد على إقامة العدل

يُبَيِّنُ النَّاسُ عَلَىٰ مُخْتَلِفِ اِنْتِماَطِهِمْ وَعِقَادِهِمْ وَأَلوَانِهِمْ  
وَقُومِيَّاتِهِمْ، دُونَ النَّظَرِ إِنْ كَانُوا مِنْ أَتَبَاعِهِ أَوْ مِنْ أَتَبَاعِ دِيَانَةِ  
آخَرِيِّ، فَالْمِسَاوَاهُ وَالْعَدْلُ مِنْ صَلْبِ رَسُولِهِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ، لِأَنَّهُ  
دِينُ الْحَقِّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا مَا أَرْسَلْنَاكُ  
إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣٠).



## \* الفصل الأول

# رسالة الإسلام نشر العدل على الأرض

فكانت من أهم مهام أمة الإسلام نشر الدعوة إلى الحق، وإقامة العدل بين الناس قال تعالى: ﴿وَمِنْ خَلْقَنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْدُلُونَ﴾ . والعدل صفة من صفات الإسلام، وسمة من سماته. تعرفت عليه من خلاله شعوب الأرض، فامض به الكثير منهم، لما اتصف به من عدل ومقاومة للظلم بكل صوره وأشكاله.

والتاريخ حافل بالحوادث والقصص، التي تظهر العدل الذي مارسه المسلمون تطبيقاً لتعاليم الإسلام، التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة. فكانت تلك الممارسات حلال العهود الإسلامية قمة في السلوك الإنساني في تطبيق القانون، دون النظر إلى المستوى الطبقي أو الاجتماعي.

ويقدم التاريخ أمثلة حسنة على ممارسات العدل، ويظهر محاكمات لرأس الدولة (ال الخليفة) مع أحد أفراد الشعب العاديين على قضية خلافية أمام القضاء، وبالبعض منها كان بينه وبين مواطن من أهل الكتاب. وقد قضى بعض القضاة حكماً على رأس الدولة لصالح لهذا المواطن من أفراد الشعب ضد الخليفة. وهذا السلوك الدقيق في تطبيق القانون، لا يزال إلى هذا اليوم أمنية وهدفاً، تناضل من أجل تحقيقه كافة شعوب الأرض. بل من حلم الإنسانية، أن يقوم بناء نظام دولي مؤسس على العدل والمساواة. وهذا ما جاء به الإسلام، وسعى إليه، وفرضه على اتباعه، ودعا العالم لتطبيقه.

ولا غرابة في ذلك، فإن إقامة العدل بين الناس من الفرائض الأساسية، التي جاء بها الدين الإسلامي، وأحد أهم مركبات نظامه القانوني والسياسي. فالعدل أمر من الله عز وجل مفروض على آية سلطة إسلامية إقامته، وكافة الشرائع السماوية السابقة ﴿يَا دَاوِدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتْبَعِ الْهُوَى فَيَضْلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسَا يَوْمَ

الحساب(5)).

والعدل بين الناس مطالب بتنفيذه كل أفراد الأمة الإسلامية حكامًا ومحكومين، وتطبيق المساواة الكاملة أمام القاهاون الإسلامي لكافحة الرعية في الدولة، وإن أصيحت بالإثم الأمة كلها بسبب عدم التطبيق، وابتليت بالظلم والجور والفساد من حكامها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْأَمْانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَحْكُمُوا بِالْعِدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَعْمًا يَعْظِمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(6)).

ومن يقرأ الآية السابقة، يجد أن الله عز وجل، يأمر المسلمين بإقامة العدل بين كافة الناس دون تخصيص، والأمر هنا يعتبر في الإسلام، كما قلنا فريضة كما هي فرائض الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت. لذلك فإن المسلم مطالب بالرضاخ لقرارات وأحكام العدل وتنفيذ الحكم القضائي المستند على أساس القانون السماوي. وليس له الخيار في القبول أو الرفض بطاعة القانون الإسلامي في حال صدوره، بل الإذعان له وتنفيذه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دَعَوُا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(5) ومن يطبع الله ورسوله ويخشى الله ويتقىه فأولئك هم الفائزون (52)).

ومن أوامر الله عز وجل على الحاكم المسلم أو القاضي أو أي مسلم مكلف بالفصل في قضية ما، أن يحكم بالعدل والإنصاف، وأن يتبع عن أي هوى شخصي في تطبيق العدل، ولا يتأثر بمؤثرات صلات القرابة، في أن يقضى بالعدل، حتى لو كان أحد الخصمين أخوه أو أبوه أو قريبه من عشيرته، فعليه أن يقضي بالعدل، ويحق الحق، ليغدو برضى الله عز وجل، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَتْ فَاعْدُلُوا وَلَا كَانَ ذَا قُرْبَى﴾(8)).

وعلى القاضي أن يرفض أية ضغط عليه لينحرف عن العدل، سواء من سلطة أعلى منه، أو تحقيقاً لرغبات قريب أو بعيد، أو خوف من قوة مهما كانت، ولا يخشى أي تهديد، يمنعه من إقامة العدل. وعليه أن يتخذ قرار حكمه القضائي مبنياً على تحياته عن الحقيقة، ووفق البينة والدلائل والمعطيات، التي توفرت له من وقائع وشهود إثبات وغيرها من الأدلة المادية والحسية، فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْجَنَ حَنْ بِحَجْتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَلَا يَأْخُذُهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ﴾(9) وأن يحكم بما أنزل الله عز وجل، وليس برأيه الشخصي، لاستقامة العدل وفق القانون الإلهي الواحد للجميع، حيث يلقى عليه تبعات هذا الحكم، فإن أحسن أثيب، وإن أخطأ فقد ارتكب ذنبًا أمام الله. قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذِرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُم﴾(10)).

وأكد الله عز وجل في القرآن الكريم على إقامة العدل بين

الناس، دون النظر إلى الطرفين المتخاصمين وإلى انتماءاتهم الدينية أو العرقية. فالعدل يجب أن يقام، حتى وإن كان ينفذ على أقرب الناس للقاضي أو الحاكم أو الشخص الذي يفصل في قضية ما، والمطلوب من القاضي هدف محدد، هو إقامة العدل دون النظر إلى النتائج، التي ستعقب صدور هذا الحكم، حتى وإن أدى قرار الحكم إلى عزله أو إغضابه ولاة الأمور، وحتى وإن خسر نفسه. فالله عز وجل يطلب ويأمر بالعدل، ويجري القاضي الذي يقضي به، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١١).

فالعدل كما أشرنا سابقاً أمر من الله عز وجل، فرضه حل حلاله على الحكام المسلمين وعلى كل أفراد المجتمع الإسلامي بإقامته بين الناس، لأنه أحد ركائز أركان النظام الإسلامي، ومن أهم أسس بنائه الداخلي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَيُعِظُّكُمْ لِعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٢). كما يأتي ضمن قوانين السلوك المأمور المسلم بتطبيقها، فلا يمكن أن يبني مجتمع مسلم سليم دون إقامة العدل، لأن فيه سعادة المجتمع وتطوره وأمنه.

وليس هناك للمسلم في الاختيار بين العدل والظلم، أو القبول أو الرفض لشرع الله ورسوله ﷺ، لأن العدل والرضاخ لقراراته من صلب الإيمان، والاعتقاد بالدين الإسلامي. فطاعة الله عز وجل ورسوله فرض، وخلافها فسوق وكفر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَاكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١٣).

فالقبول بالحكم، والتقاضي بالشريعة الإسلامية الغراء، هو أمر من الله عز وجل. بل المطلوب من المسلم القبول بما يحكم به القضاء الإسلامي المستند على أحكام صادرة من التشريع الإسلامي العادل، وليس المطلوب من المسلم القبول فقط بتنفيذ الحكم كونه حكماً، بل القبول به برحابة صدر، والرضا به روحياً ومادياً، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَحَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مَا قُضِيَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (١٤) فمن سياق الآية الكريمة يتبيّن للقارئ مدى ما وصل إليه الإسلام في تنفيذ العدالة، فلا يقبل الإسلام من المسلم فقط تنفيذ الحكم، بل الرضا به معنوياً، حتى لا يبق في نفس المحكوم شيئاً من التنفيذ بالإكراه، بل القبول به من أعماق قلبه، لأنه من صلب الإيمان، وأن يستسلم لهذا الحكم بكل جوارحه.

كما أن الحكم الذي يقضي به القاضي، يجب أن يستند على الشريعة الإسلامية لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ حَصِيمًا وَالَّتِي أَبْثَقَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَنَةَ نَبِيِّهِ، فَالْحُكْمُ وَالْأَوْامِرُ

والواجبات والسنن، التي قالها الرسول ﷺ، الاحتکام بها أيضاً، أمراً من الله عز وجل الذي قال :『يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ الرَّسُولِ بِالْحَقِّ مِمَّا فَطَّنَنَا إِلَيْهِ أَخْرَىٰ لَكُمْ وَأَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكِيمًا (١٦٠)』 حتى يكون القبول به برضاء روحی، تتلاعاه النفس بسرور وطمأنينة، كونه يکسب رضا الرحمن عز وجل، وفيه الثواب الطیب في الدنيا والآخرة.

ومطلوب من المسلم أن يحتكم إلى القضاء في أية قضية خلافية بينه وبين شخص آخر أو في أية مظلمة ظلم بها، ويمنع أن يستخدم قوته الشخصية أو عشيرته أو جماعته أو نفوذه في تنفيذ حکم، حکم به شخصياً على آخر، كونه يرى أنه صاحب حق في اتخاذ قرار حکم به على الآخرين، أو أنه هو على صواب. فالواحد على المسلم أن يرفع مظلمته أو قضيته للقضاء ليفصل فيها. قال تعالى: 『وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٧)』. ومن هذه الرؤيا القرآنية الكريمة، يتبعنا لنا ما وصل إليه لإسلام من المدينة، في بناء المؤسسات الحضارية المتقدمة، والمبنية على سيادة القانون، ورفض القانون العشائري والأعراف القبلية المبنية في كثير منها على الجهل والظلم. وذلك منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

فالإسلام بدأ منذ الأيام الأولى بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة في تأسيس دولة القانون، ومارس تطبيقه على جميع رعايا الدولة، سواء أكانوا مسلمين أو من أهل الكتاب من خلال إقامة شرع الله عز وجل، وفق ما أنزل الله عز وجل في كتابه الكريم من أحكام وحدود. فكان القرآن الكريم دستوراً نشرع منه القوانين، فهو حكم الله عز وجل وما ورد في القرآن من أحكام وقوانين، ورد معظمها في التوراة والإنجيل والزبور وتعاليم الانبياء جميعاً، لذلك لا يوجد في كتب الله عز وجل إسلاماوية اختلاف أو تناقض، وهذا ما يعرفه أهل الكتاب، ويعلمون أن ما شرع الله عز وجل في القرآن الكريم هو حق، فما أنزل في القرآن من أحكام وحدود هي ما أنزل عليهم من قبل قال تعالى: 『أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ زِيَّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٨)』.

والعدل مطلب واجب تطبيقه بأمر من الله عز وجل، وقد جاء في كل رسالات الله عز وجل للبشرية جموعاً على لسان رسالته عليهم الصلاة والسلام، فامرهم بالدعوة إليه بين الناس، وأن تطبقه كل النظم الحاكمة على مختلف أشكالها وانتماءاتها القومية والدينية. وفرضت الكتب والتعاليم إسلاماوية عليهم وعلى أتباعهم بإقامته في حال وصولهم إلى الحكم، أو توقيع أمور الناس، وهذا ما أمر به داود عليه السلام حين استلم الحكم، وأصبح ملكاً علىبني إسرائيل، قال تعالى: 『يَا دَاؤِدُ إِنَّا

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى  
فيضلوك عن سبيل الله إن الذين يضللون عن سبيل الله لهم  
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب(19)).

إضافة إلى ما جاء في كتاب الله عز وجل من قوانين  
وتشريعات أي الأحكام والحدود، أضيفت إلى القانون الإسلامي  
ما سنّه رسول الله ﷺ من أحكام وتشريعات وممارسات قضائية  
تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَّا كُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهِ  
فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ . والتي استكملت  
بعدها مصادر التشريع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ من  
أجتهادات الخلفاء الراشدين وعلماء الفقه الإسلامي على  
مذاهبهم المعروفة.

إضافة إلى تلك المصادر أضيف القياس، فأصبحت مصادر  
التشريع الإسلامي أربع القرآن الكريم والسنّة الشريفة والاجتهاد  
والقياس.

ومن هنا كان بناء دولة الإسلام، كما قلنا مؤسسة على  
العدل من خلال سيادة القانون على الجميع دون استثناء، وبنى  
المسلمون أساس دولتهم على شعار خالد يقول: (العدل أساس  
الملك). وفي هذا البناء الحقوقي السماوي العادل، قام الإسلام  
بنصف البناء القانوني المستند على القبلية الجاهلية المتخلفة،  
الذي بنيت مؤسساته على الظلم والطبيعة وعدم المساواة،  
والتفريق بين الناس على قواعد المال الحاشر.

فساد العدل في جميع أركان الدولة الإسلامية في عهد  
رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده، وكذلك مورس في  
فترات مختلفة من العهود الإسلامية، التي أعقبت العهد  
الراشدي، من قبل قلة من حكام أتقوا الله عز وجل فحكموا  
بالعدل والقسط. حيث أقيمت المساواة الحقوقية بين الرعية  
جميعاً، فانتفت المظالم، وتحققت لأول مرة دولة القانون وألحق  
في جزيرة العرب والعالم الإسلامي، لا تفرق بين سيد وعبد ولا  
رئيس ولا مرؤوس.

العدل كما أشرنا مؤسسي على تعاليم الخالق عز وجل. ومن  
هو أعدل من الله عز وجل !!! فالله عز وجل هو العدل المطلقاً.  
وهو البصير بعباده، والأكثر خبرة ومعرفة في مكوناتهم الروحية  
والماادية. لهذا كانت تعاليم الإسلام التي يحتكم بها المسلمون  
في قضاياهم وفق كتاب الله وشرعنته الغراء، إنما تنفيذاً لقوله  
تعالى: ﴿وَمَا أَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَيَّ اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ  
رَبُّكُمْ تَوَكَّلُتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ (21)). ومن يراجع ب بصيرة خالية من  
كل ريب ما تحتوى كتاب الله من إحكام وتشريعات سيجدها  
حتى قمة في العدل والقسط.

وأين العدل اليوم الذي يتساوى فيه الناس كأسنان المشط؟  
وأين العدل الذي يقتصر من خليفة، يحكم نصف الأرض لمواطن  
فقير إذا ظلمه؟ فكم من قضية اليوم ذهب ضحيتها مئات أو  
الآلاف الآباء نتيجة نزوة أو طيش حاكم، أو قرار دولي تجافي

عن العدل، ونفذ لرغبات دولة مستبدة؟.. وكم من قضية فصل  
بها قضاء ظالم، أدت أحكامه إلى خراب أسر ومجتمعات  
وأفراد!؟. فالعدل حين يكون سيد قوانين وسلوك وتطبيقات أمة  
من الأمم، فسيحل الأمن والرخاء والسعادة على مجتمعها. لذا  
أكد الإسلام على أن بناء المجتمع النظيف، يتم من خلال  
ممارسة العدل دون تمييز بين أفراده وبقية المجتمعات الأخرى.



## \* الفصل الثاني القضاء والإسلام

إن مهمة القاضي من أصعب المهام في الإسلام، لما تتطلب منه الدقة والفصاحة، وأن توفر لديه كل الإمكانيات المعرفية في الشريعة، ومع القدرة الشخصية في امتلاك البصيرة، والدقة في الأمر، لإنصاف الناس، وارسال العدل بينهم. ومن أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها القاضي التالي:

- قال الحسن البصري: أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً. (22)

- وقال مزاجم بن زفر: قال لنا عمر بن عبد العزيز: خمس إذا أخطأ القاضي منهم خطأ، كانت فيه وصمة: أن يكون فهيمًا، حليمًا، عقيفًا، ضلبيًا، عالمًا سؤولاً عن العلم. (23)

- الحلم، وأن لا يقضى وهو غضبان. عن أبي بكرة أنه كتب لأبنته عبد الرحمن بن أبي بكرة (وكان بسجستان بأن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: [لا يقضىن حكم بين اثنين وهو غضبان] (24).

لذلك كان العلماء وفقهاء المسلمين الكبار يتهربون من مهمة القضاء خشية الوقوع في خطأ يغضب الله عز وجل، فيكون مصيره النار. ونذكر منها أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، طلب من عبد الله بن عمر بن الخطاب، أن يتولى القضاء بين الناس، فرفض. فقال عبد الله بن عمر: لا أقضى بين رجلين ما بقيت. فرد عليه عثمان رضي الله عنه: لتفعلن فإن أباك كان يقضي، فقال له عبد الله: كان أبي أعلم مني وأتقى.

وتعرض أبو حنيفة الإمام الفقيه المجتهد للتعذيب، حين رفض طلب الخليفة المنصور بتولي القضاء في ولاية الكوفة. وسجنه الخليفة أحد عشر يوماً، وكان كل يوم يجلد عشرة جلدات بالسوط في سجن، فتحمل العذاب على تولي القضاء. وحين قابل الخليفة، فطلب منه تولي القضاء، فقال له: أتق الله

ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله.. أنتي لا أصلح لذلك.  
قال الخليفة المنصور: كذبت! أنت تصلاح. فوجدها أبو حنفية  
مخرجاً له، فقال: لقد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك أن  
تولى قاضياً على أمانتك وهو كذاب؟ فسكت عنه الخليفة  
وتركته.

#### \* الشهادة فرض لضرورة العدل

والإسلام كما أنه يرفض مطلقاً أن لا يحكم إلا بالعدل، كذلك  
أيضاً يطلب بناء الأحكام القضائية على الأدلة والبيبة. وتاتي  
شهادة الشاهد على ما رأى، ولمس، وعرف باليقين الكامل  
البعيد عن الافتراء والتلويق والتزوير والكذب من أولى مقومات  
النطق بالحكم، ومن أسس بناء قرار القاضي.

الشهادة في الإسلام هي فرض على المسلم، عليه الإدلاء  
بها أمام القاضي، إن طلبت منه، أو لم تطلب منه. وخاصة أن  
عرف بأن ظلماً قد وقع على بريء، وهو يعلم بذلك. فعليه  
الإدلاء بها، وإن كان القاضي لم يستدعيه، أو يجهل بأنه يعلمها.  
 فهي في القرآن شهادة للله عز وجل. لذا طلب الله عز وجل من  
المسلمين، أن يقضوا بين الناس بالعدل، ويشهدوا بالحق. حتى  
وإن كانت هناك عداوة بينهم وبين أخوان لهم من المسلمين، أو  
بينهم وبين غير المسلمين.

فالعدل فرض وواجب إقامته، وكذلك الشهادة هي فرض  
وواجب الإدلاء بها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمَيْنَ  
لِهِ شَهَادَةٌ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَيْئٌ فَوْمٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا تَعْدِلُوا  
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (25).

لأن الشهادة هي إحدى أركان البيبة، ومن أسس إقامة  
مدلوارات الحكم، والمستند الرئيسي للقاضي في فصل القضية.  
والإسلام فرض الشهادة على اتباعه، ودعاهم إلى تقديمها  
لتبیان الحقيقة.

وأولى تلك الشهادات هي الشهادة بوحدانية الله عز وجل،  
وهي حق على كافة أتباع الديانات السماوية، وعدم كتمان  
شهادة مبينة من حقوق الله عز وجل قال تعالى: ﴿أَقْلِيلُ أَيْ شَيْءٍ  
أَكْبَرُ شَهَادَةٌ قَلَ اللَّهُ يَشْهِدُ بِيَنِي وَبِنِكُمْ وَأَوْحِيَ إِلَيْيَ هَذَا الْقُرْآنُ  
لَأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنْكُمْ لَتَشَهِّدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَمَّةُ أَخْرَىٰ قَلَ لَا  
أَشْهَدُ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَأَنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشَرَّكُونَ﴾ (19) الذين  
أتیناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا  
أنفسهم فهم لا يؤمنون (20) ومن أظلم ممن افترى على الله  
كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الطالمون (21).

وأشد الناس ظلماً من كتم شهادة عنده لله في وحدانيته، أو  
إخفاء ما جاء في كتبه المقدسة من حقائق المعرفة، أو كتم  
شهادة يعلمها في حق الله عز وجل، طلبت منه في مجلس أو

مجمع للناس، أو غيرها من مجالس العلم والدين والتذاكر، أو كتمها بغية مجاملة لوجهه، أو ذو منصب، أو لمدارسة فاسق، أو غيره من الطغاة والظالم من أجل محاباته، أو الخوف منه، أو لغاية أخرى قال تعالى: ﴿.. وَمِنْ أَظْلَمِ مَنْ كُتِمَ شَهَادَةً عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ لِلَّهِ..﴾ (27).

ثم تأتي الشهادة بين الناس في المرتبة الثانية، التي أكد الله عز وجل على ضرورة الإدلاء بها، وعدم كتمانها، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا إِنَّمَا قُلْبَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (28). وفيها بيان لحقوق الفرد والمجتمع، وفيها يتضح العدل، ويستطيع القاضي أو الحاكم رؤية حقيقة الذنب أو القضية من خلال الشهود والبينة، ويقضى بها.

والشهادة يجب أن يدللي بها بصورتها الواقعية دون زيادة أو نقصان، حتى وإن كانت تلك الشهادة على الوالدين أو الآباء أو من ذوي القربي، وأن لا يخشى إلا لله عز وجل في قول الحق بشهادته، سواء كان المتضرر حاكماً أو غنياً أو فقيراً أو قريباً أو بعيداً، حتى وإن كان عدواً. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ امْنَوْا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقُسْطِ شَهِدَأْ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعَوْا هُوَ أَنْ تَعْدُلُوا وَإِنْ تَلُوْوا أَوْ تَعْرَضُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (29).

والشهادة كما العدل هي فرض من الله عز وجل على المسلم الإدلاء بها، كما هي في حقيقتها بما رأى بالعيون وبالحق كما أشرنا سابقاً، والإدلاء بالشهادة هنا من صفات وسمات الإيمان في الإسلام، قال تعالى في وصفه للمؤمنين المصلحين الدائمين على صلاتهم في سورة المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (30). وذكرت الشهادة هنا من ضمن سلسلة من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها المصلي الدائم. وأن تتسم تلك الشهادة بالحق، دون أن تأخذه عاطفة القربي أو الروابط العائلية أو الحزبية أو القومية أو غيرها من الروابط الأخرى المختلفة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قَرْبَى﴾ (31).

وشدد الإسلام على محاربة شهادة الزور في الدنيا والآخرة، واعتبرها من أكبر الكبائر. قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَبْنَئَكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قَلْنَا: بَلِي يَلِرْسُولُ اللَّهِ قَالَ: إِلَّا شَرِكَ بِاللَّهِ وَعَقْوَقُ الْوَالِدِينَ وَكَانَ مِنْكُمَا فَقَالَ: إِلَّا قُولُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، إِلَّا قُولُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قَلَتْ لَا يَسْكُتُ﴾ (32).

## \* الفصل الثالث: صور من العدل:

رفض الإسلام أن يقوم الناس أو مجموعة منهم أو أفراداً، مهما كانت صفتهم، أن يقوموا بالقصاص من الجاني. مهما كانت جريمتها، إلا عبر محاكمة عادلة، يقضى بها قاض، يصدر عنه حكماً، وتقوم بتنفيذها السلطات الحاكمة.

وتذكر بعض السير وكتب التاريخ عن قصاص، نفذ من قبل أفراد في عهد رسول الله (ﷺ)، فرفضها رسول الله (ﷺ) لمخالفتها أهم شروط أسس العدل التي أشرنا إليها. ومن تلك الحوادث ما قام به نفر من مسلمي خزاعة بعد فتح مكة، حين قتلوا مشيراً، فرفض رسول الله (ﷺ) هذا العمل وقال: [..] فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلوها لكم يا معاشر خزاعة]. (33).

وفي العدل كان لعمر بن الخطاب الباع الطويل في إقامته على حرفيته، فسمى بالفاروق لعدله الحرفي بين رعيته والآخرين، حيث لم يكن يفرق في إقامة الحدّ، بين ابنه وبين بقية رعاياه. فالعدل يطبق على الجميع، دون النظر إلى النتائج، ونذكر هنا قصة إقامة الحدّ على ولده عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، التي يرويها عمرو بن العاص والي مصر أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(.. دخلا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعه، وهما منكسران، فقالا: أقم علينا حدّ الله، فإننا أصينا البارحة شرابة فسكتنا، فزيرتهما وطردتهما. فقال عبد الرحمن: إن لم تفعلي أخبرت أبي إذا أقدمت عليه.. فحضرني رأي وعلمت أبي إن لم أقم عليها الحدّ غضب علىي عمر في ذلك، وعزلني، وخالفة ما صنعت، فنحن على ما نحن عليه، إذ دخل عبد الله بن عمر، فقمت إليه، فرحب بي، واردت أن أدخل أحليسه في صدر مجلسه، فأبي علىي، وقال: أبي نهاني أن أدخل عليك إلا أن أجد من ذلك بدأ. إن أخي لا يحلق على رؤوس الناس، فاما الضرب، فاصنع ما بدا لك". قال عمرو بن العاص: وكانوا يحلقون مع الحدّ، فاخرجهما إلى صحن الدار، فضربتهما الحدّ، ودخل ابن عمر

يأخيه إلى بيت الدار، فحلق رأسه ورأس أبو سروعه. فو الله ما كتب إلى عمر بشيء مما كان حتى إذا تجنت كتابه إذا هو نظم فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي:

".. عجيت لك يابن العاص ولجرأتك على خلاف عهدي.. فما أراني إلا غازلك. تضرب عبد الرحمن في بيتك؛ وقد عرفت أن هذا يخالفني؟.. إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين. ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت إلا هواة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا، فابعث به في عباءة على قتب، حتى يعرف سوء ما صنع ..

قال: "فيعثت به كما قال أبوه، وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه، وكتب إلى عمر كتاباً اعتذر فيه، وأخبره أنى ضربته في صحن داري، بالله الذي لا يخلف بأعظم منه أنى الحدود في صحن داري على الذمي والمسلم، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر".

قال أسلم: "فقدم عبد الرحمن على أبيه، فدخل عليه وعليه عباءة، ولا يستطيع المشي من مركبته. فقال: يا عبد الرحمن فعلت كذا؟ فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم الحد علىه مرة. فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبره. فجعل عبد الرحمن يصيح: أنا مريض وأنت قاتلي! فضربه وحبسه، ثم مرض فمات رحمه الله).(34).

ورغم أن عمر بن الخطاب شديد في إقامة الحد حتى على نفسه، فإنه كان يرفض الغلو في أخذ الحدود، فقد غضب من أبي موسى الأشعري، وهو من كبار ولاته، لأنه عالى في جلد شارب حمر، وحلق شعره، وسُود وجهه، ونادى في الناس ألا يجالسوه ولا يؤكلوه.

فاشتكتى هذا الرجل إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فأعطاه عمر مائتي درهم، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: (لئن عدت لسودون وجهك، ولا طوفون بك في الناس). وأمره أن يسحب أمره ليجالسه الناس ويأكلوا معه، وأن يمهله ليتوب، ويقبل شهادته إن تاب.(35).

وعدل عمر لم يقف عند طبقة معينة، فقد كانت لا تأخذه في الله عز وجل لومة لائم، فالجميع لديه في سوية واحدة أمام العدل والقضاء به. وهذا تطبيق عملي لأحد أهم مرتکزات الإسلام، وهو إقامة العدل على الجميع دون تمييز، مهما كانت مكانة الشخص المدان ومرتبة، بل أن يقام العدل، حتى وإن كانت نتائجه بتوقعات الآخرين خطيرة على أمن الدولة نفسها، أو قد يؤدي تطبيقه إلى اضطرابات داخلية فيها.

فحين عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائد الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهو المحبوب من جنده، وقائد الانتصارات العظيمة والباهرة على الفرس والروم، لم يلتفت

إلى النتائج التي قد تنتج عنه من عصيان عسكري، أو امتناع القائد المعزز بقواته عن تنفيذه، أو استغلال من قبل العدو لانقسام قد يحدث في الجيش.

والسبب أن عمر رضي الله عنه أحصى عليه بعض المآخذ، ومنها إنفاقه من بيت المال في غير ما يرضاه، فأمر به أن يحاكم في مجلس عام، كما يحاكم أصغر الجنود. وعزله عن قيادة الجيش، بعد مقاسمه فيما يملك من نقد ومتاع..(36).

فالعدل كله واجب التطبيق في نظر عمر رضي الله عنه مهما كانت النتائج. ونفذ خالد بن الوليد رضي الله عنه قرار الخليفة برضي وطاعة، وقبل المحاكمة. والتحق بعدها بالجيش جندياً عادياً، ولم تؤثر عليه القضية برمتها، فكان يأسلاً في المعارك كقائد وجندي، يؤدي رسالة الإسلام الهدافة لإقامة العدل في كل أنحاء الأرض.

ومن صور العدل والمتساواة في الحق بين الأمير والمواطن العادي في الإسلام، ومن الأشكال التي تم تطبيقها في العهد الراشدي، نذكر هنا أيضاً كيف وقف عمر بن الخطاب مطبقاً للعدل، متنصفاً لأعرابي بسيط، لطمه الأمير جليلة بن الأبيهم أمير الغساسنة وزعيمهم، فأشتكى لعمير من عمل الأمير، فحُكم للأعرابي بلطم جبلة الأمير أمام الناس كما يطمه. فغضب جبلة بن الأبيهم من هذا الحكم، فلم يستوعب أنَّ أعرابي بسيط يقتصر من أمير، ولم يدرك أن الإسلام يساوي في الحقوق بين الأمير والفقير في الحقوق، فلا تزال الأعراف التطبيقية تعيش في ذهنه، فهرب إلى الروم، حين عرف أن الحكم لا بد أن ينفذ. ولم يتأثر الإسلام حين ارتد جبلة وهرب إلى الروم خوفاً من إقامة العدل، ولم يتهاوى الإسلام بهروبه، بل سجل التاريخ أن الإسلام يقيم العدالة على الأرض دون تمييز أو استثناء.

وكان من عدل عمر رضي الله عنه فيما ترد كل الروايات التاريخية، أنه كان يطوف في المدينة ليلاً، يتفقد أحوال رعيته، فيعالج أوضاع الناس من عوز وحاجة وظلم. فكان يحلب الدقيق على ظهره لام وصبية حياع، ويقوم كل الليل من أجل توفير احتياجات امرأة تولد، وليس لها أحد يرعاها، ويسمع لامرأة تصحح له أمراً، أراد إصداره في تحفيض المهر، ويضع راتباً لكل يهودي ومسيحي عاجز مع خادم يخدمه. وتطول الروايات عن عدل عمر، ويمكن للقارئ أن يعود إلى العديد من مصادر التاريخ، ليعرف عن عدل هذا الخليفة العظيم.

ومن عدل الإسلام ما ردد به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على من عانته في مساؤاته بين الناس في العطاء، فقال: (أتاًمْرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُورِ فِيمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِ، وَاللهُ لَا أَطْوَرُ بِهِ مَا سَمَّرْ سَمِيرٌ، وَمَا أَمْ نَجَمَ فِي السَّمَاءِ نَجَماً، وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسْوَيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ) (37).

ومن كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في طلبه من رعيته بالعون على إقامة العدل، بإنصاف المظلوم، والأخذ على

يد الطالم، قال: (لم تُكْنِي بيعتكم إبْيَانِي فلِتَهُ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ  
وَاحِدًا، إِنِّي أَرِيدُكُمْ لِللهِ، وَإِنْتُمْ تَرِيدُونِي لِأَنفُسِكُمْ! أَيْهَا النَّاسُ  
أَعِينُونِي عَلَى أَنفُسِكُمْ، وَأَيْمَنُ اللَّهُ لِأَنْصُفِنَ الْمُظْلُومَ، وَلَا يَقُولُونَ  
الْطَّالِمُ بِخَزَامَتِهِ حَتَّى أَوْرَدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ كَارِهًًا). (38).

وَمِنْ أَرْوَعِ النِّصَائِحِ مَا كَانَ يُوصِي بِهِ الْإِمَامُ عَلَى رَضِيِّ اللَّهِ  
عَنْهُ وَلَا يَهُ فِي الْأَمْصَارِ، وَفِيمَا كَتَبَهُ إِلَى الْأَشْتَرِ النَّجْعَيِ لِمَا وَلَاهُ  
مَصْرُ وَأَعْمَالَهَا. وَنَقْتَطَفُ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْجَامِعِ،  
الَّذِي تَضَمَّنَ شُرُوطَ الْوَالِيِّ الْعَادِلِ، وَالَّتِي جَاءَ فِيهَا مَا يَلِي:  
(فَلَيْكَنْ أَحَبُّ الدُّخَانِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الْصَّالِحِ، فَامْلُكْ هَوَاكَ،  
وَشَخَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحْلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشَّحَ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافِ مِنْهَا  
فِيمَا أَحْبَتْ أَوْ كَرِهَتْ، وَأَشْعَرْ قَلْبَكَ لِلرَّحْمَةِ بِالرَّعْيَةِ، وَالْمُحْمَةِ لَهُمْ  
وَاللَّطْفِ بِهِمْ، وَلَا تَكُونُنَّ عَلَيْهِمْ سِبْعًا صَارِيَّا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ  
صَنْفَانِ إِمَامَ أَخَّ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَامَ نَظِيرِ لَكَ فِي الْخَلْقِ...).

وَقَالَ لَهُ: (أَنْصُفُ اللَّهَ، وَأَنْصُفُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ  
أَهْلِكَ، وَمِنْ لَكَ فِيهِ هُوَ مِنْ رَعِينِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلُ ظُلْمًا! وَمِنْ  
ظُلْمِ عِبَادِ اللَّهِ، كَانَ اللَّهُ خَصِّمَهُ دُونَ عِبَادَهُ، وَمِنْ خَاصِّهِ اللَّهِ  
إِدْحَضُ حُجَّتِهِ، وَكَانَ لِلَّهِ حِرْبًا حَتَّى يَنْزَعَ وَيَتَوَبُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ  
أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ أَقْامَةِ (عَلَى ظُلْمِ)  
فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دُعَوةِ الْمُضْطَهَدِينَ، وَهُوَ لِلْظَّالِمِينَ بِالْمَرْصادِ).  
وَلَيْكَنْ أَحَبُّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَوْسِطُهُمَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَهُمَا فِي الْعَدْلِ،  
وَاجْمِعُهَا لِرَضِيِّ الرَّعْيَةِ...). (39).

وَسُئِلَ الْإِمَامُ عَلَى كَرِمِ اللَّهِ وَجْهِهِ: أَيْهُمَا أَفْضَلُ: الْعَدْلُ أَوِ  
الْجُودُ؟ فَقَالَ رَضِيُّ اللَّهِ عَنْهُ: (الْعَدْلُ يَضْعِفُ الْأَمْرَوْنَ مَوْاضِعُهَا،  
وَالْجُودُ يَخْرُجُهَا عَنِ جَهَنَّمَ، وَالْعَدْلُ سَائِسَ عَامٍ، وَالْجُودُ عَارِضٌ  
خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا). (40).

وَسُئِلَ الْإِمَامُ عَلَى كَرِمِ اللَّهِ وَجْهِهِ عَنِ الْعَدْلِ، فَقَالَ:  
(وَالْعَدْلُ مِنْهَا أَرْبَعٌ شَعْبٌ: عَلَى غَائِصِ الْقَهْمِ، وَغَورِ الْعِلْمِ، وَزَهْرَةِ  
الْحَكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحَلْمِ، فَمِنْ فَهْمِ عَلَمَ غَورَ الْعِلْمِ، وَمِنْ عِلْمِ غَورِ  
الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحَكْمِ، وَمِنْ حَلْمٍ لَمْ يَفْرَطْ فِي أَمْرِهِ،  
وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا). (41).

تَلَكَ صُورَ مِنْ عَدَالَةِ الإِسْلَامِ، وَمِنْ دُعُوتِهِ الدَّائِمَةِ لِلْعَدْلِ  
وَالْمَسَاوَةِ، وَسِيَادَةِ الْقَانُونِ عَلَى الْجَمِيعِ دُونِ اسْتِثْنَاءِ، وَانْ  
يُطَبِّقَ عَلَى الْحَاكِمِ وَالْمُحْكُومِ، يَلِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَفْرَقْ فِي تَطْبِيقِ  
الْعَدْلِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ، فَالْعَدْلُ هُوَ هُدُفُ فِي  
مَكْنُونَاتِهِ مَلْزَمٌ مِنْ اعْتِنَاقِ الإِسْلَامِ، أَنْ يُطَبِّقَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى  
غَيْرِهِ، وَفَقَدْ نَظَامُ مَؤْسِسَاتِ الدُّولَةِ، هَذَا هُوَ الإِسْلَامُ الَّذِي يَحَاوِلُ  
الْمُتَصَهِّنُونَ فِي الْغَرْبِ تَشْوِيهَ صُورَتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي مُقْدِمَةِ  
الْبَحْثِ.



**\*مصادر البحث:**

- 1 - مجلة الشروق الاماراتية - عدد أيار 2002.
- 2 - السفير اللبناني - العدد 9319 - 5/10/2003 - ص 12.
- 3 - سورة الإسراء - 105
- 4 - سورة الأعراف - 181
- 5 - ص - 26.
- 6 - النساء - 58.
- 7 - النور - 51 و 52.
- 8 - الإيام - 153.
- 9 - صحيح البخاري - تحقيق الدكتور مصطفى البغا - دمشق - دار العلوم الإنسانية - 1993 - ج 4 - ص 2461.
- 10 - المائدة - 49.
- 11 - النساء - 58.
- 12 - النحل - 90.
- 13 - النساء - 59.
- 14 - النساء - 65.
- 15 - النساء - 105.
- 16 - النساء - 170.
- 17 - الشورى - 10.
- 18 - الأنعام - 114.
- 19 - ص - 26.
- 20 - الحشر - 7.
- 21 - الشورى - 10.
- 22 - صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 4 - ص 2458.
- 23 - صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 4 - ص 2459.
- 24 - صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 4 - ص 2454.
- 25 - المائدة - 8.
- 26 - الأنعام.
- 27 - البقرة - 140.
- 28 - البقرة - 282.
- 29 - النساء - 135.
- 30 - المعارج - 33.
- 31 - الأنعام - 153.
- 32 - صحيح البخاري - مصدر سابق - ج 4 - ص 2100.
- 33 - عباس محمود العقاد - العقريات الإسلامية - بيروت - دار الكتاب العربي - 1972 - ص 79.
- 34 - عباس محمود العقاد - العقريات الإسلامية - مصدر سابق - ص 331 و 332.
- 35 - عباس محمود العقاد - العقريات الإسلامية - مصدر سابق - ص 333 و 334.
- 36 - عباس محمود العقاد - العقريات الإسلامية - مصدر سابق - 348.

- 37 - نهج البلاغة - للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق - الطبعة الثالثة - 1996 . - ص 146 .
- 38 - نهج البلاغة - مصدر سابق - ص 156 .
- 39 - نهج البلاغة - مصدر سابق - ص 367 و 368 .
- 40 - نهج البلاغة - مصدر سابق - ص 495 و 496 .
- 41 - نهج البلاغة - مصدر سابق - ص 410 .

# \* الملحق رقم (1)

## الإعلان المشترك الفرنسي - الروسي - الألماني

### حول العراق في 5/3/2003

النص الكامل للإعلان المشترك الصادر عن فرنسا وروسيا وألمانيا حول العراق الذي نشر في باريس في 5/3/2003 عقب اجتماع وزراء خارجية الدول الثلاث (دومينيك دوفيليان وزير خارجية فرنسا - إيفانوف وزير خارجية روسيا - يوشكا فيشر وزير خارجية ألمانيا):

إن هدفنا المشترك يبقى نزع سلاح العراق الفعلي والكامل وفقاً للقرار 1441.

نعتبر أن هذا الهدف يمكن بلوغه سلبياً عبر عمليات التفتيش. ونلاحظ أن هذه العمليات تعطي نتائج مشجعة أكثر فأكثر:

- تدمير صواريخ صمود 2/ قد بدأ ويتقدم.
- العراقيون يقدمون معلومات في المجال البيولوجي والكيميائي.

- مقابلة العلماء العراقيين تتواصل.

إن روسيا وألمانيا وفرنسا يعلنون دعمهم الحازم للسيد هانس بليكس ومحمد البرادعي كبار المفتشين الدوليين، ويعتبرون اجتماع مجلس الأمن الدولي في السابع من آذار مرحلة مهمة في العملية القائمة.

ندعو بحزم السلطات العراقية للتعاون بفعالية أكبر مع المفتشين على طريق إزالة الأسلحة بشكل كامل في بلادها.

إن عمليات التفتيش هذه لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية.

ونود بالتالي أن تجري بوتيرة سريعة من الآن وصاعداً في إطار المقترنات الواردة في المذكورة، التي قدمتها دولنا الثلاث

إلى مجلس الأمن الدولي. نحن نرغب في :

- توضيح المسائل العالقة وإدراجها بالتسليسل ببرنامجاً بعد برنامج.

- في المقابل وضع جدول استحقاقات مفصل.

وأطلاقاً، من هذا النهج سيتمكن المفتشون من أن يقتربوا بدون إبطاء ببرنامج عمل مرفق بتقارير مرحلية منتظمة إلى مجلس الأمن الدولي، ويمكن أن يتضمن هذا البرنامج بنداً يتعلق بتحديد موعد للسماح لمجلس الأمن بتفوييم النتائج الكاملة لهذه العملية، في هذا الإطار لـن دع مشروع قرار يجيز اللجوء إلى القوة يمر في مجلس الأمن.

إن روسيا وفرنسا بصفتهما عضوين دائمين في مجلس الأمن ستتحملان كامل المسؤولية الملقاة على عاتقهما بخصوص هذه النقطة.

لقد وصلنا إلى منعطف، وبما أن هدفنا إزالة الأسلحة العراقية سلماً و بشكل تام، لدينا اليوم امكانية الوصول عبر السبيل السلمية إلى تسوية شاملة في الشرق الأوسط، بدءاً من إرهاز تقدم في عملية السلام، وذلك عبر نشر وتنفيذ خارطة الطريق. وتحديد إطار عام للشرق الأوسط يذكر على الأمن والاستقرار، والتخلص عن مبدأ القوة ومراقبة التسلح، واتخاذ تدابير لإرساء الثقة.



## \* ملحق رقم نص خطبة الخليفة الراشدي الأول (أبو بكر الصديق رضي الله عنه).

(أما بعد، أيها الناس، فإني وليت عليكم، وليس بخیركم،  
فإن أحسنت فأعینوني، وإن أساءت فقوموني، الصدق أمانة،  
ووالكذب خيانة. والضعف فيكم قوي عندي حتى أريح<sup>(1)</sup> عليه  
حقه إن شاء الله، والقوى منكم الضعيف عندى، حتى أخذ الحق  
منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه  
قوم إلا وضربيهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عهم  
الله بالبلاء. أطیعونی ما أطاعت الله ورسوله، فإذا عصیت الله  
ورسوله فلا طاعة لي عليکم.. أيها الناس، إنما أنا مثلکم، وإنما لا  
أدری لكم ستکلفونی ما كان رسول الله<sup>(2)</sup> يطیق، إن الله  
اصطفی محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإنما أنا  
متبع وليس بمبتدع، فإن استقمت فاتیعونی، وإن زغت  
فقوموني. وإن رسول الله<sup>(2)</sup> قبض، ولیس أحد من هذه الأمة  
يطلب بمظلمة، ضربة سوط فيما دونها، إلا وإنما لي شیطان  
يعتربنی، فإذا أتاني فاجتنبني، لا أوثر في أشعارکم وأیشارکم<sup>(3)</sup>  
(2)، وإنکم تغدون وتروحون في أجل قد عیب عنکم علمه، فإن  
استطعتم إلا يمضي هذا الأجل إلا وانتم في عمل صالح فافعلوا،  
ولن تستطیعوا ذلك إلا بالله. فسایقو في مهل أجالکم من قبل  
إن تسلّمکم أجالکم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا  
أجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإنها كما أن تكونوا أمثالهم،  
الحدُّ الجدُّ والوحى الوحى<sup>(3)</sup>، ولنجاة النجا، وإن وراءکم  
طالباً حثيناً، أجلًا مره سريع، واحدروا الموت، وأعتبروا بالآباء  
والآباء والأخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الاموات.

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد وجهه، فأ يريدوا الله  
بأعمالکم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالکم، فطاعة  
أبيتموها، وحظ طفترتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدتموها  
من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقرکم و حاجتکم، واعتبروا يا

عباد الله يمن مات منكم، وفكروا فيمن كان قبلكم.  
أين كان أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجيaron الذين كان لهم  
ذكر القتال والغلبة ومواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر  
وصار رميماً، قد تركت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين،  
والخبيثون للخبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها،  
قد بعدوا، ونسى ذكرهم، وصاروا كـ"لا شيء". ألا إن الله قد  
أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال  
أعماله، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا  
بهم نحوانا. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟  
صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم.

أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها  
الأعاجيب؟ وقد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم  
في ظلمات القبور، هل تحس منهن من أحد، أو تسمع لهم ركزاً)  
(4)؟ أين ما تعرفون من ابنائكم وأخوانكم؟ قد انتهت بهم  
أجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقاوة أو  
السعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين  
أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه شراً إلا  
بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مذبذبون، وأن ما عنده لا  
يدرك إلا بطاعته.

ألا وإنه لا خير بخیر بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، والله  
سبحانه وتعالى أعلم.



(1) أي برد عليه حقه.

(2) الأيشان: مفرداتها بشره وهي الجلد.. والأشعار: الشعر الذي ينبع من  
مسام الجلد

(3) الوحى: الإسراع.

(4) الركز: الصوت الخفي، (المصدر السابق - د. محمد عمارة - الإسلام  
وحقوق الإنسان - ص ١٧٠ - ١٧٢).

## الفهرس:

5.....	المقدمة
--------	---------

## **الباب الأول: أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 11.....صناعة وأهداف**

* الفصل الأول: من صنع أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001؟.....15
* الفصل الثاني: دروس من تاريخ الولايات المتحدة في صناعة أحداث لتنستفيذ منها.....19
* الفصل الثالث: روايات تحمل الكثير من التغرات عن دور تنظيم القاعدة في صناعة الحدث.....22
* الفصل الرابع: دلائل على أصابة الموساد.....27
* الفصل الخامس: الحدث يكذب الرواية الأمريكية.....33
* الفصل السادس: توظيف البترول القزويني لصالح أحداث أيلول / سبتمبر.....37
* الفصل السابع: لماذا تم تصنيع أحداث الحادي عشر من أيلول؟.....40
* الفصل الثامن: الحرب على العراق لأجل النفط.....43
* الفصل التاسع: التهيئة الأمريكية البريطانية للعالم لاحتلال العراق.....58
* الفصل العاشر: احتلال العراق.....62

## **الباب الثاني: صدام سلوكيات لا صدام حضارات....75.....**

المقدمة.....77
الفصل الأول: الإسلام السد الأعظم.....78
الفصل الثاني: الحملة الجديدة على الإسلام.....84
* الفصل الثالث: صدام سلوكيات لا صدام حضارات.....90
* الفصل الرابع: السلوك الأمريكي التصادمي مع العروبة والإسلام.....99
* الفصل الخامس: نماذج من السلوكيات الإسلامية.....103

## **الباب الثالث : (الإرهاب الإسلامي) صناعة غربية صهيونية 107.....**

* المقدمة.....109
* الفصل الأول: المحرم من جنى أرباح الحدث!!!.....111
* الفصل الثاني: الإرهاب التلفيقي.....114
ما هو الإرهاب؟.....114
الفصل الثالث: أمريكا مؤسسة الإرهاب في العصر الحديث.....116
* الفصل الرابع: لماذا يصنع الإرهاب الإسلامي؟.....122
* الفصل الخامس: التصوير المشوه للإسلام.....127
* الفصل السادس: الصهيونية وحملة الافتراء.....136
* الفصل السابع: نظرية بوش على ما يسمى بالإرهاب (الحرب الاستباقية).....142
* الفصل الثامن: الحرب الإرهابية الخبيثة على الإسلام.....145

## **الباب الرابع : الإسلام والحرية.....148.....**

* الفصل الأول: أولى حرية الإنسان في الإسلام كرامته...148
--

* الفصل الثاني: الإسلام أعطى الإنسان حرية الاعتقاد والأختيار.....	148.....
* الفصل الثالث: الإسلام جاء لتحرير الإنسان من أغلال العبودية.....	148.....
* الفصل الرابع: تحرير المرأة الحقيقي في الإسلام.....	148.....
* الفصل الخامس: الإسلام وتحرير العبيد من الرّق.....	148.....
* الفصل السادس: الشورى جوهر النظام الإسلامي.....	148.....
<b>باب الخامس: الإسلام والعدل.....</b>	<b>148.....</b>
* الفصل الأول : رسالة الإسلام نشر العدل على الأرض.....	148.....
* الفصل الثاني : القضاء والإسلام.....	148.....
* الفصل الثالث: صور من العدل.....	148.....
* الملحق رقم (1) الإعلان المشترك الفرنسي - الروسي - الألماني حول العراق في 5/3/2003.....	148.....
* ملحق رقم نص خطبة الخليفة الرّاشدي الأول (أبو بكر الصديق). .....	.....